روايات مصرية للجيب

٢

سلسلة الأعداد الخاصة

ملف المستقبل

بلا حدود

د. نبيل فاروق



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرِّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ـــ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ـــ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ـــ رمزى : طبيب بارع متخصِّص فى الطب النفسى .

ـــ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ انفجار ..

حلّقت طوّافة نفّاثة ، فوق مدينة (القاهرة الجديدة) ، وعبرت سماء العاصمة فى سرعة مدهشة ، متجهة إلى مكان ما بالصحراء الغربية ، ولم تمض دقائق معدودة ، حتى سقط ظلها على رمال الصحراء الصفراء ، وانعكست فوقها شمس أغسطس الحارة ، فتألّقت كطائر فضى كبير ، يشق سماء الصحراء فى قوة وشموخ ..

وفى داخل الطوّافة ، تنهّد القائد الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية ، وهو يقول لرفيقه الدكتور (ناظم) ، مدير مركز الأبحاث العلمية :

ـ ياله من صباح ! .. لم أتصوّر أبدًا أننا سننجح فى صنع تلك الطائرة الجديدة .

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وهو يتطلع إلى الصحراء الكبرى ، الممتدة أمامه بلا نهاية ، قائلًا فى هدوء :

ـ ولمَ لا ؟ .. إننا نمتلك اليوم تقنية بالغة التطور ، حتى لنكاد نقف فى مصاف الدول العظمى ، فى قرننا الحادى والعشرين هذا .

ابتسم القائد الأعلى ، مغمغمًا :

ـ لم نكن كذلك فيما مضى .

أجابه الدكتور (ناظم) فى رصانة :

ـ العبرة بخواتم الأمور .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :

- من يصدق أن ننجح فى بناء قاعدة عسكرية بالغة التطور ، فى قلب الصحراء ، وأن نمتلك واحدا من أقوى الجيوش فى العالم ؟

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يشير إلى عدد من الأبنية ، يتألق تحت أشعة الشمس ، فى قلب الصحراء :

- ها هى ذى القاعدة .

لم يملك القائد الأعلى نفسه ، من شدة زهوه بتلك القاعدة العسكرية الجديدة ، فهتف :

- كم هى رائعة !

حامت الطوافة فى سماء القاعدة لحظات ، وقائدها يرسل إشاراته إليها ، معلنًا وصول القائد الأعلى ، ثم لم يلبث أن تلقى موافقة الهبوط ، فمال بطوافته الصغيرة ، التى تحمل شعار المخابرات العلمية ، وهبط بها عموديًا ، وسط مهبط دائرى خاص ، معدّ لهذا الغرض ، وهرع قائد القاعدة يستقبل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى حرارة :

- مرحبًا أيها السيدان .. مرحبًا بكما فى قاعدة (نسور) الجديدة .

ردًا تحيته العسكرية ، وسأله القائد الأعلى ، وهو يتجه معه إلى مبنى القيادة :

- هل استعدت الطائرة الجديدة للاختبار ؟

أجابه قائد القاعدة فى ثقة :

- تمام الاستعداد يا سيدى .. إنها طائرة رائعة بحق ، وهى باكورة سلاح جوى جديد لقواتنا .

تطلع الدكتور (ناظم) إلى ساعته ، وقال :

- سيبدأ الاختبار بعد عشر دقائق .. أليس كذلك ؟

أومأ قائد القاعدة برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى .. إنهم يعدون الطائرة الآن .

قادهما إلى نافذة زجاجية كبيرة ، تطلّ على ممرّ الإقلاع الجديد مباشرة ، وأشار إلى طائرة قاتمة ، شديدة السواد ، أشبه بسيجار ضخم ، ينتهى بجناحين أفقيين ، ودفة علوية طويلة ، وتعلوه قبة زجاجية بيضاوية ، وقال قائد القاعدة :

- ها هى ذى درّتنا الجديدة (م - ١) .. يمكنكما القول إنها أفضل طائرة فى العالم ، فى القرن الحادى والعشرين ، فهى مصنوعة من (السوبر تيتانيوم) .. أقوى المعادن المعروفة على وجه الأرض ، وأخفها وزنًا ، ومطلية بمادة مقاومة للاحتكاك والخدوش والصدأ والحرارة ، تم كشفها عام ألفين وسبعة ، ومزوّدة بثلاثة محركات نووية صغيرة ، تمنحها القدرة على الانطلاق بسرعة تفوق سرعة الصوت سبع مرات ، وفى نفس الوقت فهى شديدة المرونة ، ويمكنها المناورة بزوايا بالغة التعقيد والصعوبة ، حتى تكاد تبلغ الزوايا القائمة تقريبًا ، وتسليحها يتكوّن من سبع صواريخ شديدة التدمير ، ومدفعى ليزر قويين ، يمكن لأى منهما نسف جبل كامل فى لحظات ، و ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى هدوء :

- إننا نحفظ هذا عن ظهر قلب .

ضحك قائد القاعدة ، وقال :

- بالتأكيد ، فأنتم أصحاب تصميماتها .

قال القائد الأعلى ، وهو يشير إلى شاب يقف إلى جوار الطائرة ، فى زى طيران أزرق اللون ، يحمل شعار القوات الجوية المصرية ، وقال :

- ما يقلقنى ليس الطائرة ، ولكن الطيّار .. هل تمنحه ثقتك ؟

أجاب قائد القاعدة :

- بالطبع .. إنه أفضل طيارينا على الإطلاق ، وأسرعهم استجابة ، فقيادة طائرة بهذه السرعة ، يحتاج إلى رجل من طراز خاص ، أو إلى

رجال يتم تدريبهم لفترة طويلة ، على استخدام تلك السرعات الفائقة ، والتعامل معها .

حرّك القائد الأعلى رأسه ، قائلًا :

ـ عظيم .

تحرّك الطيّار الشاب ، فى هذه اللحظة ، وصعد إلى طائرته ، واستقرّ داخلها ، وأغلق القبة البيضاوية فوقه ، فى حين بدأ برج المراقبة عملية العد التنازلى ، فقال الدكتور (ناظم) فى انفعال :

ـ سيبدأ الاختبار .

لم يعلّق القائد الأعلى ، أو قائد القاعدة ، على عبارته ، وإنما تعلّقت أعينهما بالطائرة ، التى اشتعلت محركاتها ، وبدأت تتحرّك فى بطء ، ثم لم تلبث أن ارتفعت فى سرعة ، قبل أن تقطع مائتى متر على الممر ، فهتف قائد القاعدة :

ـ أرأيتما .. إنها لا تحتاج حتى إلى ممر إقلاع .

انطلقت الطائرة (م ـ ١) بسرعة تصاعدية مذهلة ، حتى أنها اختفت فى قلب السحاب ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى انبهار :

ـ مدهش .

وقال الدكتور (ناظم) منفعلًا :

ـ لن يمكن استنتاج زاوية انقضاضها أبدًا .

هتف قائد القاعدة مزهوًا :

ـ بالطبع ، فما من رادار ، فى العالم أجمع ، يمكنه كشفها ، إذ أن تصميمها ، وطلاؤها شديد السواد ، قادران على خداع أذكى أجهزة الكشف .

ومن بعيد لاحت أجسام طائرة تقترب فى سرعة ، فقال القائد الأعلى :

ـ ما هذا ؟

أجابه قائد القاعدة :

ـ إنها الأهداف الاختبارية ، فالمفروض أن القاعدة تتعرض لهجوم جوى وبرى ، ولو نظرت إلى أقصى اليمين ، فستجد مبنى اختباريًا ، وعددًا من الدبّابات الذرية ، تقترب فى سرعة ، وكلها مع الطائرات من النوع الآلى ، الذاتى القيادة ، دون بشرى واحد ، وطبقًا للخطة الموضوعة ، ستنقضّ (م ـ ١) على كل هذه الأهداف انقضاضة مباغتة ، وتقوم بتدميرها فى وقت قياسى .

ثم ابتسم مستطردًا فى زهو :

ـ وكل هدف من هذه الأهداف الاختبارية مزوّد برادار خاص ، يمكنه كشف دبيب النملة .

تمتم القائد الأعلى فى انبهار :

ـ إلى هذا الحد ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهرت (م ـ ١) فجأة فى السماء ، كما لو كانت قد برزت من العدم ، وانقضت فجأة على الدبابات الذرية الخمس ، وسحقت ثلاثًا منها بضربة واحدة من مدفع الليزر ، ثم ارتفعت إلى أعلى ، وطاردتها الطائرات السبع الاختبارية ، ولكنها دارت حولها فى سرعة مذهلة ، وأمطرتها بخيوط من أشعة الليزر ، أشعلت النيران فى أربع طائرات من الضربة الأولى ، ثم اندفعت تتجاوز الطائرات الثلاث الأخرى ، وتعبرها بسرعتها القصوى ، وانخفضت فجأة بزاوية شبه قائمة ، لتسحق الدبابتين الباقيتين بضربة ثانية من مدفع الليزر ..

وفى هذه المرة انقسمت الطائرات الاختبارية الثلاث الباقية ، فى تشكيل أشبه بالنافورة ، بحيث تهاجم إحداها (م ـ ١) من الخلف ، وتواجهها الثانية من الأمام ، وتنقضّ عليها الثالثة من أعلى ..

وانطلقت أشعة الطائرات الثلاث على (م ـ ١) ..

ولكن المقاتلة الجديدة كانت رائعة بحق ..

لقد مالت على جانبها فى سرعة ، وتركت خيوط الأشعة تتجاوزها ، ثم اندفعت بغتة إلى أعلى ، ودارت حول نفسها نصف دورة رأسية سريعة ، وأطلقت أشعة مدفعها الليزرى على إحدى الطائرات ، فأبادتها تمامًا ، ثم انقضت على الطائرتين الأخريين ، ونسفتهما بأشعتها القاتلة ، قبل أن تتخذا خطوة دفاعية واحدة ..

وهتف القائد الأعلى :

- رائع .. إنه أروع عرض شاهدته ، فى حياتى كلها .

أجابه قائد القاعدة فى انفعال حماسى :

- إنها لم تُطلق صاروخًا واحدًا حتى الآن .. تصوَّر يا سيِّدى لو أننا نمتلك سربًا كاملًا من هذه الطائرة .. كنا نستطيع أن نحكم العالم .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه ، وقال :

- دعك من هذه الفكرة السخيفة ، فقد خسر العالم الكثير ، بسبب المجانين ، الذين حاولوا تحقيق هذا الحلم الديكتاتورى الرهيب .

ارتبك قائد القاعدة ، وهو يقول :

- إنها مجرَّد عبارة .

ثم أشار إلى الخارج ، مضيفًا فى سرعة ، وكأنما يُنهى الحديث حول هذه النقطة :

- انظرا .. سينقضّ على المبنى الآن .

كانت (م - ١) تنقض فى تلك اللحظة على المبنى بالفعل ، ثم تقصفه بواحد من صواريخها السبعة ..

وانفجر المبنى بدوى هائل ..

وصرخ قائد القاعدة فى انفعال :

- لاحظ أن جدرانه مصنوعة من الأسمنت الفولاذى .. تمامًا كجدران هذه القاعدة .. أرأيتما كيف نسفه الصاروخ نسفًا ، كما لو كانت من الزجاج الهش ؟ ..

غمغم الدكتور (ناظم) :

- إنه مشهد يفوق كل ما تصوَّرته ، وأنا أطالع تصميمات الـ (م - ١) .

ثم تابع ببصره المقاتلة السوداء ، وهى ترتفع بسرعتها المدهشة ، مستطردًا :

ولكن ما الذى يفعله الطيَّار ؟ .. أليس من المفروض أن الاختبار قد انتهى ؟

رفع قائد القاعدة عينيه إلى السماء ، حيث اختفت الطائرة ، وغمغم فى قلق :

- بلى .. ولكن ربَّما كان ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار هائل ، فى الطرف الأيمن للقاعدة ، وظهرت الـ (م - ١) ، وهى ترتفع ، وتدور حول نفسها ، عائدة إلى القاعدة ، فى حين اشتعلت النيران فى شدة ، فى واحد من مخازن الذخيرة ، وصاح القائد الأعلى فى دهشة :

- ياإلهى ! .. لقد أصيب ذلك الطيَّار بالجنون حتمًا .. إنه يهاجم القاعدة .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) ، وهو يشاهد الطائرة السوداء ، وهى تنقضّ على مخزن الذخيرة الثانى ، وتقصفه بصاروخ مباشر ، تنسفه نسفًا بدوى رهيب ، وصاح القائد الأعلى :

- فلنهبط بسرعة إلى المخابئ .. لقد أصيب بالجنون .

أسرعوا يهبطون إلى المخابئ النووية ، المعدّة أسفل القاعدة ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها (م - ١) نحو مبنى القيادة ، وأطلقت عليه مدفعيها الليزريين بلا تردّد ..

وانفجر المبنى ..

بل انسحق سحقًا ..

وتهاوت الأتربة على رءوس الرجال الثلاثة ، قبل لحظة من إغلاق باب المخبأ النووى ، ودفعتهم موجة التضاغط الناشئة إلى داخل المخبأ فى عنف ، وهتف الدكتور (ناظم) ، وهو يخفى أذنيه بكفيه فى ألم :

- ياإلهى ! .. كدت أفقد سمعى إلى الأبد .

أما القائد الأعلى ، فصاح فى قائد القاعدة :

- ماذا يحدث ؟ .. ماذا يحدث بالله عليك ؟ .. ألم تؤكّد ثقتك بالطيّار ؟

بدأ قائد القاعدة ذاهلًا ، وهو يجيب :

- لقد أجرينا تحريات بالغة الدقة بشأنه ، ولست أدرى ماذا أصابه .

قالها وأسرع يشعل أجهزة الرصد ، واتسعت عيناه فى ذهول أكبر ، وهو يشاهد على الشاشة الطائرة الجديدة ، وهى تهاجم القاعدة فى شراسة ، وتنسف مبانيها بصواريخها ومدافعها الليزرية ، متجاوزة وسائل الدفاع الجوى المتطوّرة ، ومستغلة عامل المفاجأة إلى أقصى حد ، وردّد فى ذهول :

- مستحيل ! .. مستحيل أن يحدث هذا !

أما الدكتور (ناظم) ، فهتف :

- إنها خيانة .. خيانة ولاشك .

وصمت القائد الأعلى تمامًا ، وهو يتابع ما يحدث فى مرارة ، على شاشة الراصد ، والانفجارات تتوالى على السطح ، حتى انمحت القاعدة العسكرية الجديدة من الوجود تمامًا ..

وهنا ..

هنا فقط توقّفت (م - ١) عن القتال ، ودارت حول نفسها فى دورة كاملة ، وكأنها تفحص ساحة المعركة للمرة الأخيرة ، ثم انطلقت محركاتها الثلاثة بسرعتها القصوى ، وعبرت السماء كخيط من الدخان ، قبل أن تختفى وسط السحب ..

تختفى تمامًا ..

* * *

أوقف حارس الأمن تلك الشاحنة العسكرية الضخمة ، عند المخرج الكبير ، لمخزن الذخيرة الرئيسى ، للقوات الجوية المصرية ، وصوّب سلاحه إلى قائد الشاحنة ، وهو يقول فى صرامة تقليدية :

- ابرز هويتك وتصريحك .

أبرز السائق هويته وتصريحه فى هدوء ، فطالعهما حارس البوّابة فى اهتمام ، مما جعل السائق يُطلق ضحكة قصيرة ، ويقول :

- ماذا أصابك يا (سالم) ؟ .. كأنى بك تلقانى لأوّل مرة .. ألسنا صديقين قديمين يارجل ؟

أجابه الحارس ، وهو يدفع بطاقة الهوية والتصريح ، داخل جهاز خاص :

إنها الأوامر .

ضحك السائق مرة أخرى ، وقال :

- يالها من أوامر !

اشتعل مصباح صغير فى الجهاز ، وبرزت على شاشته عبارة قصيرة ، تؤكّد صحة الهوية والتصريح ، فانتزعهما الحارس من الجهاز ، وأعادهما إلى السائق ، قائلًا :

- معذرة يا (فتحى) ، ولكن الأوامر هى الأوامر ، وأنت تعلم أن موقعنا هنا شديد الحساسية .

أعاد السائق البطاقة والتصريح إلى جيبه ، وهو يقول :

- نعم .. أعلم هذا .

سأله الحارس ، وهو يشير إلى الشاحنة :

- ماذا تنقل هذه المرة ؟

ابتسم (فتحى) ، وقال :

- ألم تقرأ التصريح يارجل ؟ .. إننى أنقل ألف صاروخ ، من صواريخ

الطائرات الحديثة ، إلى قاعدة (سيناء) الجوية .

رفع الحارس حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

- ألف صاروخ ؟! .. ولماذا يحتاجون إلى كل هذه الكمية دفعة واحدة ؟

هزّ السائق كتفيه ، وقال :

- وماشأنى أنا .. إنها أوامر القادة .

زوى الحارس مابين حاجبيه ، وقال :

- أظن الأمر يحتاج إلى رأى الرؤساء ، فلسنا نستعد لخوض حرب جوية ، حتى تحتاج قاعدة واحدة إلى كل هذا العدد ، من الصواريخ شديدة التدمير .

قال السائق معترضا :

- وماشأننا نحن ؟ .. ألم نحصل على التصريح اللازم ؟

اتجه الحارس نحو جهاز (الفيديوفون) ، وهو يقول فى حزم :

- لن يضيرك الانتظار لبضع دقائق أخرى .

جمدت عينا السائق ، وهو يقول :

- من قال هذا ؟

وفى هدوء ، انتزع من طيات ثيابه مسدسًا ليزريًا ، صوّبه إلى صديق عمره ، الذى صاح :

- (فتحى) .. هل جننت ؟

ولكن السائق أطلق الأشعة بلا تردّد ، وكاد ينسف رأس صديقه ، لولا أن قفز الحارس جانبًا ، وضغط زر إطلاق الإنذار ، وهو يهتف :

- ياإلهى ! .. لم أتصوّر أنه سيفعلها .. لم أتصوّر هذا .

أدار السائق محرّك سيارته ، وهو يطلق الأشعة مرة أخرى نحو الحارس ، الذى احتمى بحاجز حجرة الحراسة ، وأطلق النار بدوره على السائق ، وصفارة الإنذار تدوى فى المكان ..



ولكن السائق أطلق الأشعة بلا تردّد ، وكاد ينسف رأس صديقه ، لولا أن قفز الحارس جانبًا ..

وأصابت أشعة الحارس كتف السائق ، وذراعه ، وحطمت اثنين من أصابعه ، ولكن هذا الأخير بدا جامدًا ، لايبدى أدنى شعور بالألم ، كما لو أن خيوط الأشعة ، التى مزّقت جسمه ، لم يكن لها أدنى أثر على جهازه العصبى ..

وفى هدوء مذهل ، ضغط دواسة الوقود ، وانطلق بشاحنته الصاروخية ، يخترق بوّابة المخزن ، ويعبر الطريق كله ..

ومن خلفه ، راح حارس المخزن يصرخ فى ذهول :

- هذا مستحيل ! .. مستحيل ! ..

ولكن الشاحنة واصلت انطلاقها الصاروخى ، يقودها سائق مصاب .. أو نصف ميت ..

★ ★ ★

ارتسمت علامات الضيق ، على وجه المهندس (رياض) ، كبير مصممى الطائرات ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، وهو يقول لزميلته الدكتورة (سميرة) :

- لماذا يمنعوننا من مشاهدة الاختبار ؟ .. ألم نضع نحن تصميمات الـ (م - ١) هذه ؟

ابتسمت وهى تربّت على كفه مهدّئة ، وتقول :

- لاريب أن لديهم أسبابهم .. لاتنس أن هذه الطائرة تعد أقوى أسلحة العالم الحديث ، ومن حقهم أن يحيطوا تجربتها بإطار من السرية المطلقة .

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

- ليس بالنسبة إلينا .

قالت فى حزم :

- بل بالنسبة للجميع .. إجراءات الأمن تحتم هذا .

هزّ كتفيه ، وكأنه يعلن اعتراضه على قولها ، وعاد ينشغل بجهاز

الكمبيوتر ، الذى يحمل تصميمات الطائرة الجديدة ، فى حين أطلق زميله المهندس (هيثم) ضحكة مرحة ، وقال مداعبًا :

- فى المرة القادمة سيسمحون لنا بقيادتها .

غمغم (رياض) :

- لست أميل اليوم للمزاح .

ابتسمت (سميرة) فى تعاطف ، وقالت لـ (هيثم) :

- أظن التجربة بدأت الآن .. أليس كذلك ؟

تطلّع إلى ساعته ، وقال :

- نعم .. لقد بدأت فى مكان ما .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا فى مرح :

- ما رأيك ؟ .. هل أدعوك إلى الغداء بهذه المناسبة ؟

أشارت إلى باب المختبر ، قائلة بابتسامة صافية :

- لن يسمح حارسانا بهذا .

لوّح بكفه ، قائلًا :

- ياللسخافة ! .. كدت أنسى أنهم يحيطوننا بحراسة مشدّدة هنا .

أجابته عن اقتناع :

- إنها ليست حراسة ، بقدر ما هى محاولة لحمايتنا ، فلا تنس أنهم يعتبروننا أفضل مصممى الطائرات ، فى العالم أجمع ، ثم إن تصميمات (م - ١) كلها لاتتجاوز عقولنا ، وأجهزة الكمبيوتر الموضوعة هنا .

فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها ، كان أحد حارسى المختبر يقول لزميله :

- لقد تأخر حارسا النوبتجية الصباحية .. أليس كذلك ؟

أجابه زميله فى برود :

- لن يطول انتظارنا لهما حتمًا .. أنت تعرف الأوامر .

ارتفعت دقات الساعة ، فى هذه اللحظة ، تعلن تمام الثامنة صباحًا ، فقال الحارس الأوّل :

- المفروض أن تبدأ نوبتهما الآن .

استدار إليه زميله بنظرات جامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وشعر الأوّل بالدهشة ، إزاء هذه النظرات الباردة الجامدة ، فسأل زميله فى قلق :

- ماذا أصابك ؟

فوجئ به يسحب مسدسه الليزرى ، ويصوّبه إليه ، فهتف ، وهو يسحب مسدسه بدوره :

- ماذا تفعل ؟

انطلقت الأشعة تخترق ذراعه ، قبل أن يتمّ كلمته ، فأطلق صرخة ألم ، وتراجع فى حركة حادة ، وهو يصرخ :

- هل جننت ؟

رأى فوهة المسدس مصوّبة إليه مرة أخرى ، فأسرع يطلق أشعة مسدسه هو ، ورأى خيط الأشعة يضرب صدر زميله ، فوق موضع القلب بسنتيمترات قليلة ، ويخترقه ، وينفذ من الناحية الأخرى ، دون أن يبدو التأثر على زميله ، الذى ضغط زناد مسدسه فى برود كامل ..

وأصابت الأشعة عنق الحارس هذه المرة ، وعندما اتسعت عيناه فى ذهول ، كان آخر مشهد وقع عليه بصره ، هو فوهة مسدس زميله ، المصوّبة إلى جبهته ، وخيط الأشعة ينطلق منها ..

ثم لم يعد ينتمى إلى عالمنا ..

وفى الداخل ، رأت الدكتورة (سميرة) وميض خيوط الأشعة ، عبر جزء زجاجى نصف معتم ، فى النصف العلوى للباب ، فاعتدلت هاتفة فى ذعر :

- ماذا حدث ؟

لم تكد تتم عبارتها ، حتى اقتحم الحارس الباب فى عنف ، وتطلع إلى الجميع بنظرته الجامدة المخيفة ، والدم يلوث النصف الأيسر من زيه الرسمى ، فتراجعت الدكتورة (سميرة) ، صارخة :

- النجدة .. النجدة ..

التفت (هيثم) و (رياض) إلى الحارس فى حدة ، وصاح (هيثم) :

- خيانة .. إنها خيانة .

أدار الحارس فوهة مسدسه إليه فى سرعة ، وأطلق نحوه خيطًا من الأشعة ، أصابه فى بطنه ، وألقاه إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بأجهزة الكمبيوتر ، وسقط معها أرضًا ، وأطلقت (سميرة) صرخة رعب هائلة ، فى حين تقدّم الحارس فى هدوء ، إلى حيث سقط (هيثم) ، الذى أمسك إصابة معدته ، وأخذ يصرخ فى ألم ، فصوّب الحارس مسدسه إلى رأسه ، وسمعه يصرخ :

- لا .. لا .. لا تطلق النار .

ولكن الحارس ضغط الزناد فى برود كامل ، وأطلقت (سميرة) صرخة رعب وارتياع أخرى ، عندما رأت الأشعة تخترق رأس (هيثم) ، وسمعت المهندس (رياض) يصرخ بها :

- اهربى ياسميرة .. اهربى بسرعة .

استدار إليه الحارس فى حركة سريعة ، وأطلق نحوه خيط أشعة واحد ، اخترق قلبه على الفور ، فجحظت عيناه ، وترنّح لحظة ، ثم سقط جثة هامدة ..

وكان هذا أكثر مما تحتمل (سميرة) ..

أكثر مما تحتمل بكثير ..

وبكل قوتها ، راحت (سميرة) تطلق صرخات رعب هائلة ، وهى تهتف :

- لاتقتلنى .. لاتقتلنى .

ولكن الحارس أدار جسده إليها فى بطء ، ثم رفع مسدسه ، يصوّبه إلى رأسها فى برود عجيب ..

وصرخت (سميرة) أكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة انتعش الأمل فى قلبها

لقد رأت حارسى نوبة الصباح ، وهما يندفعان عبر الباب ، ويصوّبان مسدسيهما إلى الحارس الجامد ، وأحدهما يصيح :

توقف يارجل .. توقف أو نطلق النار عليك مباشرة .

لم يبد حتى أن الحارس قد سمعهما ، فقد ضغط زناد مسدسه فى هدوء ، وأطلق خيطًا من الأشعة القاتلة ، احتكّ بعنق (سميرة) ، وأصاب الحائط من خلفها ، فاتسعت عيناها فى رعب ، وسمعت أحد الحارسين الآخرين يصرخ :

ـ اقتله .. اقتله بلا تردد .

انطلقت خيوط أشعة مسدس الحارسين الآخرين ، تشقّ فراغ المختبر ، وتضرب جسد الحارس ، فى مواضع عديدة ، إلا أن وجهه ظلّ جامدًا ، ولم يهتزّ جسده قيد أنملة ، وهو يصوّب مسدسه فى إحكام هذه المرة ، نحو رأس الدكتورة (سميرة) ، التى التصقت بالحائط فى رعب ، فى حين ردّد أحد الحارسين فى ذهول :

ـ مستحيل !

وهنا أطلقت (سميرة) صرخة رهيبة ..

ثم انطلق خيط الأشعة ..

وانكتمت صرخاتها ..

إلى الأبد ..

وفى مزيج من السخط والغضب والخوف ، انهال الحارسان على

زميلهما بخيوط الأشعة مرة أخرى ، ورأياه يخرج من جيبه قنبلة شديدة التدمير ، وهو يترنح ، من كثرة ما أصابه من طلقات ، فتراجعا صارخين :

ـ إنه سينسف المكان .

وبكل هدوء ، ضغط الحارس زر التفجير فى القنبلة ..

ودوى الانفجار .

* * *

٢ ـ المهمة ..

أوقف الرائد (نور) سيارته الصاروخية ، أمام مبنى من طابقين ، يبدو عادى المظهر ، ويحمل لافتة مضيئة ، تشير إلى كونه أحد شركات الرحلات السياحية الصغيرة ، وغادر السيارة فى هدوء ، واتجه إلى موظفة الاستقبال بالشركة السياحية ، وسألها فى لهجة بسيطة :

ـ مساء الخير .. هل يمكننى حجز بعض الأماكن ، فى واحدة من رحلاتكم السياحية إلى القمر ؟

ابتسمت الموظفة ، وهى تقول :

ـ بالطبع ياسيِّدى .. نحن فى خدمتك هنا ، ويسعدنا أن تعلم أننا أوَّل شركة خاصة ، تنظم رحلات سياحية إلى القمر ، بعد إلغاء سجن القمر ، وتحويل مبناه إلى فندق فاخر .

قال فى هدوء :

ـ عظيم .. هل يمكننى معرفة أسعار رحلاتكم ؟

رفعت سبَّابتها ، مجيبة :

ـ هذا يتوقَّف على نوع الرحلة ، ووسيلة الانتقال التى تفضِّلها ، و ..

قاطعها بنفس الهدوء :

ـ مارأيك فى صاروخ مباشر قديم ؟

اتسعت عيناها لحظة ، وهى تحدِّق فى وجهه ، ثم لم تلبث ملامحها أن استعادت هدوءها فى سرعة ، وهى تقول :

ـ لابأس .. لو أنه يتكوَّن من ثلاث مراحل .

قال منهيًا العبارات السرية المتفق عليها :

ـ تكفى مرحلة واحدة .

ابتسمت ابتسامة ارتياح ، وأشارت إلى حجرة جانبية ، قائلة :

ـ فى هذه الحالة يتحتَّم أن تلقى نظرة على برامجنا ، فى حجرة الفيديو ، ثم تختار ما يناسبك منها يا سيِّدى .

قال فى هدوء :

ـ لا بأس .

واتجه نحو الحجرة الجانبية ، فدخلها ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، وضغط زرًّا خفيًا فى الحائط ، فبرز أمامه جهاز خاص ، له شاشة فيروزية صغيرة ، وضع (نور) كفه فوقها ، فتألقت ببريق أخضر أخَّاذ ، ثم لم تلبث أن خبت ، وحملت عبارة تقول :

ـ تم التعرُّف .. الدخول إلى المقر الرئيسى مسموح .. لا أسلحة .

انتزع (نور) مسدسه الليزرى ، ودسَّه فى فراغ خاص ، ولم يكد يفعل ، حتَّى انخفضت به أرضية الحجرة ، ووجد نفسه يهبط وسط اسطوانة زجاجية شفَّافة ، يغمره داخلها ضوء بنفسجى هادئ ..

وبعد دقيقة كاملة من الهبوط ، توقفت الأسطوانة عند طرف ممر طويل ، مضاء بنفس الضوء البنفسجى الهادئ ، فغادرها (نور) ، وعبر الممر إلى قاعة متوسطة الحجم ، لم يكد يلجها حتى توقف ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، قائلًا :

ـ الرائد (نور الدين) فى خدمتك يا سيِّدى .

التفت إليه القائد الأعلى ، وهبَّ رجل وقور من أحد المقاعد ، هاتفًا فى سعادة :

ـ (نور) .. كم تسعدنى رؤيتك يا فتى !

تهلَّلت أسارير (نور) ، وهو يتقدَّم لمصافحة الرجل ، قائلًا :

ـ أنا أيضًا تسعدنى رؤيتك يا دكتور (حجازى) .. إننا لم نلتق منذ زمن طويل .

ربّت الدكتور (محمد حجازى) على كتف (نور) ، وقال :

ـ نعم .. منذ تلك الأيام العصيبة .

انتبه (نور) إلى أن هذه التحيات لا تليق ، وهو يلتقى بالقائد الأعلى ، من أجل مهمة خاصة ، فاعتدل فى وقفة عسكرية ثابتة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيّدى القائد الأعلى .. ولكن رؤية أستاذى أسعدتنى حقًا .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ إنها تسعدنى كذلك أيها الرائد .

ثم أشار إليه ، قائلًا :

ـ اجلس أيها الرائد (نور) ، فحديثنا سيطول .

اتخذ (نور) مجلسه ، أمام القائد الأعلى ، وجلس الدكتور (حجازى) إلى جواره صامتًا ، فى حين قال القائد الأعلى :

ـ من حسن الحظ أن أحدًا لم يعد يذكر ما فعلته من أجل الأرض يا (نور) ، وإلا لصار عملك فى المخابرات العلمية ، بكل ما يقتضيه من سرية وحيطة ، مستحيلًا .

غمغم (نور) :

ـ هذا صحيح .

كان واثقًا من أن القائد الأعلى لم يستدعه لمقابلته ، ليبلغه هذا فحسب ، لذا فقد شحذ كل حواسه ، وهو يتطلّع إلى القائد الأعلى فى تساؤل ، جعل هذا الأخير يقول :

ـ إننا نواجه لغزًا عجيبًا هذه المرة يا (نور) .. يحتاج إلى عقلية فذة كعقليتك ، وفريق نادر كفريقك .

انتبهت حواس (نور) أكثر وأكثر ، مع هذه المقدّمة المختصرة ، وسأل :

ـ أى لغز هذا يا سيّدى ؟

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ سأشرح لك كل شىء بالتفصيل .

وفى اهتمام ، ودون إهمال لأدنى التفاصيل ، شرح له القائد الأعلى كل ما حدث فى أثناء اختبار الطائرة (م ـ ١) ، وفى مخزن الذخيرة الرئيسى ، وداخل إدارة البحث العلمى ، واستمع إليه (نور) فى انتباه شديد ، حتى انتهى من روايته ، ثم هتف :

ـ ولكن لماذا يحدث كل هذا يا سيّدى ؟ .. هل تم اختبار هؤلاء الرجال الثلاثة جيدًا ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. وخاض كل منهم كل الاختبارات المطلوبة ، فالطيّار واحد من أكفإ طيارينا ، وله سجل حافل فى القوات الجوية ، وتاريخه يؤكّد إخلاصه الشديد لوطنه ، وتفانيه فى خدمته ، وعلى الرغم من ذلك فقد تم إخضاعه لكل الفحوص ، والتأكّد من شخصيته جيدًا ، قبل أن يتلقّى تدريباته على الطائرة ، أو يراها رأى العين ، ولقد تصوّر بعض علمائنا أنه قد أصيب بالجنون فى أثناء الطيران ، بسبب السرعة الفائقة ، التى كان يتحرّك بها ، ولكن كل الدراسات ، والفحوص السابقة ، أكّدت استحالة حدوث هذا ، وهكذا تجد أننا لا نملك تفسيرًا واحدًا لما أصابه ، وهذا ينطبق أيضًا على السائق ، فهو سائق مثالى منذ عمل بالقوات الجوية ، حتى أنه يحوز ثقة كل رؤسائه ، وكل مخازن الذخيرة ، التى عمل بها ، وكذلك الحارس فى إدارة البحث العلمى ، الذى تم اختياره بمنتهى الدقة ، حفاظًا على أرواح العاملين هناك ، وعلى سرية المشروع ، دون أن يتصوّر أحدنا أن ينقلب هكذا فجأة ، فيقتل من ينبغى عليه حمايتهم .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن قدرة السائق والحارس ، على احتمال خيوط الأشعة ، التى تصيب جسديهما ؟

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، ولوّح بكفه ، قائلًا :

ـ لست أدرى كيف احتملاها .

قال (نور) :

ـ ربما كان هناك تفسير .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ مثل ماذا ؟

أجابه باهتمام بالغ :

ـ ربما يبدو تفسيرًا خياليًا بعض الشىء ، ولكنه يتفق مع هذه النقطة بالذات .. فماذا لو أن الرجال الثلاثة ، الطيّار والسائق والحارس ، لم يكونوا هم من نتصوّرهم .. أقصد أن يكون هناك من احتل مواضعهم .. ولست أقصد بهذا بعض الجواسيس المتنكرين ، ممن أجريت لهم عمليات جراحية تجميلية ، وإنما أقصد احتمالًا آخر ، أكثر إغراقًا فى الخيال .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ أقصد أشخاصًا آليين .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ فكرة جيّدة يا (نور) ، ولكنها غير صحيحة ، فقد قمت بنفسى بتشريح جثتى السائق ، الذى عثر عليه رجال الأمن صريعًا ، دون أن يجدوا أدنى أثر للشاحنة ، والحارس ، ويمكننى الجزم أنهما بشريان ، دون أدنى شك ، ولكن يدهشنى بالفعل أن يصاب كل منهما ، بكل هذا القدر من الأشعة والجروح ، دون أن يسقط صريعًا على الفور ، فقد كانت أحشاؤهما الداخلية ممزقة بخيوط الأشعة ، حتى أننى وجدت صعوبة شديدة فى فحصها .

عقد (نور) حاجبيه مفكرًا ، وهو يقول :

ـ لا ريب أنه يوجد تفسير منطقى آخر إذن .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ دعك من هذا الآن يا (نور) ، فالمشكلة تتجاوز عن هذا التفسير بكثير .

التفت إليه (نور) ، يسأله :

ـ ما المشكلة الفعلية إذن يا سيّدى ؟

لوّح القائد الأعلى بكفه ، قائلًا :

ـ المشكلة هى أننا فقدنا كل معلوماتنا ، حول الطائرة (م ـ ١) ، بمصرع مصمميها ، ونسف أجهزة الكمبيوتر ، التى تحوى كل التصميمات ، كما فقدنا النموذج الوحيد منها أيضًا ، وهذا يعنى أن شخصًا ما ، أو جهةً ما ، قد أعدت الأمر بمنتهى الدقة ، حتى أمكنها الحصول على أقوى طائرة فى العالم ، ومنعنا من إنتاج مثيل لها .

وارتجف صوته فى انفعال ، وهو يضيف :

ـ وهذه الطائرة واحدة قادرة على التصدى لجيش كامل أيها الرائد ..صدقنى .. إننا نواجه كارثة .. كارثة رهيبة ..

★ ★ ★

تحرّكت قافلة الدبّابات الذرية الجديدة ، تحت حراسة مشدّدة ، وغطاء جوى مناسب ، عبر صحراء (سيناء) الجنوبية ، فى طريقها إلى قاعدتها الجديدة ، فى قلب (سيناء) ، وبدا الجو فى ذلك النهار صحوًا ، وكل شىء هادئ مثالى ، يسير وفقًا للخطة المتفق عليها ، وتطلّع قائد السرب إلى السماء الصافية ، وطائرات الحراسة العشر ، التى تعبرها جيئة وذهابًا طيلة الوقت ، وابتسم وهو يقول لمساعده :

ـ لو أننا نستعد لخوض حرب بريّة عنيفة ، لما شعرت بأمان أكثر من هذا ، مع وجود هؤلاء النسور العشرة فوق رءوسنا .

تطلّع مساعده إلى الطائرات القوية ، وقال :

ـ لست أظن دولة أخرى تجرؤ على خوض حرب معنا الآن ، فقد بلغنا شأنًا لا بأس به ، فى التسليح والعتاد ، فى الآونة الأخيرة ، بعد أن تحرّرت الأرض ، وصرنا واحدة من أقوى دول المنطقة .

ابتسم القائد ، وقال :

- من حسن حظ الدول الأخرى أن (مصر) لاتميل إلى الاعتداء على الآخرين ، وليست صاحبة ميول استعمارية أو عدوانية .. وفى رأيى أنه لن تكون هناك حروب أخرى ، أو ..

قطع عبارته سقوط تلك الحزمة السميكة من أشعة الليزر ، التى تألقت فى السماء ، قبل أن تنفجر فى نهاية السرب ، وتطيح بثلاث دبابات ذرية دفعة واحدة ، فهتف فى هلع :

- ماذا حدث ؟ .. هل اندلعت الحرب ؟

عبرت فوق رأسه ، فى اللحظة نفسها ـ المقاتلة (م ـ ١) ، وشقت طريقها فى لمح البصر ، ثم ارتفعت وسط المقاتلات الأخرى ، التى استدارت لتصدّ هجومها ، ولكن ..

كانت سرعة الطائرات الأخرى أشبه بسرعة السلحفاء ، أمام تلك السرعة المذهلة لـ (م ـ ١) ..

وفى لحظات قليلة ، انفجرت ثلاث طائرات فى السماء ، وهوت رابعة مشتعلة ، فى حين انخفضت (م ـ ١) مرة أخرى ، غير عابئة بقذائف الليزر ، التى تطلقها الطائرات الأخرى نحوها ، ونسفت خمس دبابات بمدفعيها الليزريين ، قبل أن ترتفع مرة أخرى ، عبر خيوط الليزر ، وتسحق طائرتين بصاروخين مباشرين ..

كان من الواضح أن المعركة غير متكافئة على الإطلاق ، وأن المقاتلة السوداء قادرة وحدها على حسم القتال لصالحها ، كما لو كانت فيلا ضخمًا ، يواجه فى هدوء ، جماعة من الأرانب العجوز ..

وحاولت الطائرات الثلاث الباقية الدفاع عن نفسها ، وعن الدبابات المتبقية من السرب ، بعد أن فجّرت المقاتلة السوداء سبع دبابات أخرى ، وراحت الدبابات التسع المتبقية تبحث عن وسيلة للفرار ، أو الاحتماء من هذا الهجوم ، وساد الهرج والمرج بين طاقم الحراسة ، المصاحب للسرب ، ولكن المقاتلة الرهيبة انقضّت عليها فى سرعة تفوق الخيال ، وسحقت إحداها بمدفعها الليزرى ، وفجّرت الثانية بصاروخ مباشر ، ثم

تراجعت بزاوية عجيبة ، وهاجمت سرب الدبابات مرة أخرى ، مع طاقم الحراسة ، وأصابت أربع دبابات ، وأبادت طاقم الحراسة كله ، بثلاث حزم متتابعة من مدفعى الليزر ..

وتصوّر الطيّار المتبقى أن الطائرة ستعاود هجومها عليه مرة أخرى ، فتسحقه دون رحمة ، ودون أن تمنحه فرصة الفرار ، إلا أنه فوجئ بها تتجاوزه بسرعة مذهلة ، وتواصل طريقها فى خط مستقيم ، حتى تختفى ..

واتسعت عينا قائد السرب ومساعده ، اللذين بقيا على قيد الحياة ، بعد هذا الهجوم المباغت السريع ، وتمتم القائد ذاهلا :

- ما هذا الشىء ؟ .. وكيف فعل بنا هذا ؟ .. كيف ؟

★ ★ ★

« هذا هو السؤال .. »

نطقها (نور) فى هدوء شديد ، وهو يواجه فريقه كله ، الذى انضمّ إليه الدكتور (حجازى) ، و (نشوى) ، قبل أن يضيف :

- من الواضح أننا نواجه نوعًا من القوة الشديدة ، القادرة على التحكم فى العقول ، ودفع بعض الأشخاص إلى إتيان أفعال عنيفة وعجيبة ، لايمكنهم إتيانها فى حياتهم وبطبيعتهم العادية ، وقد يكون مصدر هذه القوة أرضيٌّ ، أو من كوكب آخر ، ولكنها تؤتى ثمارها حتمًا ، والذين يستخدمونها نجحوا حتى الآن فى الحصول على واحد من أقوى أسلحة الأرض ، والله (سبحانه وتعالى) وحده ، يعلم فيم يريدون استخدامها .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

- أليس من المحتمل أن يكون هذا نوعًا من التنويم المغناطيسى يا (نور) ؟

أجابها (نور) ، وهو يشير إلى (رمزى) :

- هذا السؤال يحتاج إلى رأى خبير .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. لست أعتقد هذا يا (سلوى) ، فصحيح أن التنويم المغناطيسى يمكنه استخراج الكثير من أعماق البشر ، وإقناعهم بفعل مالا يتصورون قدرتهم على فعله ، ولكنه يعجز حتى الآن ، عن دفعهم إلى القيام بأعمال ، يرفضون القيام بها فى يقظتهم ، أو تخالف ما يؤمنون به فى أعماقهم ، وتوجد أكثر من واقعة حقيقية ، فى الكتب التى تبحث هذا العلم ، تؤكد هذه النظرية ، فلن يمكنك أبدا إقناع أب بقتل ابنه مثلًا ، حتى ولو كان تحت تأثير تنويم مغناطيسى قوى(*)

قال (محمود) فى اهتمام :

ـ ماذا لو أن شخصا ما يعمل على توجيه هؤلاء الأشخاص ، بآلات توجيه عن بعد ؟ .. لقد واجهنا شيئا كهذا من قبل يا (نور) .. هل تذكر ذلك العالم المجنون ، الذى كان يزرع أجهزة محو الإرادة والسيطرة فى العقول ؟(* *)

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لست أظن هذا يا (محمود) ، فلقد فحصت مخى الرجلين جيدًا ، وكان هذا أول ما فعلته فى الواقع ، ولم أعثر فيهما على أى شىء غير طبيعى ، على الرغم من أننى قد فحصتها بالميكروسكوب الإليكترونى ، خلية خلية .

هتفت (نشوى) :

ـ عجبًا ! .. ما الذى أصابهم إذن ؟ .. أهو فيروس جديد ؟

قال الدكتور (حجازى) :

ـ لا يوجد أدنى أثر للفيروسات فى دمائهم ، أو نخاعهم الشوكى ، أو خلاياهم الليمفاوية .

(*) حقيقة علمية .

(* *) راجع قصة (مثلث الغموض) المغامرة رقم (١٥) .

ـ إننا فى الواقع نواجه شيئًا مجهولًا .. مجهولًا تمامًا .

قال (نور) :

ـ أو هى قوة ما ، تحاول منعنا من بلوغ درجة الرقى العسكرى المنشودة ، خشية أن نصبح أقوى دولة فى العالم الحديث .

قالت (سلوى) فى انفعال :

ـ إنها عملية جاسوسية إذن .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ ربما .. ولكن السؤال هو كيف تتم ؟ وكيف ينجحون فى دفع أفضل رجالنا إلى فعل كل هذا ؟ وكيف ..؟

قاطعه أزيز جهاز (التليفيديو) ، فأشار لرفاقه ، قائلًا :

ـ معذرة يا رفاق .. أظنها رسالة من الإدارة .

اتجه إلى حجرته الخاصة ، وأغلق بابها خلفه ، وساد الصمت فى المكان بضع لحظات ، بعد مغادرته إياه ، ثم قالت (نشوى) :

ـ لماذا نواجه دائمًا تلك الأمور العجيبة ؟

أجابها (رمزى) مبتسمًا :

ـ لأن هذا قدرنا .

أضافت (سلوى) :

ـ وعملنا .

برز (نور) من حجرته ، فى هذه اللحظة ، وبدا محتقن الوجه ، على نحو جعل (سلوى) تسأله :

ـ أكانت رسالة من الإدارة بالفعل ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى ضيق :

ـ لقد هاجمت الطائرة (م ـ ١) سربًا للدبابات الذرية ، ودمرته كله تقريبًا ، فيما عدا خمس دبابات ، وطائرة واحدة من طائرات الحماية

الجوية ، كما أبادت طاقم حراسة السرب عن آخره .

كان الجميع يدركون مدى كراهية (نور) للقتل والدمار ؛ لذا أدركوا سر احتقان وجهه ، وذلك الضيق الذى يملأ ملامحه ، ودفعهم هذا إلى التزام الصمت قليلًا ، قبل أن يقول (نور) :

ـ إنهم يحاولون إثبات قوة ما حصلوا عليه .

سأله الدكتور (حجازى) بغتة :

ـ ولكن لماذا تركوا خمس دبابات وطائرة ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى صمت ، فاستطرد الدكتور (حجازى) :

ـ أنا أتفق معك فى أنهم هاجموا السرب لإثبات قوتهم ، ولكن لماذا تركوا بعض المعدات سليمة ؟

أجابت (نشوى) فى تردّد :

ـ ربّما لأن ذخيرتهم نفدت .

قال (نور) :

ـ لا .. هذاالاحتمال ليس واردًا ، فطاقة مدفعى الليزر تكفى وحدها لنسف مدن كاملة ، وليس مجرّد سرب واحد .

قالت (سلوى) :

ـ ربما حدث ما ..

قاطعتها عبارة (رمزى) :

ـ لقد أرادوا ترك شهود على ما حدث .

التفت إليه الجميع ، وهتف الدكتور (حجازى) :

ـ شهود ؟! .. ياإلهى ! .. نعم .. هذا هو التفسير المنطقى .

تابع (رمزى) حديثه بلغة خبير :

ـ إنهم يحاولون إعلامنا بما فعلوه ، وهذا يحتاج إلى شهود يجيدون

فهم ما حدث ، فالطيّار المتبقى على قيد الحياة سيشرح بالتفاصيل الفنية قوة الطائرة ، وكذلك سيفعل طاقم الدبابات السليمة .

بدت علامات التفكير على (نور) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ لا .. ما زالت هناك نقطة غامضة فى الأمر ، فلو أن من وراء هذه العملية يريدون شهودًا على ماحدث ، لا كتفوا بترك طائرة ودبابه واحدة فحسب ، ولكنهم تركوا خمس دبابات دفعة واحدة ، ثم إنهم لا يحتاجون لإثبات قوة سلاحهم ، إذ أننا نعرفها جيدًا ، بحكم أنه كان سلاحنا نحن .. لا يارفاق .. هناك تفسير آخر لكل هذا .

نهضت (سلوى) من مقعدها ، وقالت :

ـ كم أتمنى لو أعرفه .

قالتها واتجهت نحو نافذة الحجرة ، فى الطابق العلوى من إدارة المخابرات العلمية الجديدة ، ووقفت تتطلّع إلى الأهرامات الثلاثة ، التى تبدو واضحةً من بعيد ، فى حين قال (نور) فى اهتمام :

ـ هناك نقطة هامة ، أظن أنه يمكننا البدء منها يا رفاق .

سأله (محمود) :

ـ ما هى ؟

أجابه (نور) :

ـ نقطةٌ لم ننتبه إليها ، وهى كمية الصواريخ ، التى حملها السائق (فتحى) من مخزن الذخيرة .. لقد كانت كمية أضخم مما ينبغى .

قال (رمزى) :

ـ لقد سرقوها للحصول على ذخيرة كافية .

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ لست أقصد هذا ، ولكننى أقصد أن السائق كان يحمل تصريحًا صحيحًا ، بنقل هذه الكمية الضخمة ، من المخزن الرئيسى ، فكيف حصل على هذا التصريح ؟

ومن من القادة وقّعه ؟

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ نقطة رائعة يا (نور) .. كيف لم ننتبه إليها ؟ .. لقد عثرت على هذا التصريح فى جيب السائق ، وهو يحمل توقيع أحد قادة القوات الجوية ، ولكننى لم أهتم بهذا كثيرًا فى حينه ، ولكن .. يا إلهى ! .. قد يكون هذا هو طرف الخيط ، الذى يقودنا إلى حل اللغز كله .

كانت (سلوى) تستمع إليهم فى صمت ، وهى تتطلّع إلى الأهرامات الثلاثة ، التى بدت قوية شامخة ، وكأنها تتحدّى الزمن ..

وفجأة لمحت تلك النقطة السوداء ، القادمة من بعيد ..

وفجأة أيضًا ، أدركت كنهها ..

وبصرخة قوية ، تراجعت (سلوى) هاتفة :

ـ إنها هى .

أدار الجميع عيونهم إليها فى سرعة ، ثم لم تلبث عيونهم أن اتسعت فى هلع ، عندما وقع بصرهم على ما تشير إليه ..

لقد رأوا المقاتلة (م ـ ١) ، عبر النافذة ..

رأوها تهاجمهم .

* * *

٣ ـ الهجوم الشرس ..

أطلق الدكتور (ناظم) من أعماق صدره زفرة قوية ، ولوّح بكفه فى أسى ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لا أمل .. لم نجد لدينا نسخة واحدة ، من هذه التصميمات .

هزّ القائد الأعلى رأسه فى أسف ، وقال :

ـ هذا لأننا أردنا إحاطة الأمر بسرية بالغة .. يا إلهى ! .. لأوّل مرة فى حياتى أشعر بالأسف ، لمبالغتنا الشديدة فى السرية .

قال الدكتور (ناظم) فى غيظ :

ـ لقد لعب من وراء الأمر لعبتهم جيدًا ، ونسفوا كل من يعرف شيئًا عن التصميمات ، والمقاتلة ، واستولوا على النموذج الوحيد منها ، بحيث لم نعد نحن قادرين على إنتاج مثلها .

قال القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ ولكن كيف عرفوا كل هذا ؟

التفت إليه الدكتور (ناظم) ، يسأله :

ـ كل ماذا ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ كيف عرفوا مكان اختبارها السرى ؟ .. إن مصمميها أنفسهم كانوا يجهلون هذا !

صمت الدكتور (ناظم) ، وهو يفكّر فى الأمر بعمق ، قبل أن يقول :

ـ من المؤكّد أن لديهم جاسوسًا بيننا .

قال القائد الأعلى فى عصبية :

ـ ومن هذا الجاسوس ؟ .. من ذا الذى يعلم كل هذا ؟

صمت الدكتور (ناظم) لحظات أخرى ، وبدت على ملامحه دلائل التفكير العميق ، قبل أن يقول ، فى حذر وتردّد :

- المفروض أن هذه المعلومات كانت بالغة السرية ، ولا يعلمها سوى ..

دوى انفجار مكتوم ، فى هذه اللحظة ، جعله يبتر عبارته ، ويهتف :

- ماذا حدث ؟

أسرع القائد الأعلى يضغط أزرار راصده الخاصة ، واتسعت عيناه دهشةً ، وهو يتابع شاشته ، قبل أن يهتف :

- ربّاه ! .. إنه يهاجمنا .

كانت صورة المقاتلة السوداء واضحة على الشاشة ، وقد أصابت برج الاتصال ، على قمة المبنى ، ونسفته تمامًا ، ثم ابتعدت ، استعدادًا لانقضاضة جديدة ، تنسف بها المبنى نسفًا ..

وهتف القائد الأعلى ، عبر جهاز اتصال خاص :

- خطة الطوارئ الأولى .. وبأقصى سرعة .

نقلت إليه الشاشة صورة المقاتلة الرهيبة ، وهى تنقضّ مرة أخرى على المبنى ..

وعلى الطابق العلوى منه بالذات ..

ذلك الطابق الذى يجتمع فيه (نور) مع فريقه ..

أو ذلك القبر القادم ..

* * *

لم تكد (سلوى) تطلق صيحتها ، وهى تشير إلى المقاتلة ، حتى أطلقت (م - ١) مدفعيها الليزريين على برج الاتصال ، المثبت أعلى المبنى ، فارتجّ الطابق العلوى كله ، وسقط البرج أمام عيون الجميع ، وهتف (نور) :



أطلقت (م - ١) مدفعيها الليزريين على برج الاتصال ، المثبت أعلى المبنى ، فارتجّ الطابق العلوى كله ، وسقط البرج أمام عيون الجميع ..

- تراجعوا بسرعة .. فلنهبط جميعًا إلى المخبأ السفلى .

صاح الدكتور (حجازى) فى هلع ، وهو يتطلّع إلى الطائرة ، التى انقضت عليهم مباشرة :

- لا فائدة .. لن نجد الوقت الكافى لهذا ، أو ..

بتر عبارته ليطلق شهقة قوية ، عندما انطلق صاروخ شديد التدمير ، من أحد جناحى الطائرة ، وانطلق نحو الطابق الأخير مباشرة ، وصرخت (نشوى) :

- إنها النهاية ..

ودوى الانفجار ..

- انفجار مكتوم ، بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، مع ارتجاج عنيف ..

ولكن الصاروخ لم يبلغ الطابق ..

رآه الجميع ينفجر ، على قيد عدة أمتار من الطابق ، كما لو كان قد ارتطم بحاجز خفى ، فهتفت (سلوى) :

- أهو حاجز طاقة ؟

أجابها (نور) فى انفعال :

- نعم .. إنها خطة الطوارئ الأولى ..غلاف كهرومغناطيسى قوى ، يحيط بالمبنى كله فى لحظة واحدة .. لست أدرى هل سيصمد أمام تلك الصواريخ ومدافع الليزر أم لا .

كانت الطائرة قد ابتعدت ، فور انفجار الصاروخ ، ثم عادت تنقضّ مرة أخرى على الكهرومغناطيسى ، وتطلق عليه مدفعيها الليزريين هذه المرة ..

ودوى الانفجار أكثر عنفًا ..

وارتجّ المبنى فى قوة ..

وهتفت (نشوى) هذه المرة :

- لن يصمد الحاجز .. سينهار فى الضربة القادمة .

كان الجميع قد تجمّدوا فى أماكنهم ، وهم يراقبون المقاتلة ، التى دارت دورة أفقية أخرى ، ثم عاودت الانقضاض على الطابق الذى يحتلونه ..

وهتف (نور) :

- أسرعوا يا رفاق .. ينبغى أن نبلغ المخبأ .

صاحت (سلوى) ، وهى تتراجع فى يأس :

- لا فائدة .. الوقت لن يسمح لنا بهذا .

كانوا جميعًا واثقين من أن الضربة القادمة ستسحقهم سحقًا ، وتجعلهم أثرًا بعد عين ..

هذا لو تبقى منهم أدنى أثر ..

وتراجعت (سلوى) فى رعب ، وهى تكرّر :

- لا فائدة .

ارتطمت فى تراجعها بجهاز صغير ، فسقطت معه أرضًا ، واتسعت عيناها فى ذعر ، عندما شاهدت المقاتلة تنقضّ فى هجوم شرس ، وأطلقت صرخة رعب ، وأغلقت عينيها فى قوة ، وتوقّعت الموت بضربة واحدة ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

- وفى دهشة ، هتف الدكتور (حجازى) :

- يا إلهى ! .. إنها معجزة .

فتحت (سلوى) عينيها ، وتطلّعت فى دهشة إلى المقاتلة ، التى ابتعدت فى سرعة مذهلة ، دون أن تهاجم المبنى مرة أخرى ، واحتبست صرخة فرح فى حلقها ، غير مصدّقة نجاتها ، من ذلك الهجوم ، فى حين هتف (محمود) :

- لاتقل لى إنهم يحتاجون إلى شهود عيان ، فى هذه المرة أيضًا .

بدت الحيرة على وجه (رمزى) ، وهو يقول :
- لا .. ليس فى هذه المرة .
صاحت (نشوى) فى فرح :
- المهم أننا نجونا .
أجابها (نور) ، وهو يفكّر فى عمق :
- والأهمّ هو كيف نجونا .
استرجع بسرعة كل ما حدث ، فى اللحظات القليلة ، التى جرى خلالها الهجوم ، ثم سأل (سلوى) بغتة :
- ما هذا الجهاز ، الذى ارتطمت به يا (سلوى) ؟
ألقت نظرة سريعة على الجهاز ، وأجابت :
- إنه جهاز موجات فوق صوتية يا (نور) .. يبدو أن ارتطامى به قد أشعله ، و ..
بترت عبارتها ، واتسعت عيناها ، وهى تهتف :
- (نور) .. أتقصد أن ..
هتف فى انفعال :
- بالطبع يا عزيزتى .. هذا ما أقصده بالتحديد .. سقوطك على الجهاز أدى إلى تشغيله ، وإلى إطلاق موجاته فوق الصوتية ، ولم يكد هذا يحدث ، حتى تراجع قائد المقاتلة عن هجومه ، وانسحب على الفور .. يا إلهى ! .. لقد توصلنا إلى حقيقة مدهشة .
ثم اندفع نحو (التليفيديو) ، وهتف وهو يضغط أزراره :
- لقد أمسكنا طرف الخيط الحقيقى .
ظهرت أمامه صورة القائد الأعلى ، على شاشة الجهاز ، وهو يقول فى توتر :
- لقد تراجع المعتدون المجهولون عن هجومهم هذه المرة يا (نور) .

أجابه (نور) فى حماس :
- ولقد عرفنا سر تراجعهم يا سيِّدى .
هتف القائد الأعلى :
- عرفتموه ؟! .. أأنت جاد يا (نور) ؟ .. أخبرنى ما توصلتم إليه .. اسرع يا فتى ، فربما كان كشفكم هذا هو أملنا الوحيد فى الخلاص .
قال (نور) فى حماس :
- الموجات فوق الصوتية يا سيِّدى .. إنها تفسد شيئًا ما فى المقاتلة ، أو فى عقل قائدها ، فلا يتمّ الهجوم .
بدت الدهشة على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :
- الموجات فوق الصوتية ؟! .. هذا يحتاج إلى تفكير عميق يا (نور) .
وصمت لحظة ثم أضاف فى حزم :
- وإلى تجربة ..
وكان على حق ..
هذا القرار يحتاج إلى تجربة مضمونة ..
وحاسمة ..

★ ★ ★

استمع الدكتور (ناظم) إلى (نور) ، فى اهتمام شديد ، والتقى حاجباه طويلًا ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه نظريًا ، قبل أن يقول فى حزم :
- من المستحيل أن تكون الموجات فوق الصوتية سببًا فى أى تلف ، يصيب (م - ١) ، فأجهزتها أقوى من أن تتأثر بهذا .
قال (نور) فى حماس :
- وماذا عن قائدها ؟
التفت إليه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى لهجة تحمل شيئًا من الاستنكار :

ـ ماذا عنه ؟

أجابه (نور) :

ـ كلنا نتفق على أن شيئًا ما أثر على عقل قائد (م ـ ١) ، ودفعه إلى مهاجمة القاعدة ، التى ينتمي إليها ، وسرقة المقاتلة ، ونقلها إلى مكان مجهول ، ونحن نجهل طبيعة ذلك الشيء ، أو تلك القوة ، ولكن إطلاق الموجات فوق الصوتية أفسد مفعول ذلك التأثير ، أيًا كان منشؤه ، وهذه هى الحقيقة الواضحة ، فى كل ما حدث .

قال الدكتور (ناظم) فى تردّد :

ـ ربما كانت مجرّد مصادفة .

أجابه (نور) :

ـ إننا لن نخسر شيئًا بتجربة هذا الاحتمال .

وتنحنح ، قبل أن يستطرد ، وهو يلتفت إلى القائد الأعلى :

ـ ولقد سمحت لنفسى باتخاذ خطوة أخرى .

سأله القائد الأعلى :

ـ ما هى ؟

أجابه فى حماس :

ـ الاستماع إلى الطيّار ، وأطقم الدبابات ، التى نجت فى الهجوم السابق ، ولقد أكّد لى هذا نظريتى .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

ـ كيف ؟

أجاب (نور) :

ـ عندما استجوبت الطيّار ، أخبرنى أنه كان يشعر باليأس ، بعد أن بقى وحده ، فى مواجهة المقاتلة الرهيبة ، فحاول استخدام آخر وسائل الاتصال لديه ، وهى وسيلة تعتمد على الموجات فوق الصوتية ، لإرسال استغاثة يائسة ، إلى أقرب قاعدة جوية إليه ، ولم يكد يفعل ، حتى انطلقت المقاتلة

مبتعدة ، دون أن تدمّر باقى السرب ، أو حتى تطلق صواريخها نحوه .

قال الدكتور (ناظم) فى حذر :

ـ هذا يؤيد وجهة نظرك ، ولكن ..

قاطعه (نور) بنفس الحماس :

ـ أعلم يا سيّدى .. الأمر يحتاج إلى تجربة تأكيدية .

سأله فى اهتمام :

ـ وكيف تُجرى مثل هذه التجربة ؟

أجابه (نور) :

ـ لقد بحثت الأمر مع سيادة القائد الأعلى ، ووجدنا أن الأسلوب الأمثل هو أن نلقى طُعمًا لمن وراء ما يحدث .

بدت الحيرة على وجه الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ ما الذى تقصده بالطُعم ؟ .. إننا نجهل حتى الغرض من كل ما يحدث ، فكيف يمكننا تحديد أهداف من وراء ما يحدث ؟

ابتسم (نور) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ من حسن حظى أن فريقى يضمّ عددًا من الخبراء ، فى مجالات شتَّى يا سيّدى ، وأهمهم ـ فى رأيى الشخصى ـ (رمزى) ، خبير الطب النفسي ، الذى درس الموقف كله ، واستخلص منه نتيجة بالغة الأهمية ، وهى أنه ، مهما كان السبب ، فيما يحدث الآن ، وأيًا كانت الأهداف الخفية أو المعلنة ، ومع كل الاحتمالات عن طبيعة خصمنا ، فكل ما يسعى إليه فى الوقت الحالى ، هو استعراض قوته وإمكاناته ، وكل ما يمكنه فعله بنا ، وهذا يعنى أنه يطارد قواتنا ، ويتابع تحركاتنا بوسيلة ما ، ويعنى أيضًا أننا نستطيع اجتذابه إلينا بقافلة عسكرية زائفة ، تتحرك على نحو يثير اهتمامه ، ويدفعه إلى محاولة تدميرها ، وهنا نظهر نحن ، ونطلق موجاتنا فوق الصوتية على المقاتلة ، وستفصح النتائج عن نفسها .

ران الصمت لحظات ، ثم ابتسم الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ فكرة رائعة .

ثم سأل (نور) فى اهتمام :

ـ متى تضعها موضع التنفيذ ؟

أجابه (نور) :

ـ صباح الغد يا سيدى .. ولقد وافق سيادة القائد الأعلى على هذا التوقيت .

رفع الدكتور (ناظم) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ـ بهذه السرعة ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الوقت ليس فى صالحنا يا سيدى .

وافقه الدكتور (ناظم) ، قائلًا :

ـ أنت على حق .

وصمت لحظة ، رمق خلالها القائد الأعلى بنظرة جانبية ، قبل أن يقول :

ـ المهم ألا يتجاوز ما اتفقنا عليه حدود هذه الحجرة ؟

أجابه (نور) فى دهشة :

ـ بالتأكيد .

وقال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ هذا أمر لا جدال فيه .

ولكن (نور) كان قد لمح تلك النظرة الجانبية الحذرة ، التى ألقاها الدكتور (ناظم) على القائد الأعلى ، وأدرك أنه هناك أمر ما غير طبيعى ، فى هذا الموقف ..

غير طبيعى على الإطلاق ..

★ ★ ★

، اللواء (رفيق شوقى) ! ..

تطلّع اللواء (رفيق) إلى (رمزى) ، الذى نطق العبارة السابقة ، ثم نقل عينيه منه إلى (نشوى) ، التى تصاحبه ، وأجاب :

ـ نعم .. أنا اللواء (رفيق شوقى) ، مدير المخزن الرئيسى للقوات الجوية المصرية ، هل من خدمة يمكننى تقديمها إليكما ؟

أجابه (رمزى) فى هدوء :

ـ إننا ننتمى إلى المخابرات العلمية المصرية .

رفع اللواء (رفيق) حاجبيه فى دهشة ، وهو ينقل بصره بين وجهيهما مرة ثانية ، ثم لم يلبث أن أفسح لهما الطريق ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ تفضّلا :

ـ دخلا منزله الأنيق ، ودعاهما هو إلى الجلوس ، ثم سألهما فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـ وما الذى تريده منى المخابرات العلمية بالضبط ؟

قالت (نشوى) :

ـ لا ريب أن سيادتك تعرف حادث سرقة الصواريخ شديدة التدمير ، الذى ارتكبه السائق (فتحى عبد العزيز) ، والذى لقى مصرعه بسببه .

أجابها فى حذر :

ـ بالطبع .. ماذا عنه ؟

قال (رمزى) ، وهو يتفرّس فى ملامح الرجل جيّدًا :

ـ ما زالت هناك عدة نقاط غامضة ، فى هذه القضية ، منها ذلك التصريح ، الذى حصل (فتحى) بموجبه على ألف صاروخ دفعة واحدة ، وهى كمية ـ كما لابد أنك تعلم ـ أضخم مما ينبغى ، خاصة وأننا لسنا فى حالة حرب .

قال اللواء (رفيق) بنفس الحذر :

ـ بالتأكيد .
سألته (نشوى) :
ـ أتوافق على أنها كمية ضخمة .. إلى الحد الذى يثير الشبهات ؟
أجابها دون تفكير :
ـ بالطبع .
وهنا سأله (رمزى) فى صرامة :
ـ لماذا يحمل التصريح توقيعك إذن ؟
تراجع الرجل كالمصعوق ، وهو يهتف :
ـ توقيعى أنا ؟!
أجابه (رمزى) :
ـ نعم يا سيادة اللواء .. لقد حمل التصريح توقيعك فى وضوح .
صاح الرجل فى حدة :
ـ مستحيل ! .. لا ريب أنه توقيع زائف .
قال (رمزى) فى صرامة :
ـ لا .. إنه ليس كذلك .. لقد فحصه حارس البوّابة ، وتأكد من سلامته ، ومن صحة التوقيع ، ولقد أعدنا نحن أيضًا فحصه ، بعد مصرع (فتحى) ، وتأكدنا ، بما لايدع مجالًا للشك ، من أن التصريح يحمل توقيعك ، فما قولك فى هذا ؟ ، ارتسم مزيج من الغضب والثورة ، على وجه اللواء ، وصاح :
ـ بأى حق تستجوبنى يا فتى ؟ .. بأى حق تلقى اتهاماتك جزافًا هكذا ؟
أجابه (رمزى) فى حزم :
ـ إننا نحمل تفويضًا خاصًا ، من القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، والقضية أخطر مما يمكنك تصوّره يا سيّدى ، ومن الضرورى أن نتعاون .

صاح الرجل غاضبًا :
ـ أتعاون فى ماذا ؟ .. أتريد منى اعترافًا بالتورّط فى خيانة عظمى مثلًا ، لتصنع أنت قضية مثيرة ، وتحصل على وسام أنيق ، تعلّقه على صدرك فى المناسبات ؟ أهذا هو ما تسعى إليه ؟
قال (رمزى) فى صرامة ، دون أن تخيفه ثورة الرجل :
ـ بل أسعى للحصول على جواب مباشر وصريح يا سيّدى .
لوّح اللواء بذراعه ، هاتفًا :
ـ وقد حصلت عليه .. أخبرتك أننى لم أوقّع هذا التصريح
قال (رمزى) :
ـ ربما ليس وأنت بوعيك .
حدّق الرجل فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول فى حدة :
ـ ماذا تعنى أيها الشاب ؟ .. إننى لا أفقد وعيى أبدًا ، فأنا ضابط ملتزم ، لا أدخن ، أو أعاقر الخمر ، أو ..
صاح (رمزى) بغتة :
ـ اهدأ ياسيّدى .
كانت مبادرة غير متوقّعة ، فى مواجهة أحد كبار القادة ، مما جعل الرجل يحدّق فى وجه (رمزى) بدهشة ، استغلّها هذا الأخير ، وهو يقول :
ـ لدينا من الأسباب ما يجعلنا نظن ، أن جهة ما قد استخدمت وسيلة من وسائل السيطرة العقلية ، أخضعت بها عقول بعض القادة ، بحيث أمكنها استخدامهم ، دون حتى أن يشعروا بهذا ، لتنفيذ مهام خاصة ، قد تؤذى وطنهم .
ردّد الرجل فى دهشة بالغة :
سيطرة عقلية ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

- نعم .. وقد تكون الوسيلة بسيطة للغاية ، بحيث يصعب تصوّرها ، مثل إضافة أحد عقاقير التخدير البسيطة فى مشروب أو طعام ، ثم استخدام التنويم المغناطيسى بعدها ، لاختلال عقل الضحية .

هتف اللواء مستنكرًا :

- تنويم مغناطيسى ؟!

ثم لوّح بذراعه ، هاتفًا :

- هراء .. كل هذا مجرّد هراء .. لن يمكنك إقناعى بحرف واحد منه .

تبادل (رمزى) و (نشوى) نظرة قلقة ، وقالت (نشوى) :

- ولماذا لا تقتنع به يا سيّدى ؟ .. لن يضيرك أن نحاول بحث هذا الاحتمال .

لوّح بكفه أمام وجهه فى حدة ، قائلا :

- لا .. لا .. لن أسمح لكم بهذا .

قال (رمزى) فى غضب :

- ولِمَ لا .. إن واجبك يحتم عليك معاونتنا ، فى هذا الشأن .

صاح اللواء :

- لا تخبرنى بواجبى .

تابع (رمزى) ، وكأنما لم يسمع هذا التعليق :

- إن وطنك يتعرّض لخطر داهم ، قد يتسبب فى فشله عسكريًا ، أو على الأقل فى تراجعه أمام سباق القوة ، الذى يدور فى العالم الحديث كله ، لا نتزاع مراكز الصدارة ، وواجبك يحتم عليك مواجهة هذا الخطر بأية وسيلة ، حتى لو كانت هذه الوسيلة هى الخضوع لعملية تنويم مغناطيسى بسيطة .

هتف اللواء (رفيق) :

- عملية تنويم مغناطيسى .

أجابه (رمزى) :

- نعم .. كل ما أطلبه منك هو أن تخضع لى ، وأنا أقوم بتنويمك مغناطيسيًا ، لمعرفة كل ما يستقرّ فى عقلك الباطن ، وماقد يحمله من أوامر مسبقة ، تم تلقينها لك ، فى حالة تنويم مغناطيسى سابقة .

قال الرجل فى توتر :

- لست أذكر أننى خضعت لعملية تنويم مغناطيسى سابقة .

أجابه (رمزى) :

- ليس المهم أن تتذكر هذا ، فالمفروض ألا تتذكره ، ولكننى أطالبك بالخضوع لجلسة تنويم مغناطيسى واحدة ، لحسم هذا الأمر ، أفلا تقبل هذا ، من أجل (مصر) ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم قال اللواء (رفيق) فى حزم صادق :

- إننى أدفع حياتى من أجل (مصر) .

ثم أضاف فى لهجة آمرة :

- دعانى أطالع هويتكما أوّلًا .

ناوله كل منهما بطاقته المغناطيسية ، فاستدار يدس البطاقتين فى تجويف خاص ، إلى جانب جهاز الكمبيوتر المنزلى الخاص به ، وراقب باهتمام دائرة برتقالية صغيرة ، مسحت الشاشة فى رفق ، ثم انتزع البطاقتين ، وأعادهما إليهما ، قائلًا :

- إنهما صحيحتان .

واعتدل فى مجلسه ، وهو يواجه (رمزى) ، قائلًا :

- هيا يا فتى .. يمكنك إخضاعى لما تشاء .

ثم استدرك فى حزم :

- من أجل (مصر) .

تطلّع (رمزى) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول بصوت هادئ عميق :

ـ تطلّع إلى عينىّ ، وراقبهما جيّدًا ، إنهما تتسعان ، وتتسعان ..

راح (رمزى) يردّد الكلمة الأخيرة في عمق وخفوت ، والرجل يتطلّع إلى عينيه فى شدة ، ثم لم تلبث أجفانه أن تراخت ، و ..

وفجأة اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يرمق (رمزى) بنظرة شرسة مباغتة ، جعلت (نشوى) تطلق شهقة دهشة وذعر ، قبل أن يقول اللواء فى لهجة وحشية :

ـ اقتل .. اقتل .. اقتل .

وفى سرعة مدهشة ، انتزع من جيب معطفه المنزلى مسدسًا ليزريًا ، صوّبه إلى رأس (رمزى) ..

وضغط الزناد ..

* * *

٤ ـ الخطر الغامض ..

« سيادة الرائد (نور) .. ما تعليقك على ذلك الهجوم ، الذى تعرّض له مبنى المخابرات العلمية صباح اليوم ؟ »

شعر (نور) بمزيج من السخط والضيق ، عندما باغتته (مشيرة محفوظ) ، رئيسة تحرير (أنباء الفيديو) ، عند باب منزله ، وزاد من سخطه سطوع مصابيح التصوير فى وجهه ، فلوّح بكفه ، قائلًا فى توتر :

ـ لا تعليق لدى ، ولست مستعدًا لمناقشة هذا الأمر الآن .

قالت فى إصرار :

ـ ولكنك أحد العاملين ، فى إدارة المخابرات العلمية ، ومن حق المشاهدين معرفة ما يدور هنا .. أهو غزو من عالم آخر ؟

أجابها فى حدة ، وهو يتجه نحو منزله فى خطوات سريعة :

ـ أنا أعمل فى المجال الإدارى ، ولا علاقة لى بالمهمات السرية .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ـ ولكنك تمتلك خبرة مناسبة لإجابة السؤال .. أليس كذلك ؟

رمقها بنظرة غاضبة ، وأمسك معصمها فجأة ، وهو يقول :

ـ تعالى .

أطلقت شهقة دهشة ، وهو يدفعها أمامه إلى داخل المنزل ، ويغلق الباب خلفهما ، واستقبلتهما (سلوى) فى حنق ، وهى تقول :

ـ ما هذا يا (مشيرة) ؟ .. أنت تفسدين عملنا .

قالت فى عناد :

- المواطنون لهم كل الحق ، فى معرفة ما يحدث هنا .. أليس كذلك ؟

أجابها (نور) :

- لا .. ليس عندما تكون المعرفة سببًا فى إفساد الأمر .. ثم إنك أقسمت على إخفاء حقيقة عملى ، بعد المأساة السابقة ، التى تعرّضت لها الأرض ، فلماذا تحاولين كشف الأمر الآن ؟

مطّت شفتيها ، وقالت :

- لست أحاول كشف أمرك ، ولكننى أريد معرفة الحقيقة .. إنه سبق صحفى هائل .

واستطردت بغتة فى لهفة :

- أهى طليعة غزو من عالم آخر ؟

أجابها فى حدة :

- لا يا (مشيرة) .. إنها ليست كذلك ، ولن أمنحك أية أجوبة أخرى ، وسأطالبك بمغادرة منزلى على الفور ، أنت وطاقم التصوير المصاحب لك ، وإلا طردتكم بنفسى .

تطلّعت إليه فى خبث ، وهى تقول :

- أراهن أنها مهمة جديدة .

قال فى حزم :

- راهنى كما يحلو لك .

ثم فتح الباب ، مستطردًا :

- والآن إلى اللقاء يا (مشيرة) .. صحبتك السلامة .

هتفت فى غضب :

- لماذا تطردنى يا (نور) ؟ .. من حقى الحصول على سبق صحفى .

أجابها وهو يدفعها خارجًا :

- ستحصلين عليه .. أعدك أن تكونى أوّل من يعلم ، عندما ينتهى كل شىء .

سألته فى لهفة :

- حقًا ؟!

قال فى ضيق :

- وهل سبقَ أن أخلفت وعدًا لك ؟

ابتسمت وهى تجيب :

- مطلقًا .

ثم التفتت إلى طاقم التصوير ، ولوّحت بكفها هاتفة :

- هيا يا رفاق .. سننصرف .

لم تكد سيارة (أنباء الفيديو) تبتعد بهم ، حتى هتفت (سلوى) :

- لست أميل إليها قط .

ابتسم (نور) ، وهو يسألها :

- أما زلت تغارين منها ؟

صاحت مستنكرة :

- أنا ؟! .. أنا أغار من هذه الـ .. الـ ..

قاطعها مربتًا على وجنتها :

- أنا أحب غيرتك هذه .

تطلّعت إليه فى شىء من الحياء ، ثم سألته :

- لماذا تأخّرت الليلة يا (نور) ؟

هزّ رأسه ، قائلًا :

- لست أدرى .. ربما شرد ذهنى بعض الوقت ، وأنا فى طريقى إلى هنا .

سألته فى حنان :

- أكنت تفكّر فى لغز المقاتلة المفقودة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

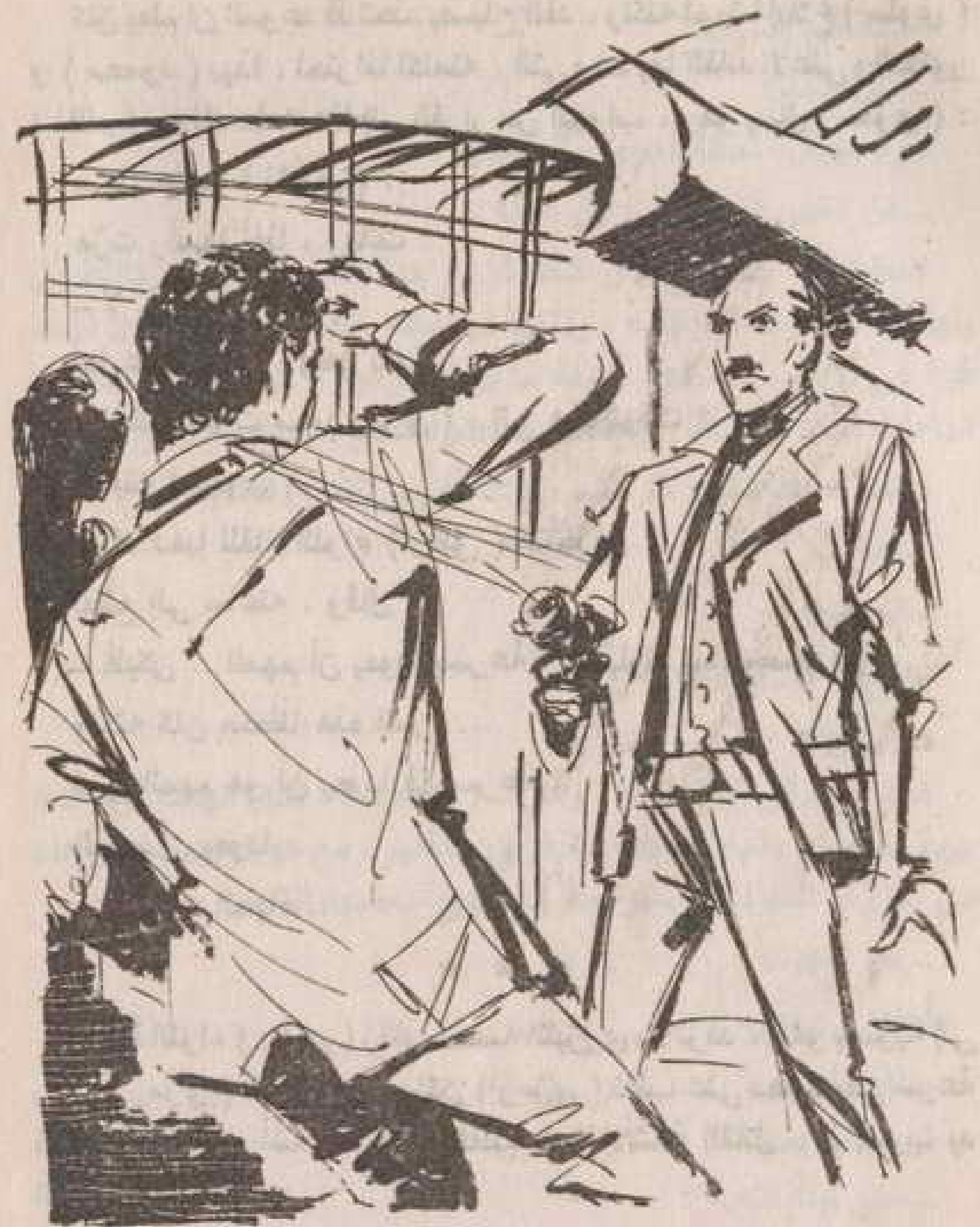
- بالتأكيد .

وشرد بصره لحظات ، قبل أن يضيف :
ـ هناك أمور غامضة تحدث ، ولا أجد تفسيرًا لها .
سألته فى فضول :
ـ مثل ماذا ؟
شرد ببصره لحظة أخرى ، ثم سألها :
ـ هل انتهى (محمود) من عمله ؟
لاحظت أنه يحاول تفادى الحديث فى هذا الأمر ، وشعرت بالفضول ينهشها ؛ لمعرفة ما يخفيه ، ولكنها لم تسأله ، إذ كانت تعلم أنه لا توجد قوة فى الأرض ، يمكنها معرفة ما يرغب (نور) فى إخفائه ، لذا فقد تجاهلت الأمر بدورها ، واعتصرت فضولها فى أعماقها ، وهى تقول :
ـ نعم .. لقد انتهى تقريبًا ، وكذلك أقترب أنا من الانتهاء .
سألها :
ـ أين هو ؟
أجابت مشيرة بإبهامها :
ـ فى القبو .
هبط معها إلى قبو منزله ، وقال لـ (محمود) ، الذى انهمك فى إعداد جهاز خاص ، يشبه شاشات التليفزيون القديم ، مع هوائى بسيط ، وعدد من الأزرار الملوَّنة ، المتراصة إلى جوار بعضها البعض :
ـ هل انتهيت ؟
أجابه (محمود) :
ـ تقريبًا .
ثم اعتدل يسأله :
ـ متى تبدأ اللعبة ؟
أجابه (نور) فى اقتضاب :

ـ ستعرف فى الوقت المناسب .
كان يعلم أن الموعد قد تحدَّد بصباح الغد ، ولكنه لم يشأ إبلاغ (سلوى) و (محمود) بهذا ، احترامًا لكلمته ، التى وعد بها القائد الأعلى والدكتور (ناظم) ، ولقد دفعه هذا إلى الفرار من الجواب ، وهو يسأل (سلوى) :
ـ هل عادت (نشوى) ؟
هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :
ـ لا .. لم تعد بعد .
بدا عليه القلق ، وهو يقول :
ـ لماذا تأخرت مع (رمزى) ، إلى هذا الوقت ؟
أجابته (سلوى) :
ـ لقد ذهبا للقاء اللواء (رفيق) متأخرين .
تطلّع إلى ساعته ، وقال :
ـ فليكن .. المهم أن يعودا بسرعة ، لإخبارنا بما توصلا إليه ..
ولكنه كان مخطئًا هذه المرة ..
ليس المهم هو أن يعودا فى سرعة ..
المهم أن يعودا ..
وعلى قيد الحياة ..

★ ★ ★

ضغط اللواء (رفيق) زناد مسدسه الليزرى بلا تردّد ، وهو يصوِّبه إلى رأس (رمزى) فى جمود ، ولكن (رمزى) تغلّب على دهشته فى سرعة البرق ، وأزاح رأسه جانبًا ، متفاديًا خيط الأشعة القاتل ، ثم ضرب يد اللواء ، هاتفًا :
ـ هل جننت ؟



ضغط اللواء (رفيق) زناد مسدسه الليزرى بلا تردّد ، وهو يصوّبه إلى رأس (رمزى) فى جمود ، ولكن (رمزى) تغلّب على دهشته فى سرعة البرق ..

لم يسقط المسدس من يد اللواء (رفيق) ، الذى عاد يصوّبه إلى (رمزى) ، وهو يردّد الكلمة نفسها :

ـ اقتل .. اقتل .. اقتل .

دفع (رمزى) (نشوى) جانبًا ، وهو يهتف :

ـ ابحثى عن ساتر ، لقد أصيب الرجل بالجنون .

قالها وقفز خلف أريكة جانبية ، ورأى خيط الأشعة يمرق إلى جواره ، مخترقًا مسند الأريكة ، واللواء (رفيق) يدير عينيه ومسدسه إلى (نشوى) ، التى تعدو محاولة بلوغ الباب ، وهى تهتف فى ذعر :

ـ رباه .. ماذا نفعل ؟ .. ماذا نفعل ؟

رفع اللواء مسدسه ، يصوّبه إلى رأس (نشوى) ، مردّدًا :

ـ اقتل .. اقتل .

وهنا غادر (رمزى) مخبأه ، وصاح وهو يندفع نحوه :

ـ لا .. إلا (نشوى) .

قذف جسده فى الهواء ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها اللواء زناد مسدسه ، وانطلق خيط الأشعة ، ليحرق خصلة من شعر (نشوى) ، و (رمزى) يرتطم بالرجل ، ويسقط معه أرضًا ..

وقاوم اللواء فى شراسة ..

قاوم فى قوة تفوق حتى قدرة رياضى فى مثل عمره ..

ومن عينيه أطلّ بريق مخيف ..

وفى شراسة ، قال وهو يخلّص يده من قبضة (رمزى) :

ـ اقتل .. اقتل .

ثم دفع (رمزى) جانبًا فى قوة ، وأدار فوهة مسدسه إلى رأسه ..

واتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ..

إن فوهة المسدس على قيد سنتيمترات من جبهته ..

واللواء (رفيق) يرمقه بنظرة مفعمة بالشراسة ..
وسبّابته تضغط الزناد ..
وانحنى (رمزى) بحركة غريزية ، وهو يهتف :
ـ لا .
وسمع فحيح الأشعة ، وهى تنطلق ، وشعر بالخيط الملتهب يمزّق جلد جبهته ، وتصاعدت إلى أنفه رائحة شواء ، وسال خيط من الدم الساخن على جبينه ، ثم التصقت الفوهة القاتلة بصدغه ، وردّد اللواء :
ـ اقتل .. اقتل ..
وفى هذه المرة فقد (رمزى) كل أمل فى النجاة ..
وتصاعد اليأس فى أعماقه بسرعة ، حتى بلغ ذروته فى جزء من الثانية ، فانكسر ..
لا .. لم يكن ذلك الصوت هو صوت يأسه ينكسر حتمًا ..
وبسرعة فتح عينيه ، ورأى مشهدًا أثلج صدره ..
كانت (نشوى) واقفة أمامه ، شاحبة الوجه ، تمسك بيدها بقايا زجاجة سميكة ، وقد تحطمت الزجاجة نفسها على رأس اللواء (رفيق) ، الذى سقط أمامه فاقد الوعى ..
وفى انهيار ، غمغمت (نشوى) :
ـ كان من الضرورى أن أفعل هذا .. أليس كذلك ؟
هتف (رمزى) ، وهو يزيح الرجل جانبًا :
ـ نعم .. كان من الضرورى أن تفعليه .
نهض يتطلّع إلى الرجل فى حيرة ، غير مصدّق نجاته منه ، فى حين قالت (نشوى) فى ارتياع :
ـ ماذا أصابه ؟ .. هل أصيب بالجنون ؟
هز (رمزى) رأسة نفيًا ، وقال :
ـ لا .. هذا أكبر دليل على وجود شىء ما ، أو قوة ما ، تتحكم فى عقول

هؤلاء الأشخاص ، فلم أكد أقترب من مرحلة السيطرة على عقله ، حتى انتفضت تلك القوة الكامنة فيه ، وقاومت سيطرتى عليه تمامًا .. بل دفعته إلى محاولة التخلّص منى .
تطلّعت إلى الرجل فى خوف ، وسألت (رمزى) :
ـ أتظنه هو ؟
سألها :
ـ هو من ؟
أجابت بصوت مرتجف :
ـ ابن الشيطان(*) .
عقد حاجبيه فى شدة ، وهو يدرس هذا الاحتمال فى ذهنه بسرعة ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، وقال فى حسم :
ـ لا .. تلك النظرة فى عينيه تختلف .. أقصد نظرة عينى اللواء (رفيق) ، عندما كان يهاجمنا .. لم تكن تشتعل كعادة عيون ضحايا ذلك الشيطان الصغير .
سألته فى ارتياع :
ـ ما هذا إذن ؟
هزّ رأسه فى حيرة ، وهو يقول :
ـ لست أدرى حقيقته .. لست أدرى .
ثم تلفّت حوله ، بحثًا عن هاتف ، ولم يكد بصره يقع على جهاز (تليفيديو) قريب ، حتى نهض يضغط أزراره ، وهو يقول :
ـ المهم الآن أن نبلغ (نور) بما حدث ، ونحصل على موافقة القائد الأعلى ، بشأن إلقاء القبض على اللواء (رفيق) ، فهذا الرجل هو العينة الحيّة الوحيدة لدينا ، والتى يمكننا فحصها ، و ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

قاطعته صرخة مفزعة ، أطلقتها (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ احترس يا (رمزى) .. احترس .

استدار إليها فى سرعة ، وتجمّدت أطرافه فى ذعر ، عندما رأى اللواء (رفيق) واقفًا فى حزم ، ومسدسه فى قبضته ، وهو يكرّر فى آلية :

ـ اقتل .. اقتل .

ثم رفع مسدسه ..

وصرخ (رمزى) :

ـ ابتعدى يا (نشوى) .

ولكن (نشوى) تجمّدت فى مكانها ، من شدة الرعب ، وتعلّق بصرها بالمسدس فى يد اللواء (رفيق) ، الذى رفع المسدس إلى رأسه ، وألصق فوهته بصدغه ، فصاح (رمزى) :

ـ لا .. لا تفعل هذا .

ولكن الرجل ضغط الزناد ..

وشاهد (رمزى) و (نشوى) الانفجار ..

انفجار جمجمته ..

* * *

تطلّع (نور) إلى ساعته فى قلق ، وهو يقول لـ (سلوى) :

ـ لقد تأخر (رمزى) و (نشوى) ، أكثر مما ينبغى .

قالت فى قلق مماثل :

ـ هذا يثير مخاوفى .

اتجه إلى جهاز (التليفيديو) ، وهو يقول :

ـ سأخالف القواعد ، وأتصل بهما عند اللواء (رفيق) .

قبل أن تلمس يده الجهاز ، انطلق منه أزيز خافت ، ثم أضيئت شاشته ،

وظهر فوقها وجه (رمزى) ، وهو يقول فى توتر :

ـ (نور) .. لقد حدثت كارثة هنا .

هتف به (نور) :

ـ هل أصيبت (نشوى) بمكروه ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لا يا (نور) .. ليس (نشوى) .. إنها بخير والحمد لله .. إنه اللواء (رفيق) .. لقد انتحر .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ـ انتحر ؟!

وتوقف (محمود) عن عمله ، ورفع عينيه بدوره إلى جهاز (التليفيديو) فى توتر ، فى حين سيطر (نور) على أعصابه ، وقال :

ـ كيف فعل هذا ؟ .. ولماذا ؟

أجابه (رمزى) فى اقتضاب :

ـ كان هناك من يسيطر على عقله .

قال (نور) فى حزم واختصار :

ـ انتظرنى .. سأحضر على الفور .

اندفع يغادر منزله ، وقفز داخل سيارته الصاروخية ، وانطلق بها عبر طرقات (القاهرة الجديدة) ، وهو يسأل نفسه ..

ما الذى يحدث هنا ؟ ..

ما الذى أصاب كل هذه العقول ؟ ..

لماذا يحدث كل هذا ؟ ..

أهى محاولة للسيطرة ؟ ..

أم هو بالفعل غزو من عالم آخر ، كما قالت (مشيرة) ؟

أرجفه الافتراض الأخير ، وأعاد إلى ذاكرته أمور يرغب فى نسيانها بشدة ، إلا أنه لم يلبث أن نفض كل هذا كعادته ، وقال لنفسه :

- لا .. لست أظنه كذلك .
ولكن هذا الأسلوب لم ينجح فى إقناعه هذه المرة ..
لم لا يكون هذا غزوًا من عالم آخر بالفعل ؟! ..
غزوًا عقليًا ؟! ..
لمَ لا ؟ ..
لقد واجه مع فريقه أشكالًا وأنماطًا عديدة ، لمخلوقات الكواكب الأخرى ، وكلها أنماط تختلف عن بعضها البعض ، حتى أنه لا يستبعد أن يكون خصمهم هذه المرة مجرّد نوع من الطاقة ، يمكنه السيطرة على العقول ..
لقد واجه فيما مضى شيئًا كهذا ..(*)
توقفت أفكاره بغتة ، عندما لمح ذلك الضوء من بعيد ..
كان ضوءًا خافتًا ، على جانبى الطريق ، ويبدو كما لو كان إشارة مرور صغيرة ..
وفجأة اتضحت له طبيعة ذلك الضوء الخافت ..
كان إشارتى حاجز طريق ..
وكان من المستحيل أن يتفادى الارتطام به ..
وصرخ عقله يؤكد أن وجود هذا الحاجز أمر غير طبيعى ، وأنه يخالف كل شروط ومواصفات الأمن ..
وحاول أن يضغط (فرامل) السيارة ..
ولكن المسافة بينه وبين الحاجز الفولاذى كانت أقصر مما ينبغى ..
ولم يكن هناك مفرّ من الارتطام ..
ومن الموت .

* * *

(*) راجع قصة (شيطان الفضاء) .. المغامرة رقم (٦٧) .

٥ ـ صدام ..

لم يكد (رمزى) ينهى محادثته مع (نور) ، حتى سألته (نشوى) :
- هل سيحضر أبى ؟
أومأ برأسه إيجابا ، وقال :
- سيحضر على الفور .
ألقت نظرة خائفة ، على جثة اللواء (رفيق) ، وقالت :
- ما الذى يدفع رجلًا مثله إلى الانتحار ؟
أجابها (رمزى) :
- نفس القوة التى سيطرت على عقله ، وسلبته إرادته .
قالت فى مرارة :
- ولكنه كان يستطيع إطلاق الأشعة عليك .. أو الفرار على الأقل ، فلماذا يفضل الانتحار .
تطلّع إليها ، وهو يجيب :
- لأنه صار أشبه بالكمبيوتر .
ردّدت فى دهشة :
- الكمبيوتر ؟!
أجابها ملوّحًا بكفه :
- نعم يا (نشوى) .. لقد أزال بعضهم إرادته ، ومحاها تمامًا ، ثم أعاد برمجة عقله ببرنامج خاص ، أشبه ببرامج الكمبيوتر ، وهذا البرنامج يلزمه بقتل كل من يكشف أمره ، أو بالانتحار ، فى حالة عجزه عن هذا ،

ولقد بدأ هو بمحاولة قتلنا ، فلما عجز عن هذا ، انتقل إلى البرنامج الثانى فى آلية تامة .. تمامًا مثل أجهزة الكمبيوتر ، وانتحر .

غمغمت :

ـ يا للبشاعة !

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك ورثت عن (نور) بغضه للقتل والدمار .

وافقته بإيماءة من رأسها ، قائلة :

ـ ربما أفوقه فى هذا الأمر .

رفع حاجبيه فى حنان ، وهو يتطلّع إليها ، قبل أن يتمتم :

ـ لهذا أحبك .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وأشاحت به فى حياء ، أنساها دقة الموقف ، وهى تقول فى ارتباك واضح :

ـ لا وقت للعواطف هنا .

أتى صوت صارم من خلفهما ، يقول :

ـ أوافقك على هذا الرأى .

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، ورأيا الحارس الخاص للواء (رفيق) ، يصوّب إليهما مدفعه الليزرى ، هاتفًا فى صرامة :

ـ أين سيادة اللواء ؟

قال (رمزى) فى توتر :

ـ ابق خارجًا يا رجل .

أدار الحارس بصره بسرعة فى المكان ، واتسعت عيناه فى ذعر ، حينما وقع نظره على جثة رئيسه ، الملقاة خلف الأريكة ، وصاح :

ـ ماذا فعلتما به ؟

مدّ (رمزى) يده ليبرز بطاقته ، وهو يقول :

ـ أنا من المخابرات العلمية .. لقد انتحر رئيسك ، و ..

صاح به الحارس فى حدة :

ـ قف .. لا تقرب يدك من سترتك .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ سأخرج بطاقتى .

صاح به الحارس :

ـ حذار أن تفعل .

ثم التقى حاجباه فى غضب ، وهو يستطرد :

ـ لقد قتلتما رئيسى ، ولن أسمح لكما بالخروج من هنا أحياء .

شهقت (نشوى) ، وهتفت :

ـ ليس من حقك أن تفعل .

رفع مدفعه نحوهما فى غضب ، وهو يقول :

ـ ومن سيثبت هذا ؟

شعر (رمزى) أن الرجل لن يتردّد فى إطلاق النار بالفعل ، فهتف فى سرعة :

ـ تسجيل الفيديو .

تردّد الحارس لحظة ، وهو يردّد فى حذر :

ـ تسجيل الفيديو ؟! .. أى تسجيل ؟

أشار (رمزى) بيده إشارة مبهمة ، وقال محاولًا خداعه :

ـ هناك .. إننا هنا لنضع أجهزة رقابة مرئية ، فى ذلك المكان هناك ، ورفاقنا فى إدارة المخابرات العلمية يتابعون كل ما يحدث هنا ، لحظة فلحظة ، ولو أسأت إلينا ، فستفقد وظيفتك ، و ..

تطلّع الحارس بنظرة سريعة إلى حيث أشار (رمزى) ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- إنك تخدعنى .

وبدت فى عينيه تلك النظرة الجامدة ، وهو يتابع :

- وستدفع الثمن .

وفى هذه المرة صوّب مدفعه فى سرعة ..

وأطلق الأشعة ..

★ ★ ★

لم يستطع (نور) تفادى الاصطدام ..

لقد حاول ، فضغط (فرامل) سيارته ، وأدار مقودها قليلًا ، و ..

ولكن دون جدوى ..

لقد ارتطمت السيارة بالحاجز الصلب ، بسرعة تتجاوز المائتى كيلو متر فى الساعة ، وقفزت إلى الأمام كطائرة صغيرة ، اجتازت ما يقرب من عشرين مترًا ، قبل أن تبدأ رحلة الهبوط ، فترتطم مقدّمتها بالأرض ، وتنقلب على جانبها ، ثم تنزلق لسبعة أمتار أخرى ..

ومن جانبى الطريق ، اندفع أربعة رجال مسلحون ، نحو السيارة ، وكل منهم يرتدى زى رجال الشرطة ، ويحمل فى يده مسدسًا ليزريًا ..

ونظرة جامدة ..

وفى ألم وصعوبة ، انتزع (نور) نفسه من حطام السيّارة ، ورأى الرجال الأربعة يندفعون نحوه ، فهتف وهو يظنهم أتوا لمعاونته :

- ساعدونى .. السيارة ستنفجر .

فوجئ بأحدهم يصوّب إليه مسدسه الليزرى ، فأدرك كل شىء على الفور ، وخفض رأسه فى حركة سريعة ، وشعر بخيط الأشعة يتجاوزه ، ويرتطم بقائم السيارة المعدنى ، فاستل مسدسه الليزرى فى سرعة ،

وأطلق أشعته على مسدس الرجل ، الذى حاول إصابته ، ثم انتزع جسده كله من السيارة ، وقفز إلى الأرض ، وهو يطلق أشعة مسدسه مرة أخرى ، على مسدس رجل آخر ، ويطيح به جانبًا ..

وأطلق الرجلان الآخران مسدسيهما على (نور) ، الذى اندفع يعدو مبتعدًا عن السيارة ، وخيوط الأشعة تضرب الطريق تحت قدميه ، ثم قفز خلف جذع شجرة ضخمة ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار ..

انفجرت السيارة فى شدّة ، وتطايرت شظاياها فى كل مكان ، وانبعثت صرخة ألم مكتومة ، من أحد الرجال الأربعة ، ثم ساد الصمت تمامًا ..

ولم يدر (نور) كم استغرق هذا الصمت ..

لقد رأى وهج النيران ينعكس على جذع الشجرة لحظة ، ثم فقد احساسه بكل ماحوله ..

وفجأة استعاد هذا الإحساس ..

استعاده ليجد نفسه مستلق على الأرض ، وهناك رجل ينحنى فوقه ، ويقول فى قلق :

- (نور) .. استيقظ يا (نور) ..

تطلّع إلى الرجل لحظة فى حيرة ، ثم هتف :

- دكتور (حجازى) .. أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

ساعده الدكتور (حجازى) على النهوض ، وهو يشير إلى السيارة المحطمة ، التى انطفأت نيرانها ، وإلى عدد من رجال الشرطة والطوارئ يلتفون حولها ، وأجاب :

- يبدو أنك تعرّضت لمحاولة اغتيال يا فتى .

ردّد (نور) :

- محاولة اغتيال ؟!

كان يشعر بصداع شديد ، وبثقل فى جفنيه ، ولكنه استعاد ما حدث فى بطء ، فغمغم وهو ينهض :



ثم انتزع جسده كله من السيارة ، وقفز إلى الأرض ، وهو يطلق أشعة مسدسه مرة أخرى ، على مسدس رجل آخر ، ويطيح به جانبًا ..

- نعم .. لقد هاجمنى أربعة رجال ، ينتحلون شخصية رجال الشرطة .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه فى أسف ، وقال :

- إنهم بالفعل من رجال الشرطة .

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، قبل أن يقول :

- هل تعرّضوا لسيطرة فكرية أيضا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

- يبدو هذا .. أننا لم نلق القبض عليهم ، فقد لقى ثلاثة منهم مصرعهم ، مع انفجار سيارتك ، ولاذ الرابع بالفرار ، لينتحر على بعد كيلو مترين من هنا .

ردَّد (نور) :

- ياإلهى !

ثم سأله فى قلق :

- وكم بقيت أنا فاقد الوعى ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

- لست أدرى بالتحديد ، ولكن خبير الحرائق يقول إن سيارتك مشتعلة منذ نصف ساعة على الأقل .

ردَّد مرة أخرى :

- ياإلهى !!

ثم تذكَّر ابنته بغتة ، فهتف :

- وماذا عن (نشوى) و (رمزى) ؟ .. هل عادا إلى المنزل ؟ .. هل عادا ؟

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) لحظة فى أسف ، وقال :

- لن يمكنك أن تتصوَّر ما أصابهما ..

وكانت عبارته تكفى لتحطيم قلب (نور) ..

لتحطيمه تمامًا ..

★ ★ ★

قبل هذه الأحداث بنصف الساعة ، كان الحارس الخاص للواء (رفيق) يصوِّب مدفعه الليزرى إلى (رمزى) ..

ويطلقه ..

وتحرَّك (رمزى) فى سرعة ، ولكن خيط الأشعة احتك بذراعه ، ومزَّق سترته وقميصه ، قبل أن ينحنى إلى أسفل ، ثم ينقضّ على الحارس ..

وصرخت (نشوى) :

ـ لا يا (رمزى) .. لا .

ولكن (رمزى) قفز نحو الحارس فى حزم ..

لم يكن هناك أمل آخر فى رأيه ، سوى أن يحاول إيقاف ذلك الحارس ، قبل أن تدفعه حماسته لقتلهما معًا ..

ولكن هذا الحارس لم يكن حارسًا عاديًا ..

لقد كان واحدًا من رجال الحرس الخاص ، المدرَّبين لحماية وتأمين الشخصيات العامة والقادة ..

كما كان واقعًا تحت سيطرة قوة ما ..

ولقد رأى الحارس (رمزى) ينقضّ عليه ، فتراجع فى مرونة ، وأدار كعب مدفعه الآلى ، وهوى به على فك هذا الأخير ..

وشعر (رمزى) بقنبلة تنفجر فى فكه ، وتدفعه إلى الخلف فى عنف ، ليسقط مرتطمًا بأحد المقاعد ، ويهوى معه أرضًا ..

وفى هدوء توجه الحارس نحو (رمزى) ، وركله ركلة قوية فى معدته ، جعلت (نشوى) تصرخ فى ارتياع :

ـ كفى .. كفى .

لم يبد أن الحارس يسمعها ، وهو يركل (رمزى) ركلة أخرى قوية فى معدته ، غير مبال بشهقة الألم العنيفة ، التى انطلقت من حلقه ، ثم يتراجع إلى الخلف فى هدوء ، ويرفع مدفعه الليزرى ، ليصوِّبه إليه ..

وهنا صرخت (نشوى) :

ـ لا .. لا تقتله .

كانت تعلم أن صرختها لن تعنى شيئًا للرجل ، الواقع تحت تأثير سيطرة عقلية عجيبة ، لذا فقد اندفعت نحو المسدس ، الذى يمسك به اللواء (رفيق) ، وانتزعته من يده فى عنف ، وصرخت :

ـ لن أسمح لك .

وبلا تردد ، أطلقت أشعتها ..

أطلقتها نحو يد الرجل مباشرة ..

ورأت (نشوى) الأشعةَ تصيب كف الحارس ، وتخترق عظامه ، دون أن يبدو الألم على ملامحه ، أو يتوقف عن تصويب مدفعه إلى (رمزى) ..

وهكذا لم يعد لديها الخيار ..

وأطلقت (نشوى) أشعتها مرة أخرى ..

أطلقتها هذه المرة على الرأس مباشرة ..

وفى هذه المرة سقط الرجل ..

إنها لن تنسى مشهده أبدًا ، وهو يتلقى الأشعة فى جمجمته بهدوء ، ثم يترنح ويسقط جثة هامدة ، على قيد خطوة واحدة من (رمزى) ..

وبكل الانفعال المتراكم فى أعماقها ، انفجرت (نشوى) باكية ..

وبكل الحنان المتدفق فى أعماقه ، نهض (رمزى) يربت على رأسها ، وهو يغمغم :

ـ كل شىء على ما يرام يا عزيزتى .. كل شىء على ما يرام .

قالت فى انهيار :

ـ كنت مضطرة .. أليس كذلك ؟ .. أليس كذلك يا (رمزى) ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بلى يا عزيزتى .. لم تكن هناك وسيلة أخرى .. كنت مضطرة لذلك .

وانفجرت باكية مرة أخرى ..

★ ★ ★

ضمّت (سلوى) ابنتها إلى صدرها فى حنان ، وهى تقول فى أسى :

ـ يالها من تجربة بغيضة ، تلك التى اضطررت لخوضها يا (نشوى) ! .. حمدًا لله على نجاتك منها يا بنيتى .. حمدًا لله .

تطلّع إليهما (نور) مشفقًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. حمدًا لله .

اندفع (محمود) يقول فى انفعال :

ـ ولكن من الواضح أن شخصًا ما ، أو جهة ما تسعى لاغتيال الفريق ، فليس من المصادفة أن يتعرّض (نور) و (نشوى) و (رمزى) لمحاولات اغتيال ، فى ليلة واحدة .

أجابهُ (نور) :

ـ ولكنها مصادفة بالفعل .

هتف (محمود) معترضًا :

ـ أتقول هذا بعد ما أصابك يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ما أصابنى كان محاولة اغتيال حقيقية يا (محمود) ، أما بالنسبة لما أصاب (رمزى) و (نشوى) ، فهو مجرّد رد فعل ، لمحاولتهما سبر أغوار عقل اللواء (رفيق) ، فقد أشعل هذا إنذارًا ما فى عقل الرجل ، الذى تمت السيطرة عليه من قبل ، فحاول قتلهما ، ثم لم يلبث أن انتحر ،

وانتحاره أيقظ انذارا آخر ، فى عقل حارسه الخاص ، فكان منه ما كان .

تحسّس (رمزى) ضمادة جبهته ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا نواجه جهة بالغة القوة يا (نور) .

أجاب (نور) :

ـ لاشك فى هذا .. إننا نواجه قوة جديدة ، أو سلاحًا جديدًا ، ولكننا ما زلنا نجهل كنهه ، والسبب فى استخدامه .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ الا يحتمل أن يكون غزوًا من عالم آخر بالفعل يا (نور) ؟

قال فى ضيق :

ـ إننى أكره هذا الاحتمال ، بعد كل ما عانيناه من غزاة العوالم الأخرى ، ولكنه احتمال وارد ، ولا يمكننا إهماله ، ولكن هناك نقاطًا مازالت تثير الحيرة فى الأمر كله ، فلم تعلن الجهة المسئولة عن كل هذا مسئوليتها بعد ، أو تحاول فرض مطالبها ، حتى أننى أتساءل عن السبب الدقيقى لكل هذا .

قالت (نشوى) :

ـ ربما ستأتى المطالب فيما بعد .

سألها (رمزى) :

ـ متى ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ بعد إثبات القوة مثلًا .

رفع (محمود) حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

ـ أكثر من هذا ؟

قالت فى تردّد :

ـ ربما يحتاج الأمر منهم إلى عمل أكبر .

قال (نور) :

ـ فى هذه الحالة سيقعون فى الفخ .

ثم أضاف فى شىء من الحزم :

ـ فخنا ..

★ ★ ★

توقف سرب من العربات المدرّعة البرمائية ، المتميّزة التسليح ، عند منطقة مقفرة ، فى طريق (مرسى مطروح) ، وبدأت عرباته تصنع ما يشبه الدائرة ، قبل اختبار أسلحتها على نحو استعراضى أنيق ، مصيبة بعض الأهداف الهيكلية بإصابات مباشرة ..

وعلى بعد عدة أمتار من هذا السرب ، قال (نور) ، وهو يختفى مع (سلوى) و (محمود) ، داخل خيمة تشبه رمال الصحراء ، وإلى جوارهم أجهزة ترددات فوق صوتيّة خاصة :

ـ أظن أنه لا يوجد فخ أفضل من هذا لاستفزازه .

تمتمت (سلوى) :

ـ من يدرى ؟

اعتدل (نور) ، وقال :

ـ كل هذه العربات تدار بالتوجيه الآلى ، ولا يوجد جندى واحد داخلها ، وهى تستعرض قواتها وأسلحتها على نحو صريح ، ولست أظن الـ (م ـ ١) تسمح لهم بهذا .

قال (محمود) فى حماس :

ـ المهم أن تظهر .

أجابه (نور) فى حماس :

ـ ستظهر بإذن الله .

ثم تنهّد ، وقال :

ـ هيا .. دعونا نراجع خطتنا فى سرعة .

قالت (سلوى) فى ضجر :

ـ إنها أبسط من أن نراجعها للمرة العاشرة يا (نور) .. سننتظر حتى تظهر الـ (م ـ ١) ، وتبدأ فى قصف أهدافها ، وهنا يطلق عليها (محمود) أشعة جهازه ، ويحاول إحاطتها بغلاف من فوتوناتـه المتطوّرة ، ليسهل تتبعها فيما بعد ، ومعرفة المكان الذى تلجأ إليه ، بعد كل هجوم وآخر ، وبعدها أصوّب أنا إليها موجات الترددات فوق الصوتيّة ، و ..

قاطعها (محمود) فى انفعال :

ـ لا داعى لمراجعة الخطة .. ها هى ذى (م ـ ١) .

التفت (نور) و (سلوى) إلى حيث يشير ، وبدت لهما تلك النقطة السوداء ، وهى تتجه نحوهما فى سرعة ..

ولكن شيئًا ما فى مسارها لم يرق لـ (نور) ..

وفجأة اتضحت له طبيعة ذلك الشىء ..

إن الطائرة لم تكن تنقض على سرب العربات المدرّعة ، أو حتى تهتم به ..

لقد كانت تنقض عليهم ..

ومباشرة .

* * *

٦ ـ خيانة ..

« عجبًا !! .. »

غمغمت (نشوى) بالكلمة فى صوت خافت ، وهى تطالع شاشة الكمبيوتر الخاص بها ، فالتفت إليها (رمزى) ، وسألها :

ـ ماذا هناك ؟

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، مغمغمة :

ـ هذه النتائج .

اقترب منها متسائلًا ، فأضافت :

ـ لقد شعرت بعدم جدواى فى الفريق ، وخاصة بعد ضعفى الشديد أمس .

قال فى حنان :

ـ ولكنك أنقذت حياتى .

تطلّعت إليه لحظة ، ثم تابعت :

ـ وقرّرت استخدام الخبرة الوحيدة التى أجيدها ، كمحاولة لكشف شىء من غموض الموقف كله ، وخبرتى الوحيدة ـ كما تعلم ـ هى فى التعامل مع أجهزة الكمبيوتر .

سألها فى اهتمام :

ـ أتظنين الكمبيوتر يمكنه مساعدتنا فى هذا ؟

أجابته :

ـ بالتأكيد .. لقد غذيته بكل ما لدى من معلومات عن الحادث .. بكل

الأحداث والمواقف والتفاصيل ، ثم طلبت منه تحليل كل هذا ، وإفادتى بالنتيجة .

سألها :

ـ وكيف جاءت النتيجة ؟

صمتت لحظة فى حيرة ، ثم أجابت :

ـ النتيجة أغرب مما تتصوّر .

استثارت عبارتها فضوله ، فقال :

ـ كيف كانت كذلك ؟

أجابته :

ـ فى البداية ألقى الكمبيوتر عدة أسئلة ، فى محاولة منه لاستكمال برنامجه ، فسألنى عمن يعرف سر الطائرة وتصميماتها ، وعمّن لديه المعلومات اللازمة ، وعن القاعدة السرية ، التى تم تدميرها ، وعن إمكانات الطائرة ، وموعد الاختبار السرى .

ألقى (رمزى) على نفسه الأسئلة ذاتها ، وقد شعر بمنطقيتها ، وهو يقول :

ـ وبم أجبته ؟

قالت :

ـ أجبته بأن عدد من يعرفون تصميمات الطائرة ثلاثة ، وكلهم لقوا مصرعهم ، أما من يعرفون باقى المعلومات فلا يتجاوزون الفردين .. القائد الأعلى ، والدكتور (ناظم) .

بدت لمحة من الارتياع ، على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .

تطلّعت إليه فى شىء من القلق والتردّد ، وهى تقول :

ـ أنا أيضًا أصابنى الذعر ، عندما انتبهت إلى هذا ، وخاصة عندما

قرأت جواب الكمبيوتر ، وتحليله لكل ماحدث .

توقفت لحظة لتزدرد لعابها ، قبل أن تتابع :

ـ لقد أكد الكمبيوتر أنه توجد قوة مجهولة ، تمتلك القدرة على السيطرة على العقول ، وتحريك الأشخاص لأداء أعمال عنيفة ، قد ترفضها نفوسهم فى الواقع ، وأن هذه القوة قد نجحت حتمًا فى تجنيد أحد عقلين .. عقل الدكتور (ناظم) ، أو ..

صمتت لحظة ، قبل أن تضيف بصوت ملؤه الرهبة :

ـ أو القائد الأعلى .

ارتجف (رمزى) فى عنف ..

لم يكن مستعدًا لتقبل هذه النتيجة ، برغم توقعه لها ، منذ سمع سؤال الكمبيوتر ..

وفى خوف واضح ، هتف :

ـ أتعلمين مايعنيه هذا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ نعم .. إنه يعنى أن أحد أكبر رجلين فى الإدارة خائن .. خائن برغم أنفه .

هتف :

ـ بل الأمر أخطر من هذا بكثير ، فوجود خائن بينهما يعنى أن كل خططنا قد تم نقلها للخصم ، بما فى هذا خطة ذلك الفخ ، الذى يعدّه له (نور) .. أتفهمين ما الذى أقصده بهذا ؟

جف حلقها من شدة الرعب ، وهو يتابع فى توتر بالغ :

ـ أقصد أن الفخ قد انعكس الآن ، ولم يعد (نور) هو الذى يسعى لكشف من وراء حادث الـ (م ـ ١) .

واتسعت عيناه هلعًا ، وهو يردف :

ـ الواقع أن (نور) و (سلوى) و (محمود) قد أصبحوا هم الضحية .. ضحية بلا أمل ..

* * *

كانت المقاتلة السوداء تتجه مباشرة نحو مخبأ (نور) ورفاقه ، متجاوزة كل خطوط الرادار ، وموقع السرب الزائف ، وانتبه (نور) إلى هذا الأمر ، فهتف :

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا عن هنا بسرعة .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ـ ولكن الجهاز .. والتجربة ؟!

جذبها من يدها ، صائحًا :

ـ اتركوا كل شىء .. هيا يا (محمود) .. هيا .

انطلق الثلاثة يعدون خارج المخبأ ، تاركين خلفهم أجهزتهم ، التى قضوا ليلتهم كلها فى إعدادها ، ومن خلفهم انقضت (م ـ ١) على المكان ، وأطلقت عليه أشعة أحد مدفعيها الليزريين ..

ودوى الانفجار ..

ومع موجة التضاغط العنيفة ، اندفعت أجساد الثلاثة فى قوة ، وسقطوا على الرمال ، وانهمرت فوقهم رمال أخرى كثيفة ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها الطائرة مرة أخرى ..

وهتفت (سلوى) :

ـ لقد رآنا هذا الوغد .

هتف (نور) :

ـ مستحيل ! .. لم يكن بإمكانه رؤيتنا قط .

أجابه (محمود) فى انفعال :

ـ لقد كان يعرف موقعنا إذن .

صاح (نور) ، وهو ينهض ، ويعاون زوجته على النهوض :
- حتمًا .
هتف (محمود) فى ذعر :
- إنها تهاجمنا مرة أخرى .
كانت (م - ١) قد اتخذت دورة كبيرة بالفعل ، وعادت تنقضّ عليهم فى شراسة ، فانطلق الثلاثة يركضون مرة أخرى ، فوق رمال الصحراء ، وصاح (نور) :
- فلنفترق بسرعة ، عسى أن يربك هذا خصمنا .
تفرّقوا فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها خلفهم شلال من أشعة الليزر ، انفجرت على الرمال ، وأثارت موجة أخرى من التضاغط العنيف ، قذفت الأجساد الثلاثة مرة ثانية على الرمال ..
وفى هذه المرة هتفت (سلوى) فى يأس :
- لا فائدة .. لا فائدة ..
ولكن المقاتلة السوداء لم تعاود انقضاضها ، وإنما مالت جانبًا ، بزاوية قائمة تقريبًا ، واندفعت إلى قلب السماء ، حيث اختفت تمامًا ..
وران هدوء عجيب على الصحراء ..
هدوء جعل (محمود) يتردّد لحظة ، قبل أن يقول فى خفوت :
- هل رحل ؟!
نهض (نور) يدير عينيه فيما حوله ، قائلًا :
- أظن هذا .
زفرت (سلوى) فى حرارة ، هاتفة :
- حمدًا لله .
وأشار (نور) إلى سرب العربات المدرّعة ، قائلًا :
- ودون أن يمسّ مدرّعة واحدة .

تطلّع زميلاه إلى سرب المدرّعات الآلية ، وقالت (سلوى) فى حيرة :
- هذا صحيح .. ولكن ما الذى يعنيه هذا ؟
أجابها (نور) فى لهجة تعكس غضبه :
- يعنى أنه كان يعلم أمر الفخ يا عزيزتى .
ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :
- وأن بيننا خائنًا ..

* * *

« خائن ؟! .. »
هتف القائد الأعلى بالعبارة فى دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :
- اتهامك هذا بالغ الخطورة يا (نور) ، فلو صحّ الاتهام سيعنى هذا أن الخائن هو أحدنا .. أنا ، أو أنت ، أو الدكتور (ناظم) .
قال (نور) فى حزم :
- وهذا ما أعنيه بالضبط يا سيدى .
هتف الدكتور (ناظم) فى غضب :
- كيف تجرؤ ؟
قال (نور) فى سرعة :
- الخائن لم يقصد الخيانة ياسيدى ، فهو أيضًا واقع تحت تأثير نوع من السيطرة العقلية ..
هتف الدكتور (ناظم) فى غضب :
- إننى أرفض هذا الاتهام ، أيًا كانت الأسباب .
أشار إليه القائد الأعلى ، قائلًا :
- مهلًا يا دكتور (ناظم) .. لا ينبغى أن نتعامل مع الأمر بمثل هذه الحساسية المفرطة ، فالأمر أكبر من أن نواجهه بمنظور شخصى ، إذ أن أمن الوطن ، وربّما أمن كوكبنا كله ، يتعرّض لخطر داهم ، ومن واجبنا

أن نتصدى لهذا الخطر ، مهما كانت الأسباب والتضحيات .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ وهل سنحتمل هذه الإهانات ، من أجل هذا ؟

قال (نور) ، وهو يسيطر على أعصابه فى شدة :

ـ إنها ليست إهانات يا سيدى ، بل محاولة لمنع خصومنا من تحقيق أغراضهم .

قال الرجل فى حدة :

ـ إننى مستعد لاختبار كشف الكذب .

هز (نور) رأسه ، وقال :

ـ لن يصلح الاختبار هذه المرة يا دكتور (ناظم) ، فعمل جهاز كشف الكذب يعتمد على قياس تغيرات ضغط الدم ، والحرارة ، والنبض ، ومعدل التنفس ، وإفراز العرق ، للتنبؤ بحالات الكذب والصدق ، وهذا الأسلوب غير دقيق أو عملى ، ويمكن التغلب عليه بالتدريب المستمر ، أو باستخدام أنواع خاصة فى العقاقير ، حتى أن القضاء لا يعترف به قط(*) .

قال فى عصبية :

ـ أى أسلوب تقترح إذن ؟ .. هل ستستجوبنى أنا والقائد الأعلى ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لا يا سيدى .. لن تكون هناك حاجة كبيرة للاستجواب ، فلقد درست الأمر جيدًا ، ووجدت أن ثلاثتنا كنا نعرف موعد الفخ ، الذى أعددناه لاختبار تأثر الـ (م ـ ١) بالموجات فوق الصوتية ، ولكنك وسيادة القائد الأعلى وحدكما كنتما تعرفان موعد اختبار المقاتلة الجديدة ، وموقع القاعدة العسكرية الحديثة ، وهذا يعنى أن الشبهات ستقتصر عليكما ـ مع اعتذارى ـ ولكن للسيطرة على عقل أحدكما ، لابد من معرفة شخصيته ،

(*) حقيقة علمية .

ووجود وسيلة للاقتراب منه ، ولما كانت شخصية القائد الأعلى محاطة بسرية بالغة ، فالشخص الوحيد الممكن الوصول إليه ، والسيطرة على عقله هو ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى غضب :

ـ هو أنا .. أليس كذلك ؟

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتطلع إلى الدكتور (ناظم) فى حذر ، فى حين أجاب (نور) :

ـ معذرة يا دكتور (ناظم) ، ولكن التوصل إلى الحقائق قد يضطر المرء أحيانًا إلى تجاوز أصول اللياقة ، أو ...

قاطعه الدكتور (ناظم) بصيحة مفاجئة :

ـ خطأ .

ثم أشار إلى القائد الأعلى ، مستطردًا فى غضب :

ـ من المؤكد أن استنتاجك خاطئ تمامًا أيها الرائد .. أتعلم لماذا ؟ .. لأننى أشك منذ اللحظة الأولى فى هذا الرجل ..

وارتفع صوته ، وهو يردف فى انفعال :

ـ فى القائد الأعلى ..

* * *

جلس الدكتور (محمد حجازى) فى مختبره الخاص ، يراقب شاشة مجهره الأيونى فى اهتمام بالغ ، وهو يعيد فحص خلايا مخ السائق (فتحى) للمرة السادسة ..

كان كل شىء يبدو عاديًا ، كما كان فى كل مرة ..

ـ كل خلية من خلايا المخ سليمة ، لا أثر فيها لأدنى مرض أو عبث .. كل منطقة من مناطقه الحيوية كانت تعمل بكفاءة ..

وفى هذه المرة أطلق الدكتور (حجازى) زفرة توتُّر حارة ، وهو يقول :

- ما الذى أصابهم إذن ؟

نهض من أمام شاشة الجهاز ، واتجه إلى جزء آخر من معمله ، وضغط زر جهاز اختبارات الدم ، وراجع الأرقام والنتائج على الشاشة ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلًا :

- لا يوجد أى مرض .. لم تختلف النتائج قط .

أغلق جهاز اختبارات الدم ، وعاد إلى مكتبه ، وراح يخطّ بعض الكلمات على ورقة أمامه ، قبل أن يردِّد :

- لا أمراض ، أو فيروسات ، أو آثار عمليات جراحية بالمخ ، أو أجسام دقيقة مزروعة فى خلاياه .. ليس أمامنا إذن سوى تفسير واحد .. أن تكون عملية سيطرة عقلية ، كما يقول (رمزى) ، أو هو عمل شيطانى ، من ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

- من أعمال ابن الشيطان .

سرت فى جسده قشعريرة ، وهو يسترجع فى ذهنه تلك الصراعات العنيفة المخيفة ، التى دارت بين الفريق ، وبين ذلك المسخ نصف البشرى ، وردَّد :

- أدعو الله (سبحانه وتعالى) ألا يكون كذلك .

ارتفع أزيز آلة الاتصال الداخلى ، بين منزله ومعمله ، فى هذه اللحظة ، فضغط زره ، وقال :

- من هناك ؟

أتاه صوت (مشيرة محفوظ) ، صحفية (أنباء الفيديو) ، وهى تقول :

أنا (مشيرة) يا دكتور (حجازى) .. هل يضايقك أن ألتقى بك قليلًا ؟

سألها فى حذر :

- بشأن ماذا ؟

أجابته فى هدوء :

- بشأن استشارة هامة .

تردَّد لحظة فى إجابتها ، ثم منعه حياؤه من رفض مطلبها ، فقال :

- لا بأس يا (مشيرة) ، ولكن أرجو ألا تستغرق استشارتك وقتًا أطول مما ينبغى ، فلدى عمل كثير اليوم .

أجابته بصوت لمح فيه رنة ظافرة :

- اطمئن .

ضغط أزرار باب المعمل ، ليسمح لها بالدخول ، ورآها تجتاز ردهة منزله ، وتدلف إلى معمله ، فاعتدل يقول :

- مرحبًا يا (مشيرة) ، ما نوع الاستشارة بالضبط ؟

أجابته وهى تتخذ مجلسها إلى جواره :

- استشارة خاصة بفريق (نور) .

شعر بالندم ، على سماحه لها بالدخول ، وأيقن من أنها لن تنصرف ، قبل إشباع فضولها تمامًا ، فقال فى ضيق :

- لا شأن لى بفريق (نور) يا (مشيرة) .. إننى أهتمّ بعملى فحسب .

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

- حقًا ؟! .. لماذا تحاول خداعى يا دكتور (حجازى) ؟ .. أنسيت أننى كنت يومًا .. أحد أفراد الفريق ، وأننى واحدة من القلائل ، فى هذا العالم ، الذين يعرفون طبيعة عمل (نور) وفريقه ، ويعلمون أنك تعاونهم بأبحاثك وعملك ، فى مجال الطب الشرعى .

أجابها فى ضجر :

- كان هذا فيما مضى يا (مشيرة) ، أما الآن فلم أعد أهتمّ سوى

بعملى ، كأستاذ ورئيس لقسم الطب الشرعى والسموم ، بكلية طب (بنها) .

قالت ساخرة :

ـ حقًا ؟!

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ اسمعنى جيدًا يا دكتور (حجازى) .. لقد عملت طويلًا مع (نور) وفريقه ، ورأيت كيف تتعاون معهم ، وكيف أنك الطبيب الشرعى الوحيد ، فى هذا العالم أجمع ، الذى يمنحونه ثقتهم ، ولقد رصدت صحيفتى حادثين عجيبين ، لابد أن يكون لـ (نور) وفريقه يد فى محاولة كشف غموضهما ، الأول هو حادث تلك الطائرة السوداء العجيبة ، التى هاجمت المبنى الإدارى للمخابرات العلمية ، والثانى هو ذلك الحادث ، الذى تعرّض له (نور) ، وليقطع ذراعى لو لم يكن الحادثان مرتبطين ببعضهما البعض ، ولو لم تكن أنت على صلة وثيقة بهما .

شعر الدكتور (حجازى) بالضيق لتلك الأسئلة ، وحمد الله على أن الحوادث المتعلقة بـ (م ـ ١) قد أحيطت كلها بسرية بالغة ، لضرورات الأمن الحربى ، وإلا تضاعف فضول (مشيرة) أضعافًا مضاعفة ، وقال فى ضجر :

ـ أنت تعلمين أننى لا أستطيع أن أخبرك بأى شىء أعرفه ، فى هذا الشأن يا (مشيرة) ، هذا لو كان هناك ما أعرفه .

ابتسمت فى دهاء ، قائلة :

ـ سأكتفى بنتائج التشريح .

سألها فى دهشة :

ـ أى تشريح ؟

أجابته بسرعة :

ـ تشريح جثث رجال الشرطة الأربعة ، الذين هاجموا سيارة (نور)

وتسببوا فى تدميرها .. لا تحاول الإنكار فى هذا الشأن ، فقد حصلت على تقارير الشرطة ، وشهادة أطباء المشرحة ، التى تؤكد مسئوليتك الشخصية عن تشريح تلك الجثث .

تراجع فى مقعده ، قائلًا :

ـ لم أبدأ فى تشريح هذه الجثث بعد .

قالت فى سرعة :

ـ ولكنك أحضرتها إلى مختبرك الخاص .

أجابها وهو يتمنى لو انتهت أسئلتها ، وغادرت المكان :

ـ هذا لا يعنى أن أبدأ فى تشريحها على الفور .

تراجعت فى مقعدها ، ورمقته بنظرة شك طويلة ، قبل أن تقول :

ـ لماذا تحاولون إخفاء الأمر هكذا ؟ .. أهو بالغ الخطورة إلى هذا الحد ؟

كان يعلم أن فضولها لن يهدأ أبدًا ، مادامت الأمور غامضة على هذا النحو ، فقال :

ـ لست أدرى يا (مشيرة) .. صدقينى .. لست أدرى .

وفجأة انقطعت الأضواء كلها داخل المعمل ، فهتفت (مشيرة) فى ذعر :

ـ ماذا حدث ؟

أجابها الدكتور (حجازى) ، وقد تسلّل شىء من القلق إلى نفسه :

ـ لا داعى للذعر .. إنه انقطاع بسيط فى التيار الكهربى .

كان يتمنّى لو أن الأمر كذلك بالفعل ، ولكنه سمع ، كما سمعت (مشيرة) ، وقع تلك الأقدام البطيئة الهادئة ، التى تتحرّك داخل ردهة المنزل ، فى طريقها إلى المعمل ..

وهتفت (مشيرة) :

ـ ما هذا ؟ .. هناك شخص يقترب .

تذكّر الدكتور (حجازى) أنه لم يُغلق باب المختبر ، بعد دخول (مشيرة) ، وشعر بندم بالغ على أنه لم يفعل ، فقال فى عصبية :

ـ نعم أسمع هذا .

وهتف بصوت مرتفع :

ـ من القادم ؟ .. من أنت ؟

رأى على الضوء الخافت ، المتسلّل من النوافذ فى الردهة ، جسد أشبه برجل ناضج ، يقترب فى بطء وهدوء من المعمل ..

ولكنه لم يكن يشبه البشر ، إلا فى جسده فحسب ..

أما الرأس ، فكان يختلف ..

يختلف كثيرًا ..

كان أضخم مما ينبغى ، ويشبه بيضة كبيرة ، قاعدتها إلى أعلى ، وقمتها تصنع الوجه ..

وارتجف الدكتور (حجازى) ، مع رؤية ذلك الظل ، غير الواضح الملامح ، وسط الظلام ، وصاحت (مشيرة) فى رعب :

ـ ماهذا يا دكتور (حجازى) ؟ .. ما هذا الشىء ؟

وصل ذلك المخلوق إلى باب المعمل ، فى هذه اللحظة ، فتوقّف هناك فى صمت وسكون ، مما زاد من رهبة الموقف ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـ ماذا تريد منا بالضبط ؟

جاوبه صمت مطبق ، وذلك المخلوق جامد عند الباب ، فالتقطت (مشيرة) حقيبتها فى توتر بالغ ، والتقطت من داخلها آلة التصوير فى حذر ، ثم رفعتها إلى عينيها فى سرعة ، وضغطت زر التصوير ..

ـ وسطع مصباح التصوير فى المكان ، وبدد الظلمة لجزء من الثانية ..

وسقط الضوء فى وجه المخلوق ..

وصاح الدكتور (حجازى) ، وهو يتراجع فى حدة :

ـ ياإلهى ! .. إنه .. إنه .

وفجأة رفع المخلوق ذراعه فى حركة حادة ، فشعرت (مشيرة) وكأنها قد تلقّت ضربة عنيفة فى رأسها ، دفعتها إلى الخلف فى عنف ، وضربتها بالحائط ، فسقطت فاقدة الوعى ، فى حين شعر الدكتور (حجازى) بآلام رهيبة تجتاح رأسه ، مما جعله يصرخ :

ـ لماذا تفعل بنا هذا ؟ .. لماذا ؟

وسقط بدوره فاقد الوعى .

* * *


تلقت ضربة عنيفة فى رأسها ، دفعتها إلى الخلف فى عنف ، وضربتها بالحائط فسقطت فاقدة الوعى ..

٧ ـ الغموض ..

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يحدّق فى وجه الدكتور (ناظم) فى دهشة واستنكار ، قبل أن يهتف فى غضب :

ـ تشك بى أنا ؟! ومن اللحظة الأولى ؟! .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ يعنى أن هذا التفسير كان يقلقنى بشدة ، منذ حادث القاعدة السرية ، أيها القائد الأعلى ، فلم يكن هناك من يعلم بتفاصيل الاختبار ومكانه سوانا ، أنت وأنا ، وبعد أن حدث ما حدث ، لم يكن هناك تفسير سوى أنك نقلت السر إلى شخص ما .

صاح القائد الأعلى :

ـ ولم لا تكون أنت الذى فعل هذا ؟

أجابه فى حدة :

ـ لأننى واثق من أننى لم أفعل .

أدرك (نور) ، فى هذه اللحظة فقط ، لماذا كان الدكتور (ناظم) يرمق القائد الأعلى بنظرات عجيبة ، فى المرة السابقة ، ولكنه قال فى هدوء :

ـ وهذه هى المشكلة يا دكتور (ناظم) ، فالخائن لن يعلم حتى أنه خائن ، ولن يتصوّر أبدًا أنه كشف أسرار الإدارة ، بل سيكون واثقًا من أنه لم يفعل ، فهذا هو الغرض من السيطرة عليه عقليًا .

قال الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ وكيف يمكن كشف هذا الأمر ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ بجلسة تنويم مغناطيسى واحدة .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه ، وقال :

ـ لا بأس .. سأخضع لهذا الأسلوب ، لو أنه الوسيلة الوحيدة لكشف هذا .

تنهّد (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـ أشكرك يا دكتور (ناظم) .. تعاونك سيجعل الأمور أفضل كثيرًا .

بدا الضيق على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ ليس لدى خيار آخر .

ثم سأل فى عصبية :

ـ ومتى نفعل هذا ؟

أجابه (نور) :

ـ الآن .. سننتقل معًا إلى حجرة الفحص ، وسيتولّى (رمزى) عملية التنويم المغناطيسى .

قال الدكتور (ناظم) فى توتّر :

ـ لا بأس ، ولكن من الضرورى أن يُطبّق هذا عليه أيضًا .

سأله (نور) :

ـ على من ؟

لم يكد يلقى سؤاله ، حتى أدرك جوابه على الفور ، قبل حتى أن يقول الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ على القائد الأعلى طبعًا .

اعتدل القائد الأعلى ، وقال :

ـ بالطبع .. إننا نتساوى جميعًا فى هذا الأمر .

هدأت أعصاب الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة أوافق .. أوافق تمامًا .

وانتهت هذه المشكلة ..

أو بدأت ..

★ ★ ★

قاد (محمود) سيارته بسرعة منخفضة نسبيًا ، وهو يفكّر فى ذلك اللغز الجديد ، الذى فرض نفسه على الفريق ، بعد فترة طويلة ، لم يواجه الفريق خلالها سوى الأعمال العنيفة الواضحة ، التى لا تحتاج إلى البحث عن حلول وتفسيرات ، بقدر ما تحتاج إلى القتال والصراع والقوة ..

وعند منطقة هادئة ، من كورنيش النيل الجديد ، أوقف سيّارته ، وراح يتأمّل النهر العظيم ، الذى يشقّ (مصر) كلها ، قادمًا من منابعه الأصلية(★) ، ليروى ملايين البشر ، عبر آلاف السنين ، ثم يصبّ مياهه فى البحر ..

كان مشهد النيل فى تلك الليلة رائعًا ، وضوء القمر ينعكس على صفحته ، ويتألّق ببريق فضى أخّاذ ، ممتزجًا بأضواء النباتات الهائلة ، والإعلانات الملوّنة ..

ولكن عقل (محمود) لم يكن صالحًا للاستمتاع بالمشهد الرائع ، فى هذه الليلة ، فقد كان يستعيد كل تلك الأحداث الغامضة المخيفة ، ويحاول ربط بعضها ببعض ، والعثور على طرف خيط وسطها ، يمكن أن يقوده إلى الحقيقة ..

كان يعلم أنه أضعف أفراد الفريق جسمانيًا ، ولكنه يثق كثيرًا فى عقليته ، وفى خبراته العلمية فى مجال الأشعة وصنوفها ، وكان يحاول

(★) منابع النيل : للنيل مجموعتان من المنابع ، بحيرات الهضبة الاستوائية (فيكتوريا) ، و (آلبرت) ، و (إدوارد) ، ومياه هضبة (أثيوبيا) ، وتلتقى مياه المنبعين فى (الخرطوم) ، الأوّل عبر النيل الأبيض ، والثانى عبر النيل الأزرق .

البحث عن تفسير مناسب ، فى ظل هذه الخبرات ..

ولكنه لم يجد هذا التفسير ..

كان الأمر ـ بالفعل ـ أصعب مما يتصوَّر بكثير ..

وبعد ساعة كاملة من البحث والدراسة والتفكير ، شعر (محمود) باليأس ، وقرَّر العودة إلى منزله ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أنه لا فائدة .. سيظلّ (نور) دائمًا هو الأفضل ، فى هذا المجال .

استقلّ سيارته ، وانطلق بها عائدًا إلى منزله ، إلا أنه لم يلبث أن انتبه إلى قربه من منزل الدكتور (حجازى) الجديد ، فقال لنفسه :

ـ تُرى هل توصَّل الدكتور (حجازى) إلى شىء ؟

لم يكد السؤال ينطلق على لسانه ، حتى أدار مقود سيارته ، واتجه نحو منزل الدكتور (حجازى) ، وضغط زر جرس الباب ، ثم انتظر فى هدوء ..

وفجأة لمح الباب المفتوح ، وتساءل عن السبب فى كونه كذلك ، فدفعه بيده فى رفق ، وقال :

ـ دكتور (حجازى) .. أأنت هنا ؟

لم يتلقَ جوابًا ، فدخل إلى المنزل فى تردّد ، مكرِّرًا :

ـ دكتور (حجازى) .. أنا (محمود) .. أين أنت ؟

التقطت عيناه باب المعمل المفتوح على مصراعيه ، فى نهاية الردهة ، فالتقى حاجباه فى قلق ، وهو يقول لنفسه :

ـ عجبًا !! .. إنه لا يتركه مفتوحًا أبدًا .

تقدَّم فى حذر نحو المعمل ، وهو يقول :

ـ دكتور (حجازى) .. هل تسمعنى ؟

بلغ المعمل فى خطوات حذرة ، وأطلّ داخله فى قلق ، قبل أن يهتف :

ـ يا إلهى !

كان المعمل محطمًا تمامًا ، وقد انكسرت شاشة المجهر الإليكترونى ، وتبعثرت الأدوات فى كل مكان ، وتحطَّم جهاز فحص الدم ..

وكانت (مشيرة) ملقاة وسط المعمل ، والدماء تنزف من جرح فى مؤخرة رأسها ، وإلى جوارها آلة التصوير محطمة تمامًا ..

واندفع (محمود) نحو (مشيرة) ، وهو يهتف فى جزع :

ـ (مشيرة) .. (مشيرة) .. ماذا أصابك ؟ .. يا إلهى ! .. ماذا حدث هنا ؟ .. أين الدكتور (حجازى) ؟

حاول إيقاظها فى توتر بالغ ، ولكن جسدها كان متراخيًا فى شدة ، مما جعله يفحص نبضها فى عصبية ، ويهتف :

ـ ربّاه !! .. إنها تحتضر .

وارتفع صوته ، وهو يهتف :

ـ النجدة !! النجدة !! إنها تحتضر .. النجدة !

وما من مجيب ..

★ ★ ★

، استرخ تمامًا .. ،

نطقها (رمزى) فى هدوء بالغ ، وبصوت عميق ، وهو يتطلّع إلى عينى الدكتور (ناظم) مباشرة ، فغمغم هذا الأخير فى عصبية :

ـ إننى أحاول .

قال (رمزى) بنفس اللهجة الهادئة العميقة :

ـ انظر إلى عينىَ مباشرة ، وستجد أنهما تتسعان ، وتتسعان ، وتتسعان ..

كان صوته يزداد عمقًا ، وهو يكرِّر الكلمة فى بطء ورتابة ، والدكتور (ناظم) يتطلّع إلى عينيه فى توتر ..

ثم زال التوتر تدريجيًا ..

وعلى الرغم من سخطه ، بدأ الدكتور (ناظم) يشعر بالهدوء والاسترخاء ، وخُيِّل إليه أن عينى (رمزى) تتسعان بالفعل ، وأنهما تتحولان إلى بئر عميقة .. عميقة هادئة ، تنساب المياه على جدرانها فى نعومة ، ثم تنحدر فى خرير جميل ، و ...

وذاب عقله مع كل هذا ..

وبصوته الهادئ العميق ، سأله (رمزى) :

ـ أتشعر الآن بالاسترخاء ؟

أجابه الرجل :

ـ نعم .

تمتم القائد الأعلى فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .

أشار إليه (رمزى) أن يصمت ، وقال للدكتور (ناظم) :

ـ الآن ستحرَّر ذاكرتك ، وستنطلق إلى الوراء .. إلى الفترة السابقة لحادث اختطاف (م ـ ١) ، وتدمير تصميماتها ، واغتيال مصممها .. هيا .. دعنا نعد إلى تلك الفترة .

تمتم الدكتور (ناظم) ، وقد اتسعت حدقتا عينيه ، وبدا من الواضح أنه غارق فى سبات صناعى عميق :

ـ إننى أعود إليها .

مال (رمزى) نحوه ، وسأله فى هدوء :

ـ ماذا حدث فى تلك الفترة ؟

أجابه (ناظم) :

ـ انتهت تصميمات المقاتلة الجديدة ، وأطلعنى المصممون عليها ، وأبلغت أنا القائد الأعلى بانتهاء التصميمات ، فأصدر أمره ببدء تنفيذ المشروع .. وبدأت المصانع الحربية الجديدة عملها ، الذى لم يستغرق

سوى أسبوع واحد ، بالأجهزة التكنولوجية الحديثة ، وتحوَّلت التصميمات إلى حقائق ، وخرج إلى الوجود النموذج الوحيد من (م ـ ١) .

سأله (رمزى) :

ـ وكيف تم تحديد موعد ومكان اختبارها ؟

أجاب الرجل :

ـ اجتمعت أنا والقائد الأعلى ، فى سرية تامة ، وبحثنا أفضل الأماكن لدينا ، حتى وقع اختيارنا على قاعدة الصحراء الغربية الجديدة ، واخترنا الأوَّل من أغسطس موعدًا للاختبار ، على ألا يتم إبلاغ القاعدة إلا قبلها بيوم واحد ، ضمانًا لسرية الأمر .

بدا صوت (رمزى) أكثر عمقًا ، وهو يقول :

ـ من التقى بك بعد الاجتماع ، وحاول معرفة هذه المعلومات ؟

تردَّد الدكتور (ناظم) ، وارتجفت شفتاه ، وبدتا عاجزتين عن النطق ، كما راحت ملامح الرجل ترتجف ارتجافة خفيفة ، جعلت (نور) يشعر بالقلق ، فاتجهت يده فى حذر نحو مسدسه الليزرى ، فى حين كرَّر (رمزى) :

ـ من يا دكتور (ناظم) ؟

زادت ارتجافة الرجل ، واتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول فى صعوبة :

ـ لقد التقى بى بعد عودتى .. الرأس الكبير .. يا إلهى ! .. إنه .. إنه ..

سأله (رمزى) فى اهتمام بالغ :

ـ إنه ماذا ؟ اخبرنا يا دكتور (ناظم) .. اخبرنا .

وهتف القائد الأعلى :

ـ قلها بالله عليك .

أما (نور) ، فقد تضاعف قلقه ، وهو يرى تلك الارتجافة العنيفة ، التى شملت جسد الدكتور (ناظم) كله ، ومدّ يده يمسك قبضة مسدسه فى قوة ، فى حين راح الدكتور (ناظم) يردّد ، فى لهجة أشبه بلهجة رجل ملتاع :

ـ الرأس الكبير .. الرأس الكبير ..

ثم صرخ فجأة :

ـ اقتل .. اقتل .

وبكل ما يملك من قوة قفزت قبضته تلكم (رمزى) فى فكه ، وتلقى به أرضًا ، ثم هبّ واقفًا ، وهو يكرّر كلمته فى شراسة :

ـ اقتل .. اقتل .

هتف القائد الأعلى وهو يتراجع :

ـ يا إلهى ! .. نفس ما أصاب اللواء (رفيق) يا (نور) .

ولكن (نور) اندفع نحو الدكتور (ناظم) ، هاتفًا :

ـ لن يكون مصيرهما متشابهًا بإذن الله .

انقضّ على الدكتور (ناظم) ، الذى واجهه فى شراسة عجيبة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، تفاداها (نور) فى مهارة ، ثم انحنى فى سرعة ، وأحاط وسط الرجل بذراعيه ، ثم دفعه أمامه إلى الحائط ، ليرتطم به فى قوة ..

ولكن الدكتور (ناظم) لم يتأثّر بالارتطام ..

لم يبد عليه حتى أنه قد ارتطم بالحائط ، وهو يضمّ قبضتيه ويرفعهما عاليًا ، ثم يهوى بهما على مؤخّرة عنق (نور) بضربة عنيفة ، إلى الحد الذى سقط معه (نور) أرضًا ، وهو يقاوم فقدان الوعى فى صعوبة بالغة ..

ـ وفى سرعة ، انحنى الدكتور (ناظم) يلتقط مسدس (نور) من غمده ، ثم رفعه نحو القائد الأعلى ، وردد فى شراسة :

ـ اقتل .. اقتل .

وضغط الزناد ..

★ ★ ★

اندفعت (سلوى) و (نشوى) تعبران ممر المستشفى فى خطوات هلعة ، حتى بلغتا حجرة الطوارئ ، فاستقبلهما (محمود) هناك بوجه شاحب وأعصاب شديدة التوتر ، وهتفت به (سلوى) :

ـ ماذا أصاب (مشيرة) ؟

أجابها فى اضطراب :

ـ الأطباء يقولون إن حالتها بالغة الخطورة ، ولكنهم يبذلون أقصى طاقتهم لإسعافها ، وإنقاذ حياتها .

قالت (نشوى) فى جزع :

ـ يا للمسكينة !! .. هل تعرّضت للعنف ؟

أجابها فى شحوب :

ـ بالتأكيد ، فهى مصابة بارتجاج فى المخ ، ويوجد تجمع دموى داخل جمجمتها ، نشأ عن نزيف داخلى ؟

سألته (سلوى) :

ـ وكيف عثرت عليها ؟

أجاب فى مرارة :

ـ بالمصادفة البحتة ، فقد مررت على منزل الدكتور (حجازى) ، لسؤاله عما توصّل إليه فى قضيتنا ، فوجدت باب المنزل وباب المعمل مفتوحين ، و (مشيرة) مصابة ، وملقاة فى المعمل ، ورحت أصرخ طالبًا النجدة ، حتى حضر أحد جيران الدكتور (حجازى) ، واتصل بالمستشفى من هاتفه ، فحضرت سيارة الإسعاف .

سألته (نشوى) فى دهشة :

- ولماذا لم تتصل بهاتف الدكتور (حجازى) ؟

أجابها ملوّحًا بكفيه :

- هاتفه كان محطمًا تمامًا .. كل شىء فى المعمل تعرّض لتدمير عنيف .

ردّدت (سلوى) فى توتر :

- تدمير عنيف ؟!

ثم قالت فى قلق :

- وأين الدكتور (حجازى) ؟

هزّ رأسه نفيًا فى مرارة ، وهو يجيب :

- لست أدرى أين هو .. لقد اختطفوه حتمًا .

هتفت ملتاعة :

- اختطفوه ؟! .. يا إلهى ! .. لابد من إبلاغ (نور) .. لابد .. لابد ..

★ ★ ★

لم يدر الدكتور (حجازى) كم من الوقت بقى فاقد الوعى ، ولكنه بدأ يستعيد وعيه تدريجيًا ، وهو يرقد فوق شىء نصف لين ، ولكنه مريح للغاية ، حتى أنه لم يشعر بأدنى ألم فى جسده ، باستثناء ذلك الصداع الخفيف ، الذى جعله يفتح عينيه فى بطء ، ويتطلع إلى المكان من حوله فى حيرة ..

كان يرقد داخل معمل مشابه لمعمله ، إلى حد كبير ، ولكنه يذخر بأدوات أكثر حداثة ، وأغلى ثمنًا بكثير ..

وكانت هناك أدوات إضافية عديدة ..

وفى توتر ، نهض الدكتور (حجازى) جالسًا ، وتطلع فى دهشة إلى ذلك الفراش ، الذى كان يرقد فوقه ..

لم يكن فراشًا بالمعنى المعروف ، وإنما مادة شبه إسفنجية ،

وانحفر داخلها تجويف مطابق لجسده تمامًا ، بحيث يمكنه أن يرقد فيه بارتياح خرافى ، لا يمكن الشعور به ، إلا بهذا الأسلوب(★) ..

وهبط الدكتور (حجازى) من ذلك الفراش العجيب ، وأدار عينيه فى المعمل مرة أخرى ، وهو يسأل نفسه ..

من صنع هذا المكان ؟ ..

ولماذا ؟ ..

ومن أتى به إلى هنا ؟ ..

ولماذا أيضًا ؟ ..

دارت عيناه فى المكان مرة أخرى ، ثم توقّفت عند نافذة مستطيلة صغيرة ، فى طرف الحجرة ، فاتجه إليها بخطوات سريعة ، وأطلّ منها إلى الخارج ، ثم تراجع فى دهشة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !.. إنها الـ (م - ١) .

وبالفعل ، كانت المقاتلة السوداء تقف على بُعد أمتار منه ، داخل حظيرة مغلقة ، لها جدران من معدن لامع سميك ، ويمتلئ سقفها بمصابيح قوية ، سقطت أضواؤها على (م - ١) ، دون أن ينعكس شعاع واحد ، عن السطح الشديد السواد لها ..

وحول المقاتلة الرهيبة ، كانت هناك أجسام تتحرّك ..

أجسام معدنية ، تنعكس عنها الأضواء ، فى بريق أخاذ ، وهى تدور حول المقاتلة ، وتؤدى أعمالها فى سرعة وخفة ..

وأدرك الدكتور (حجازى) طبيعة تلك الأجسام المعدنية ..

كانت جيشًا صغيرًا من الأشخاص الآليين ، المعدّين للعناية بالمقاتلة وتسليحها ، وتزويدها بالذخيرة والوقود ..

(★) حقيقة علمية .

وتساءل الدكتور (حجازى) فى دهشة ، عمن صنع كل هذا ، أو عن تلك القوة ، التى تختفى وراء ذلك التنظيم الآلى الدقيق ..

وفى نفس اللحظة ، التى بدأ فيها تساؤلاته ، سمع صوت المعمل ينفتح من خلفه ، فالتفت إليه فى حركة حادة ، وتراجع فى دهشة ، عندما رأى أحد الأشخاص الآليين ، وهو ينزلق فوق إطارات معدنية إلى المعمل ، حاملًا صينية طعام ، وضعها فوق منضدة قريبة ، ثم استدار محاولًا الانصراف ..

وهنا لاحت الفرصة للدكتور (حجازى) ..

كان باب المعمل مفتوحًا ، والآلى يتجه إليه فى بطء ..

وحسم الدكتور حجازى رأيه فى سرعة ، واندفع بلا تردد نحو الباب المفتوح ، وسمع الآلى يقول بصوته المعدنى :

- إنذار .. إنذار .. الأسير يحاول الهرب .

وبدأ الباب المعدنى ينزلق لإغلاق نفسه ، استجابه للإنذار ، ولكن الدكتور (حجازى) زاد من سرعته ، وقفز عبر فرجة الباب ..

وعبره ..

عبره فى اللحظة الأخيرة ، حتى أن جسده احتك بحافة الباب ، قبل أن يسقط خارجه ، ويسمع صوته وهو يغلق خلفه ..

ولثوان ، ظل الدكتور (حجازى) جامدًا فى مكانه ، ثم لم يلبث أن هب واقفًا على قدميه ، وسمع الآليين يرددون :

- إنذار .. إنذار .

ولم يعد هناك خيار ..

وبكل قوته وسرعته ، انطلق الدكتور (حجازى) يعدو داخل المكان ، ويتفادى الآليين ، الذين يتجهون إليه فى بطء ، محاولين الإمساك به ، وهو يبحث عن مخرج أو منفذ للهروب ، من تلك القاعة الهائلة ، التى خرج إليها ، والتى تستقر داخلها (م - ١) ..

وأخيرًا لمح المخرج ..

كان بابًا جانبيًا ضيقًا ، اندفع نحوه بلا تردد أو تفكير ، وعبره فى سرعة ، قبل أن يبلغه أحد الآليين ، ثم أغلقه خلفه فى إحكام ، وسمع طرقات الآليين عليه ، فى محاولة لاقتحامه ، فتراجع عنه فى توتر ، والتفت إلى ذلك الممر العريض الطويل ، الذى قاده إليه الباب ..

كان ممرًا ضخمًا ، يكاد طوله يبلغ الأمتار العشرين ، دون أية أبواب جانبية ، وبمصابيح قوية فى سقفه ، وكان ينتهى بباب كبير مغلق ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع ، فى هذه المرة أيضًا ..

إما أن يمضى فى الممر ، حتى ذلك الباب المغلق فى نهايته ، ويحاول فتحه ، وعبوره إلى مكان آخر مجهول ، أو يبقى داخل الممر ، فى انتظار أن ينجح الآليون فى اقتحام الباب الآخر ، ويهاجمونه ..

وكان الاختيار أوضح مما ينبغى ..

وفى سرعة ، اتجه الدكتور (حجازى) نحو الباب الآخر ، ودفعه فى قوة ، وهو يتصوّره موصدًا فى إحكام ..

ولكن الباب كان مفتوحًا تقريبًا ..

ووجد الدكتور (حجازى) نفسه يندفع داخل قاعة أكبر حجمًا ..

ولم يكد يعتدل ، ويلقى نظرة على تلك القاعة الهائلة ، بكل ما يحتشد فيها من آلات ومعدات ، حتى اتسعت عيناه فى ذهول ، وتراجع كالمصعوق ..

كانت هذه القاعة عبارة عن مصنع آلى ضخم ، تضافرت كل إمكاناته لصناعة شىء واحد ..

سرب من الطائرات ..

طائرات الـ (م - ١) .

* * *

٨ - ماذا يحدث ؟..

من حسن حظ الجميع أن الدكتور (ناظم) لم يكن أبدًا ممن يروق لهم حمل السلاح ، أو حتى ممن يمكنهم إجادة التصويب ، فلقد كانت مبادرته بالتقاط سلاح (نور) مفاجئة للغاية ، حتى أن القائد الأعلى لم يجد الوقت الكافى لتفادى الأشعة المصوّبة إليه ، والتى اخترقت تلك العضلة الكبيرة ، بين عنقه وكتفه اليسرى ، فأطلق صيحة ألم ، وارتطم بالحائط خلفه ، فى حين أعاد الدكتور (ناظم) تصويب مسدسه ، وهو يردّد نفس الكلمة المخيفة :

- اقتل .. اقتل ..

وفى هذه المرة كان يصوّب إلى رأس القائد الأعلى مباشرة ..

وهتف القائد الأعلى :

- ماذا أصابه ؟

لم يكن (نور) قد استعاد كامل وعيه بعد ، ولكن (رمزى) اندفع نحو القائد الأعلى ، ودفعه جانبًا ، وهو يهتف :

- احترس يا سيّدى .

وضغط الدكتور (ناظم) زناد مسدسه ..

وانطلقت الأشعة هذه المرة ..

وانطلقت صيحة ألم ..

ولكن خيط الأشعة لم يصب القائد الأعلى هذه المرة ..

لقد أصاب (رمزى) ..

أصابه إصابة مباشرة فى عنقه ، جعلته يُطلق صيحة الألم السالف

ذكرها ، ثم يسقط عند قدمى القائد الأعلى فاقد الوعى ..

وصاح القائد الأعلى :

- يا إلهى ! .. لقد قتلته .

لم يبد على الدكتور (ناظم) أنه قد سمع حرفًا واحدًا من هذا ، وهو يعاود تصويب مسدسه إلى رأس القائد الأعلى ، مردّدًا كلمته الرهيبة ..

ولكن (نور) كان قد استعاد وعيه ..

وفى هذه المرة قفزت قدم (نور) تركل المسدس ، من يد الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى صرامة :

- لا قتل هذه المرة .

وعلى الرغم من قوة الركلة ، إلا أنها لم تنجح فى إفلات المسدس من يد الدكتور (ناظم) ، الذى أدار المسدس فى سرعة نحو (نور) ، وضغط زناده دون تفكير ، ولكن (نور) تفادى خيط الأشعة بقفزة جانبية ، ثم لكم الدكتور (ناظم) فى أنفه وفكه ومعدته ، بثلاث لكمات متتالية سريعة ، لم يبد تأثيرها على الرجل ، الذى ردّد :

- اقتل .. اقتل .

وفى سرعة دار (نور) حوله ، ثم هوى على مؤخرة عنقه بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

- معذرة يا سيّدى .. لا يوجد حل آخر .

سقط الدكتور (ناظم) على وجهه فاقد الوعى ، فأسرع (نور) يلوى ذراعيه خلف ظهره ، ويحيط معصميه بأغلال إليكترونية قوية ، والقائد الأعلى يمسك جرحه ، هاتفًا :

- أهو على قيد الحياة ؟

أجابة (نور) فى توتُّر :

ـ نعم ، ولكن من الخطر أن أتركه يقتل نفسه ، كما فعل اللواء (رفيق) .

ثم اندفع نحو (رمزى) ، وفحص جرحه فى سرعة ، قبل أن يهتف :

ـ يا إلهى ! .. إصابته بالغة الخطورة بالفعل .

أسرع القائد الأعلى نحو هاتفه الخاص ، وهو يقول :

ـ اطمئن أيها الرائد (نور) .. ستصل النجدة فى لحظات .

كان (نور) يعلم أن النجدة ستصل بالفعل فى لحظات ، ولكنه كان يشعر بتوتره يتضاعف فى كل ثانية ، وبأن خصمهم هذه المرة لن يهدأ ، حتى يسيطر على عقول الجميع ..

الجميع بلا استثناء ..

* * *

وقف الدكتور (محمد حجازى) يتأمل ذلك المصنع الآلى فى ذهول ..

كان مصنعًا تكنولوجيًا حديثًا ، بكل معنى الكلمة ، تخصصت بعض آلاته فى طرق صفائح (السوبر تيتانيوم) ، فى حين راحت الآلات الأخرى تصنع جسم الطائرة ، ومحركاتها النووية ، وحتى مقعدها المنفرد ، وأجهزة التوجيه المتطورة ، أما المرحلة الأخيرة فكانت تضع ذلك الطلاء القاتم الشديد السواد ، الذى لا يعكس أية أضواء أو موجات ، مما يجعل الطائرة كالشبح ، لا يمكن لأى جهاز رادار كشفها قط ، مهما بلغت حداثته وقوته ..

وكان من الواضح أن القوة ، التى أنشأت هذا المصنع تسعى لصنع جيشها الخاص ، من مقاتلات (م ـ ١) ، مما يجعلها أقوى قوة جوية ، فى العالم أجمع ..

ولكن ماهذه القوة ؟

من وراء كل هذا ؟

لم يكد السؤال يتوارد إلى ذهنه ، حتى سمع صوت انهيار باب الممر البعيد ، تحت وطأة ضربات الآليين ، ورآهم يندفعون إليه عبر الممر ، فدفع باب المصنع لإغلاقه ، ولكنه فوجئ بأن باب المصنع بلا رتاج ، فتراجع فى ذعر ، وانطلق يعدو عبر آلات المصنع ، والآليون يعدون خلفه ، حتى بلغ بابًا آخر ، يقود إلى ممر ثان ، أصغر وأقصر من الأول ، لم يكد يدلف إليه ، حتى توقف الآليون عن مطاردته ..

توقفوا تمامًا ، كما لو أن هذه المنطقة محظورة عليهم نهائيًا ..

وتوقف الدكتور (حجازى) فى حيرة ، وهو يتطلع إلى الآليين ، ويتساءل عن تلك المنطقة ، التى دلف إليها ..

ومن خلفه سمع وقع أقدام داخل الممر ، فالتفت فى سرعة إلى مصدرها ، وتراجع كالمصعوق ، حينما وقع بصره على صاحبها ..

كان نفس ذلك المخلوق ، ذى الرأس الكبير ..

وفى هدوء ، ارتفعت يد المخلوق ..

وكاد رأس الدكتور (حجازى) ينفجر ..

صداع رهيب اكتنفه ، وكاد يمزق شرايين دماغه كلها ..

وصرخ الدكتور (حجازى) فى ألم :

ـ توقف أيها اللعين .. توقف .

ولكن آلام عقله تضاعفت أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

ثم أظلمت الدنيا أمام عينيه ..

وانتهى كل شىء ..

* * *

انهمرت الدموع الصامتة من عينى (نشوى) وهى تجلس إلى جوار



وصرخ الدكتور (حجازى) فى ألم :

ـ توقف أيها اللعين .. توقف .

جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، متطلعة إلى والدها ، الذى بدا شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ حالة (رمزى) ليست بالغة الخطورة ، والأطباء يقولون إنه سيتجاوزها بإذن الله ، وأنا واثق من أنهم سينجحون فى إنقاذه ، كما نجحوا فى إنقاذ (مشيرة) ، ولكننى أجهل متى يستعيدان وعيهما ، وقدرتهما على مواصلة عملهما ، كما أن حالة الدكتور (ناظم) ستتحسن حتمًا ، ولكن بعد أن ننجح فى إنقاذه فى تلك السيطرة العقلية العجيبة .

سألته (سلوى) :

ـ وهل يمكننا إنقاذه منها ؟

هز كتفيه ، قائلًا :

ـ (رمزى) وحده كان يستطيع إجابة هذا السؤال ، فهو الخبير فى هذا الشأن ، ولكن من الواضح أن تلك السيطرة العقلية أكبر مما ينبغى ، فهى تهيمن تمامًا على عقل الضحية ، وتزرع داخلها خطة احتياطية ، للتنفيذ فى حالة كشف أمرها ، بحيث تتجه الضحية على الفور إلى قتل من كشف أمرها ، فإذا ما فشلت ، يكون عليها أن تقتل نفسها دون تردد .. ولكن الدكتور (ناظم) ردد كلمة ما ، قبل أن يسقط داخل البرنامج الاحتياطى ، إذ أشار إلى ما أطلق عليه اسم (الرأس الكبير) .

قالت (سلوى) فى دهشة :

ـ الرأس الكبير ؟! .. وما الذى يعنيه هذا ؟

هز كتفيه ، قائلًا :

ـ لست أدرى ما الذى يعنيه بالضبط ، فقد يعنى (الزعيم) ، أو شخصا له رأس كبير .

رددت (نشوى) :

ـ شخص له رأس كبير ؟!

ثم هتفت فى قلق :

- أبى .. ألا يمكن أن يشير هذا إلى مخلوق من عالم آخر ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- هذا محتمل ، ولكنه أحد الاحتمالات المطروحة .

سألته (سلوى) :

- ما الاحتمالات الأخرى ؟

مطّ شفتيه ، قائلًا :

- لم أدرسها كلها بعد ، ولكن الأمر الواضح ، هو أن تلك القوة ، التى تختفى خلف كل هذا ، قد أدركت أن فريقنا هو أقوى وأخطر ما تواجهه ، فى الوقت الحالى ، فهو فريق من الخبراء ، فى مختلف المجالات ، ولهذا فسيحاولون تصفية الفريق أو تدميره ، وهذا يبدأ باختطاف الدكتور (حجازى) ، وبعدها ستتم محاولات شتى للقضاء علينا ، أو اختطافنا .

غمغمت (سلوى) :

- بل بدأ هذا بمحاولة اغتيالك يا (نور) .

وافقها بإيماءة من رأسه ، وقال :

- المهم أننا فقدنا بالفعل (رمزى) ، والدكتور (حجازى) ، وأعتقد أن المسئولين عن هذا سيحاولون اختطاف (رمزى) من المستشفى ، أو تصفيته هناك .

اتسعت عينا (نشوى) فى هلع ، وهى تهتف :

- (رمزى) .. ياإلهى !

أشار إليها (نور) وهو يقول فى سرعة :

- اطمئنى يا (نشوى) .. لقد تركت (محمود) هناك ، لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية (رمزى) ، كما طلبت وضع (رمزى) فى حجرة خاصة ، تحت حراسة مشدّدة ..

سألته (سلوى) فى قلق :

أتظن هذا يكفى ؟

استرجع ذهنه ما حدث فى إدارة البحث العلمى ، عندما قتل الحارس الخاص العلماء الثلاثة ، وغمغم فى توتر :

- فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يكفى .

ولكنه كان يشعر أن هذا لا يكفى ..

لا يكفى أبدًا ..

★ ★ ★

طالع قائد القاعدة الجوية فى (أسوان) الأوامر الجديدة ، الواردة على شاشة كمبيوتر الاتصالات الخاص ، ثم اعتدل يقول فى دهشة :

- عجبًا ! .. هل بدأنا حربًا مع جهة ما ؟

التفت إليه ضابطه الأوّل ، يسأله فى قلق :

- لماذا تقول هذا ؟

أشار القائد إلى الأوامر الجديدة ، قائلًا :

- انظر ماذا يقولون هذه المرة .. إنهم يحذروننا من هجوم محتمل ، بطائرة يعجز الرادار عن كشفها ، ويوصوننا باستخدام تردّد خاص ، للموجات فوق الصوتية ، إذا ماتمّ مثل هذا الهجوم ، ويقولون إنها الوسيلة الوحيدة للتغلّب عليه .

طالع الضابط الأوّل الأوامر ، وهو يقول فى حيرة :

- ربما هو سلاح جديد ، أو ..

قاطعه القائد :

- أو بداية حرب بالفعل .

بدا القلق على وجه الضابط الأوّل ، ثم اتجه إلى جهاز صغير ، إلى يسار كمبيوتر الاتصالات ، وأدار مؤشره فى اهتمام ، وهو يقول :

- الدفاع سهل ، لو أنه يقتصر على إطلاق الموجات فوق الصوتية ،

سأضبط تردّد جهاز تلك الموجات ، على التردّد الوارد بالأوامر ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، هزّ أركان القاعدة ، وجعل القائد يهتف :

ـ رباه .. هل بدأ الهجوم ؟

تطلّع من نافذة حجرته إلى السماء ، وانقبض قلبه مع رؤية المقاتلة الرهيبة ، وهى تنقضّ على طائراته فى سرعة مذهلة ، وتقصفها بصواريخها ، فى عنف ، فتراجع هاتفًا :

ـ مر الرجال بقصف تلك اللعينة ، بكل وسائل الدفاع الجوى لدينا .. هيا .. أسرع .. واطلب من كل طيارينا مطاردتها ..

صاح الضابط الأوّل فى انفعال :

ـ لم يعد هناك وقت لهذا .. سنستخدم التردّد المطلوب ، وفقًا للأوامر .

وبسرعة ، ضغط زر جهاز الموجات فوق الصوتيّة ..

وانطلقت الموجات بالتردّد المطلوب ..

ولكن فجأة ، تلاشت تلك الموجات ، وأشار المؤشر إلى انعدامها تقريبًا ، فهتف الضابط الأوّل :

ـ رباه !! .. يبدو أن تلك المقاتلة اللعينة ترسل تردّدًا عكسيًا ، يفسد تردّداتنا تمامًا .

تراجع القائد ، وهو يشاهد طائراته تباد أرضًا ، بمدافع الليزر القوية ، والصواريخ شديدة التدمير ، قبل حتى أن ينجح طياريه فى بلوغ طائراتهم ، وردّد فى مرارة :

ـ اللعنة ! .. كيف تفعل تلك اللعينة هذا ؟

صمت الضابط الأوّل فى ارتياع ، وهو يتابع انقضاضات (م ـ ١) على ممرات الإقلاع ، وقصفها المركّز على كل الطائرات ، وردّد فى ألم :

ـ لم تعد هناك طائرات .. لقد دمرتها كلها .

فوجئ بقائده يهتف فى ذعر يمتزج بدهشة بالغة :

ـ وهذا هناك .. أى عبث شيطانى هذا ؟

التفت الضابط الأوّل إلى حيث يشير قائده ، واتسعت عيناه ..

لقد كان يشاهد شيئًا لم يتصوّره قط ..

شيئًا رهيبًا ..

* * *

على الرغم من وجود حارسين مدججين بالسلاح ، على باب الغرفة الخاصة ، التى يقيم فيها (رمزى) بالمستشفى ، إلا أن (محمود) ظلّ يشعر بالقلق ، وهو يجلس إلى جوار (رمزى) فى الحجرة ..

كان يعلم ـ كما أخبره (نور) ـ أن بعضهم سيحاول القضاء على (رمزى) ، أو اختطافه ، وهذا ينطبق عليه أيضًا ، لذا فقد أمسك مسدسه الليزرى داخل سترته فى توتر ، وظلّ متحفزًا طيلة الوقت ، حتى أنه كاد يُطلق النار على ذلك الطبيب الشاب ، الذى دلف إلى الحجرة فى هدوء ، من شدة انفعاله ، فتراجع الطبيب فى دهشة وذعر ، أمام المسدس المصوّب إليه ، ثم أطلق ضحكة مرتبكة ، وهو يقول :

ـ ما هذا يا رجل ؟ .. أتطلقون النار على الأطباء هنا ؟

أعاد (محمود) مسدسه إلى جيبه ، وهو يقول :

ـ معذرة ، ولكن الموقف متوتر أكثر مما تتصوّر .

هزّ الطبيب رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ لقد شرحوا لنا هذا .

اتجه نحو (رمزى) ، وفحص نبضه لحظات ، ثم قال مبتسمًا :

ـ إنه يتحسّن بصورة طيبة .

وأخرج من جيبه محقنًا ، دفعه داخل قنينة صغيرة ، وجذب به بضع سنتيمترات من السائل الشفّاف داخلها ، فسأله (محمود) فى توتر :

ـ ماذا تفعل ؟

ابتسم الطبيب ، وقال :

ـ لا داعى لكل هذا القلق .. إنه مجرد علاج .

قالها ودفع إبرة المحقن فى أوردة (رمزى) ، ثم راح يحقن السائل فى بطء ..

واسترخى (محمود) على مقعده ، وهو يشعر أنه بدا أشبه بأحمق متهوّر عصبى طيلة الوقت ..

ولكن كان من الضرورى أن يفعل ..

لقد حذّره (نور) ..

تصاعد التعب من جسده إلى رأسه ، ثم انسال على جفنيه ، فأرخاهما فى إرهاق ، وهو يتطلّع إلى أجهزة رسم القلب والمخ ، المتصلة بجسد (رمزى) ..

وفجأة خفق قلبه فى عنف ..

صحيح أنه ليس طبيبًا ، ولا يفهم شيئًا تقريبًا من أعمال الأطباء ، ولكن هذه المنحنيات ، التى ترسمها أجهزة رسم القلب والمخ ، لم تكن حتمًا منتظمة ، كما كانت من قبل ..

وهو يفهم هذا جيدًا ..

وفى انفعال جارف ، قفز من مقعده ، هاتفًا :

ـ توقّف .

توقّف الطبيب ، والتفت إليه بنظرات شرسة ، وهو يقول :

ـ اقتل .. اقتل .

جذب (محمود) مسدسه فى سرعة ، ولكن الطبيب انتزع المحقن من ذراع (رمزى) ، وهوى به على يد (محمود) ، وغرس ابرته فيها ، فأطلق (محمود) صرخة ألم ، وهو يفلت مسدسه ، ويتراجع فى عنف ، ولكن عيناه التقطتا شاشات الأجهزة مرة أخرى ، وأدرك أن ذلك العقار ،

الذى حقنه الطبيب فى أوردة (رمزى) ، قد أصاب عقل وقلب هذا الأخير باضطراب واضح ، مما دفع فى عروقه المزيد من الحماس فدفع الطبيب فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لن أسمح لك بالإساءة إليه أبدًا .

انحنى فى سرعة ليلتقط المسدس ، ولكن الطبيب ركله فى وجهه بعنف ، ثم لكمه فى معدته بقوة ، ألقته إلى الجانب الآخر من الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط أرضًا ..

وشعر جسده الضعيف بتهالك شديد ، كاد يفقده الوعى ، ولكنه قاوم بكل ما يملك من قوة ، من أجل (رمزى) ، ونهض فى صعوبة ، مرددًا :

ـ اتركه .. اتركه أيها الوغد .

رأى الطبيب ينحنى لالتقاط المسدس ، وأدرك من تلك النظرة الجامدة أن الطبيب لن يتردّد لحظة فى إطلاق النار عليه ، فخفق قلبه فى عنف ، وتلفّت حوله بحثًا عن وسيلة يدافع بها عن نفسه ، والطبيب يرفع مسدسه نحوه ، مرددًا تلك الكلمة البغيضة :

ـ اقتل .. اقتل .

استجمع ما تبقّى من قواه ، وقفز جانبًا فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن ينطلق خيط الأشعة ، ويصيب الباب خلفه ، ثم التقط زجاجة من زجاجات الدواء ، وألقاها نحو الطبيب ، فارتطمت بوجهه فى عنف ، وأصابت عينيه ، فتراجع الطبيب لحظة قفز (محمود) خلالها عبر الفراش ، وانقضّ على الطبيب ، وكال له لكمة فى أنفه ، أصابت قبضته هو بألم شديد ، فتراجع بحركة غريزية ، ورأى الدماء تتفجّر من أنف الطبيب ، الذى أغلق عينيه من أثر زجاجة الدواء ، فكال له لكمة أخرى أعنف من سابقتها ..

ودون أن يرى طريقه ، أطلق الطبيب أشعة المسدس مرة ، وثانية ، وثالثة ..

وشعر (محمود) بآلام رهيبة فى معدته ، وذراعه اليسرى ، ولكنه قاوم فى شدة ، والتقط زجاجة من زجاجات الجلوكوز ، فرفعها عاليًا ، وهوى بها على رأس الطبيب ، بكل ما تبقّى من قواه ، ورآها تتهشم فى عنف ، وتمتزج شظاياها بقطرات من الدم ، تناثرت من جرح رأس الطبيب ، الذى ترنّح لحظة ، ثم سقط على وجهه فاقد الوعى ..

وفى ألم رهيب ، انحنى (محمود) ، يلتقط مسدسه من يد الطبيب ، ثم صاح وهو يكاد يسقط من شدة تهالكه :

ـ النجدة .. النجدة .

زحف فى صعوبة حتى جرس الطوارئ ، وضغطه بكل قوته ، وسمع رنينه فى الخارج ، ثم اختلط الرنين بوقع أقدام تقترب عدوًا ، فتهالك مستندًا إلى فراش (رمزى) ، وتمتم مبتسمًا فى شحوب :

ـ لقد دافعت عنك يا صديقى .. إنها أوّل مرة أفعل فيها هذا .

رأى عددًا من الأطباء والممرضات يندفعون داخل الحجرة ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، وهم ينقلون أبصارهم بين الطبيب و (محمود) المصاب فى ذراعه ومعدته ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ ماذا حدث ؟ .. ماذا فعلت بالطبيب ؟

أجابه (محمود) فى شحوب :

ـ بل قل : ماذا فعل هو بنا .. لقد كاد يقتلنا .. أنقذوا (رمزى) .. لقد حقنه ذلك الطبيب بعقار ما .. أنقذوه بالله عليكم .

تطلّع أحد الأطباء إلى شاشات الأجهزة ، وهتف :

ـ يا إلهى ! .. ذلك الفتى يعانى من اضطراب شديد فى النبض ، وفى النشاط الكهربى للمخ .. أسرعوا .. لابد من استدعاء سيارة الطوارئ الخاصة ، لنقله إلى القسم الجديد .

هتف (محمود) فى صرامة :

ـ سأرافقه .

صاح به الطبيب :

ـ أى قول هذا ؟ .. أنت نفسك تحتاج إلى إسعاف سريع ، فكيف يمكنك مرافقته ، وكيف ..

قاطعه (محمود) فى حدة ، وقد صار وجهه فى شحوب وجوه الموتى :

ـ قلت أننى سأرافقه .. لن أتركه وحده أبدًا .

زفر الطبيب فى توتّر ، ولعن عناد أولئك الرجال ، الذين يعملون فى إدارة المخابرات العلمية ، ثم التفت إلى أحد زملائه ، ممّن لم ينهمكوا فى إسعاف (رمزى) ، وقال :

ـ فليكن ، حاول أن تسعفه أوّليًا على الأقل ، حتى يتمّ نقله مع زميله إلى القسم الخاص .

فحص الطبيب الثانى جرح (محمود) ، وهو يقول :

ـ من حسن حظك أن جروح أشعة الليزر تلتئم بسرعة ؛ لأنها جروح نظيفة ، ولأن حرارة الأشعة تلحم معظم الأوردة المقطوعة ، فى موقع الإصابة .. إنك تحتاج إلى بعض الضمادات فحسب ، قبل أن تصحب زميلك .

سأله (محمود) ، وهو يلتفت إلى (رمزى) فى قلق :

ـ كيف حاله هو ؟

أجابه أحد الأطباء ، الملتفين حول (رمزى) :

ـ إنه بخير الآن .. لقد انتظمت نبضات القلب ، وبدأ رسّام المخ يعطى منحنيات منتظمة سليمة .. إنه سينجو بإذن الله .

بلغ رجال الطوارئ المكان فى نفس اللحظة ، وقال أحدهم فى رصانة :

ـ أين المصاب ؟

أجابه أحد الأطباء :

ـ إنهما مصابان ، لا مصاب واحد .

تعاون رجلا الطوارئ على نقل (رمزى) و (محمود) إلى سيارتهما الصاروخية ، التى تحمل شعار القسم الجديد ، وانصرفا بهما على الفور ، فزفر أحد الأطباء فى ارتياح ، وقال :

ـ حمدًا لله .. لقد وصلا فى الوقت المناسب .

قال كبير الأطباء :

ـ سأكافئ من أرسل فى طلبهما .. من فعل هذا ؟

تلفت الجميع إلى بعضهم البعض فى تساؤل ، دون أن يجيب أحدهم بالإيجاب ، مما جعل كبير الأطباء يقول فى توتر :

ـ ألم يرسل أحدكم فى طلبهما ؟

لم يكد يتلقى جوابهم بالنفى ، حتى أدرك على الفور طبيعة الخدعة ، التى وقع فيها ..

الخدعة المميتة .

* * *

٩ ـ نهر المفاجآت ..

« لست أدرى كيف حدث هذا ! .. »

قال كبير الأطباء بمستشفى الطوارئ عبارته هذه ، وجسده كله يرتجف ، من فرط الانفعال والتوتر ، وتطلع فى أسف إلى (نور) ، الذى بدا أشد انفعالًا وتوترًا ، وتابع حديثه قائلًا :

ـ لقد نجحنا فى إسعاف زميليك ، ثم حضر رجال الطوارئ ، وكان من الطبيعى أن نسلمهما لهم ، ليقوموا بنقلهما إلى القسم الجديد ، حيث توجد معدات أكثر حداثة ، وأجهزة فحص أكثر تطورًا ، وأنا أعرف رجال الطوارئ تمام المعرفة ، ولم يراودنى أدنى شك فى أمر الرجلين ، اللذين تسلما رفيقيك ، ولكننى فوجئت بعدها بأن أحدًا لم يرسل فى استدعاء رجال الطوارئ ، فأسرعت أتصل بالقسم الجديد ، وعلمت أن أحدًا لم يرسل سيارة طوارئ ، وأن رجلى الإسعاف قد انطلقا من تلقاء نفسيهما ، ولا أحد يدرى أين ذهبا برفيقيك ، فلم نعثر عليهما بعد ..

قال (نور) فى مرارة :

ـ العثور عليهما لن يُجدى شيئًا ، فستجد رجلى الطوارئ حتمًا ، ولكنك لن تعثر على (رمزى) و (محمود) فى سهولة ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى لهجة أشد مرارة :

ـ ليس وهما على قيد الحياة .

أضاف الجزء الأخير مزيدًا من الاضطراب ، إلى مدير المستشفى ، فعاد يردد فى توتر :

ـ لست أدرى كيف حدث هذا .. أقسم بالله إننى أجهل سبب ماحدث .

قال (نور) :
ـ أنا أعرف جزءًا من السبب ، ولكن بم يفيد هذا ؟
غادر المستشفى والمرارة تملأ كل خلية من خلاياه ..
مازال خصومه يحققون نصرًا تلو آخر ، دون أن ينجح حتى فى معرفتهم ..
لقد فقد نصف فريقه حتى الآن ..
فقد الدكتور (حجازى) ، و (رمزى) ، و (محمود) ..
ولا ينبغى أن يسمح بفقد الآخرين ، فهما أقرب أفراد الفريق إليه ..
زوجته (سلوى) ، وابنته (نشوى) ..
لابد أن يدافع عنهما بحياته ..
ولكنه ما زال يجهل كيف سيهاجمه خصمه ، فى المرة القادمة ..
لم يعد يدرى حتى ، ما إذا كان سيضطر لمواجهته ، أم لمواجهة أقرب الناس إليه ، بعد أن ينجح هذا الخصم فى السيطرة على عقله ..
قاد سيارته شارد الذهن ، وعقله يدرس كل هذه الاحتمالات فى توتر وقلق ، حتى أنه لم يشعر بنفسه إلا وهو يتوقَّف أمام مبنى المخابرات العلمية ، فغادر السيارة ، واتجه إلى بوّابة المبنى ، وهناك استوقفه حارس المبنى ، قائلًا :
ـ معذرة يا سيدى ، ولكن هلّا خضعت لاختبار الأمن ؟
أجابه (نور) :
ـ بالتأكيد .
ثم اتجه إلى فراغ صغير ، بين موضع الحارس والبوّابة ، ووضع يده على شاشة أفقية فيه ، ثم ثبت رأسه ، لكى يسمح لشعاع دقيق بفحص قزحية عينه فى سرعة ، قبل أن يضاء مربع أخضر صغير ، حمل عبارة مختصرة ، تقول :

يصرِّح بالدخول .
ابتسم الحارس ، وقال :
ـ معذرة يا سيادة الرائد ، ولكنك تعرف الأوامر .
أجابه (نور) فى شرود :
ـ هذا لا يضايقنى قط .
ودخل المبنى فى خطوات واسعة كعادته ، وبدلًا من أن يتخذ المصعد إلى الطابق الأخير ، حيث حجرة مكتبه ، عرج يمينًا ، على قسم الأبحاث والمبتكرات الخاص بالإدارة ، واستقبلته هناك الدكتورة (فائقة) بابتسامة واسعة ، وهى تقول :
ـ صباح الخير يا (نور) .. كيف حال زوجتك وابنتك ؟
غمغم :
ـ فى خير حال .
وصمت برهة ، ثم استدرك :
ـ حتى الآن .
تطلّعت إليه مشفقة ، قبل أن تقول :
ـ طبيعة عملكم بالغة الخطورة .
قال فى اقتضاب :
ـ هذا قدرنا .
ثم سألها فى اهتمام بالغ :
ـ ما الذى تمّ بشأن الفيلم ، الذى عثرنا عليه إلى جوار (مشيرة) ؟ .. هل توصلتم إلى أى شىء بخصوصه ؟
رفعت سبّابتها أمام وجهها ، وهى تقول :
ـ لم يكن ذلك سهلًا .

ثم قادته إلى معمل داخلى ، وهى تستطرد :

ـ المفروض ـ طبقًا لقواعد التصوير ـ أن تعرّض الفيلم الخام إلى ضوء مباشر ، يعنى تلفه تمامًا ، إذ تتم أكسدة كل طبقة نترات الفضة ، التى طلى بها ، وتتحوّل كلها إلى أكسيدات فضة ، بحيث لا تحصل على أية صور ، فى حالة طباعة الفيلم ، وتحويل سلبياته إلى نسخ إيجابية ، ولقد عثرتم على فيلم آلة التصوير ، التى تحطمت ، وقد تعرّض كله للضوء ، ولكن الصور التى التقطتها آلة التصوير ، قبل تلف الفيلم ، واجهت الضوء مرتين ، مرة بصورة مباشرة ، كما حدث للفيلم كله ، والمرة الأخرى بصورة محدودة ، عندما تم التقاطها ، وهذا يعنى أنها تشبعت بالضوء أكثر .. وفى الماضى كانوا يتصوّرون أن حالة التشبع هذه تعنى أن كل ذرات الفيلم أصبحت متساوية ، ولكن النظريات الحديثة أثبتت أن الذرات تظل تتشبع أكثر وأكثر ، كلما زاد تعرّضها للضوء ، وهذا يعنى أننا نستطيع بوسائل تكنولوجية بالغة الدقة والتعقيد ، التفرقة بين تلك الذرات ، التى تعرّضت للضوء مرتين ، والأخرى التى تعرّضت له مرة واحدة .

ثم ابتسمت فى زهو ، مضيفة :

ـ وهكذا حصلنا على الصور ، من فيلم تالف .

سألها (نور) :

ـ وهل بها ما يثير الاهتمام ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ إنها ليست صورًا واضحة ، كما قد تتصوُّر ، ولكنها بعض الظلال المتميِّزة ، وتحتاج إلى خبير بالتصوير الضوئى .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ ولكن لماذا تتوقّع وجود ما يثير الاهتمام فيها ؟

أجابها :

ـ لأن بعضهم حطّم آلة التصوير عن عمد ، وحاول إتلاف الفيلم ، وهذا لا يحدث إلا إذا كانت (مشيرة) قد التقطت شيئًا هامًا ، يحرص من أصابها على ألا نعلمه .

عقدت حاجبيها مفكرة فى عمق ، ثم لم تلبث أن هزّت كتفيها ، مغمغمة :

ـ ربّما .

قادته إلى معمل فحص الصور ، وأشارت إلى جهاز كمبيوتر ، قائلة :

ـ كل الصور تم تخزينها هنا .

جلس أمام الجهاز ، وضغط أزراره فى سرعة ، ثم تطلّع إلى تلك الصور الضوئية الباهتة ، التى تظهر على شاشته فى تتابع بطىء ، وباللونين الأبيض والأسود فحسب ، على هيئة ظلال متداخلة ، يصعب تمييز بعضها عن بعض ..

كانت كلها ـ تقريبًا ـ عبارة عن مشاهد طبيعية ، يضمّ بعضها أفرادًا يستحيل تمييزهم ، فى حين لا يحوى البعض الآخر سوى المشاهد وحدها ..

ثم جاء ذلك المشهد الأخير ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

لم يكن من الممكن تمييز الصورة ، وسط تلك الظلال الداكنة ، التى أحاطت بكل شىء ، ولكن تلك القبة الشبيهة ببيضة مقلوبة كانت واضحة فى المنتصف ..

وأوقف (نور) الصورة ، وهو يتأمّل تلك البيضة فى اهتمام ..

لماذا التقطت (مشيرة) هذه الصورة ؟ ..

ما الذى تحويه ؟ .

قضى عدة دقائق يفحص المشهد ، ثم التفت إلى الدكتورة (فائقة) ، وسألها :

ـ أيمكننى الحصول على نسخة منها ؟

أجابته على الفور :

ـ بالتأكيد .

ضغطت زر النسخ فى جهاز الكمبيوتر ، فتحرّكت أسطوانة فارغة من تجويف خاص ، واندسّت آليًا فى المكان المخصّص لها ، وتم نسخ الأسطوانة الأصلية فى ثانية واحدة تقريبًا ، فالتقطت الدكتورة (فائقة) نسخة الأسطوانة ، وناولته إياها قائلة :

ـ ها هى ذى .

التقطها من يدها ، مغمغمًا :

ـ شكرًا لك .

لم يكد يضعها فى جيبه ، حتى ارتفع نداء ، عبر أجهزة الاتصال الداخلى ، يقول :

ـ الرائد (نور) مطلوب فى حجرة القائد الأعلى على الفور ..

تكرّر النداء فى آلية ، فقال (نور) فى عجلة :

ـ معذرة يا دكتورة (فائقة) .. سأضطر للانصراف ..

هتفت به ، وهو يبتعد فى سرعة :

ـ ألن تشاهد السلاح ، الذى طلبت إعداده ؟

لوّح بيده هاتفًا :

ـ فيما بعد .

أسرع يعبر إدارة البحث ، فى خطوات أقرب إلى العدو ، حتى بلغ مصعدًا خاصًا ، وقال للحارس الواقف أمامه :

ـ أنا الرائد (نور) .

أفسح له الحارس الطريق على الفور ، فقفز داخل المصعد ، وضغط زرًا خاصًا ، فانبعث ذلك الضوء البنفسجى المألوف ، يغمر وجهه وجسده ، فى حين بدأ الهبوط الطويل ، إلى الطابق الرابع تحت الأرض ..

وبعد ثلاث دقائق فحسب ، كان (نور) يقف أمام القائد الأعلى ، ويرفع يده بالتحية العسكرية ، مرددًا :

ـ الرائد (نور) فى خدمتك يا سيدى .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ الأمور تتطور فى شدة يا (نور) ، والموقف يزداد خطورة .

سأله (نور) فى قلق :

ـ ما الجديد فى الأمر يا سيدى ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ (م ـ ١) هاجمت قاعدة (أسوان) الجوية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأل :

ـ وهل دمرت القاعدة ؟

أجابه القائد الأعلى فى توتر واضح :

ـ لم تكتف بتدمير القاعدة ، وكل طائراتها فحسب هذه المرة يا (نور) ، ولكن حدث أمر بالغ الخطورة .

سأله (نور) فى قلق :

ـ ماهو ؟

لوّح القائد الأعلى بكفه ، قائلًا :

ـ اختفى كل طيارى القاعدة .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

كان الخبر مفاجئًا بالفعل ..

مفاجئًا إلى حد ألجم لسان (نور) ، وشلّ قدرته على التفكير لحظة ، هتف بعدها بكل دهشته وتوتره :

ـ ماذا تعنى باختفائهم يا سيّدى ؟ .. هل سحقتهم صواريخ (م ـ ١) ، أم انهم اختفوا على قيد الحياة ؟

أجابه القائد الأعلى ، وهو يجلس خلف مكتبه :

ـ لا أحد يعلم بعد يا (نور) ، فلا يوجد شاهد عيان واحد على ما حدث ، ولكن الآثار المحيطة بالقاعدة تشير إلى تحركات آلية حولها ، ويرجّح بعض خبرائنا ، وبعض كبار خبراء التصوير الجوى ، أن تلك الآثار تشير إلى حدوث هجوم عجيب على القاعدة ، بوساطة جيش من الرجال الآليين ، الذين اختطفوا الطيارين على الأرجح ، وحملوهم إلى مكان مجهول .

التقى حاجبا (نور) ، أكثر وأكثر ، وهو يسمع هذا ..

وخفق قلبه فى خوف ..

لماذا تم اختطاف الطيارين ؟ ..

ما الذى غيّر أسلوب الهجوم هذه المرة ؟ ..

لم يكن لديه سوى جواب واحد ، أفصح عنه على الفور ، قائلاً :

ـ هذا يعنى أن خصمنا ليس إحدى الدول الأخرى يا سيّدى .

تطلّع إليه القائد الأعلى فى دهشة ، قبل أن يسأله :

ـ لماذا تقول هذا ؟

أجابه (نور) :

ـ لأن خصمنا يحتاج إلى الكفاءة البشرية يا سيّدى .. إلى طيارين لقيادة (م ـ ١) ، أو ما سيصنعه منها .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يهتف :

ـ ما يصنعه منها ؟! .. أتظنهم يصنعون مزيدًا من تلك المقاتلات الرهيبة ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ ولم لا ؟ .. إنهم يدركون قوتها ، ويمتلكون تصميماتها .. ماذا تفعل ، لو أنك فى موضعهم يا سيّدى ؟

أجابه القائد الأعلى ، والكلمات ترتجف على شفتيه :

ـ سأصنع سربًا كاملًا على الأقل .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـ إذن فقد اختطفوا طيارينا لقتالنا .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلًا :

ـ كان يجب أن أنتبه إلى هذا ، فمن الواضح منذ البداية أننا نواجه خصمًا يمتلك قدرات خارقة ، تسمح له بالسيطرة على عقول الآخرين ، ولكنه يفتقر ـ فى الوقت ذاته ، إلى البشر ، ولهذا فهو يستخدم سيطرته العقلية لتجنيد أكبر قدر من البشر ، الذين يعملون لحسابه ، دون حتى أن يدركوا هذا .

غمغم القائد الأعلى :

ـ المهم أن يكون خصمًا بشريًا .

طرقت عبارته موطن الخوف فى نفس (نور) ، الذى استعاد ذهنه تلك اللقطة ، الشبيهة بالبيضة المقلوبة ، وهو يقول :

ـ من يدرى يا سيّدى ؟ .. من يدرى ؟

وكان هذا هو السؤال بالفعل ..

من يدرى ؟ ..

* * *

شعر (محمود) بصداع خفيف فى رأسه ، وبشىء من الألم فى معدته ،

ففتح عينيه فى صعوبة ، وغمغم :

ـ أين أنا ؟

لم يكد يفتح عينيه ، حتى اتسعتا فى دهشة كبيرة ، فقد وجد نفسه راقدًا فوق فراش من مادة لدنة ، وقد انحفر بها ما يشبه جسده ، ويستوعبه تمامًا ، داخل مكان يحفظ تفاصيله عن ظهر قلب ..

داخل حجرة اختباراته الخاصة ..

أو هى حجرة شديدة الشبه بها ..

كل شىء فى تلك الحجرة كان يشبه حجرته ، فيما عدا ذلك الفراش العجيب ، والجدران اللامعة ، المصنوعة من مادة يجهلها ..

وقفزت الدهشة ترسم ملامحها على وجهه فى عمق ..

لم يدر كيف وصل إلى هنا ؟ ..

كل ما يذكره هو أن رجلى الإسعاف أرقداه على منضدة الطوارئ ، داخل سيارتهما الطبية المجهَّزة ، ثم وضع أحدهما قناعًا على وجهه ، وبعدها انتهى كل شىء ..

لا ريب أنهما خدراه ، وحملاه إلى هنا ..

ولكن لماذا ؟ ..

نهض يفحص المكان في توتر بالغ ، ثم تراجع فى حركة حادة ، عندما انفتح الباب أمامه ، ودلف آلى إلى الحجرة ، منزلقًا على إطارات مطاطية صغيرة ، وقال له بصوته المعدنى الثابت :

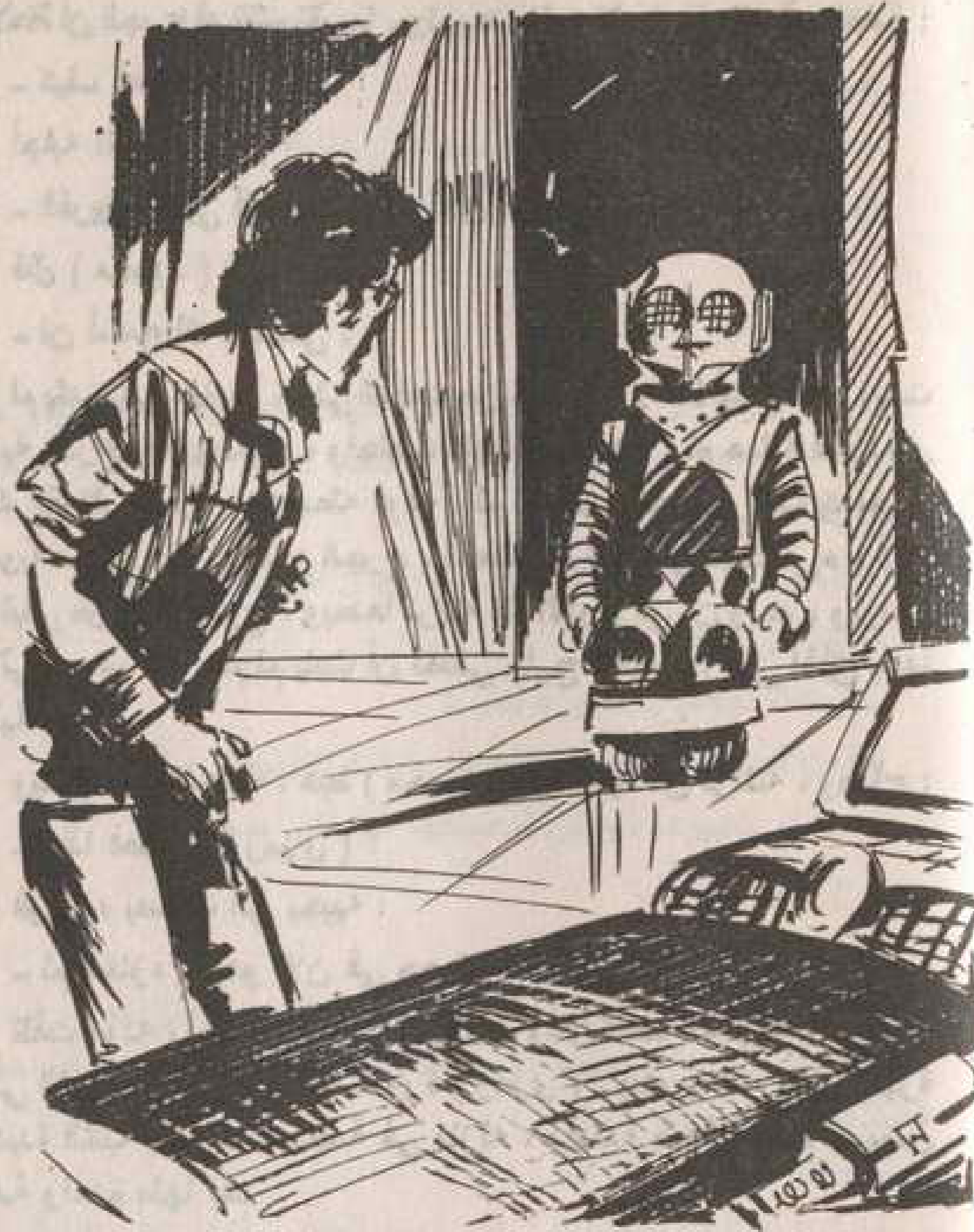
ـ موعد الفحص الطبى الدورى .

ردَّد (محمود) فى دهشة :

ـ الفحص الطبى ؟!.

أجابه الآلى :

ـ ثم علاج إصابة معدتك ، وهذا موعد الفحص الطبى .



ثم تراجع فى حركة حادة ، عندما انفتح الباب أمامه ، ودلف آلى إلى الحجرة ، منزلقًا على إطارات مطاطية صغيرة ..

تذكَّر (محمود) فى هذه اللحظة إصابة معدته ، فتحسَّسها فى دهشة ، ولاحظ أن الجرح قد التئم تقريبًا ، ولم يعد يؤلمه كثيرًا ، فهتف فى دهشة :

ـ كيف فعلتم هذا ؟

أجابه الآلى :

ـ الفريق الطبى قام بعمله .. والآن موعد الفحص الدورى .

قال (محمود) فى حدة :

ـ لن أسمح لك بفحصى .

لم يكد ينهى عبارته ، حتى اندفعت من جسد الآلى عدة أيدٍ معدنية ، بدت أشبه بأذرع أخطبوط آلى ، وأحاطت كلها بجسده هو ، ثم حملته قسرًا إلى ذلك الفراش اللدن ، ووضعته فوقه ، ثم كشفت بطنه ، ورفعت يد أخرى أنبوبًا صغيرًا فوق موضع الجرح ، انبعث منه شعاع وردى دافىء ، أزال ماتبقَّى من آلام الجرح ، وبعدها تركته كل الأذرع فى آن واحد ، وتراجع الآلى فى سرعة ، ثم لم يلبث أن اختفى خارج الحجرة ، التى أغلق بابها ثانية ..

وبمزيد من الدهشة ، هبط (محمود) مرة ثانية من فراشه ، وصاح :

ـ ماذا فعلتم بـ (رمزى) ؟

فوجىء بصوت آلى يجيبه :

ـ تم شفاؤه ، وهو الآن فى حجرته ، يتناول طعامه .

تلفَّت حوله ، بحثًا عن مصدر الصوت ، ولكن شاشة مواجهة له اشتعلت على الفور ، وظهرت فوقها صورة (رمزى) ، وهو يجلس داخل حجرة شديدة الشبه بحجرته الخاصة فى منزله ، وأمامه صحفة طعام لم يمسّ لقمة واحدة منها بعد ..

وهتف (محمود) :

ـ (رمزى) .. أأنت بخير ؟

انطفأت الشاشة فى بطء ، مع ذلك الصوت الآلى ، القادم من مكان مجهول ، وهو يقول :

ـ إنه لا يسمعك .

صرخ :

ـ من أنتم ؟ .. لماذا أحضرتمونا إلى هنا ؟

وفى هذه المرة لم يتلق جوابًا قط ..

★ ★ ★

« ما رأيك ؟ .. »

أشار (نور) إلى الصورة التى تنقلها شاشة الكمبيوتر ، وهو يلقى هذا السؤال على ابنته (نشوى) ، التى تطلَّعت طويلًا إلى صورة البيضة المقلوبة ، قبل أن تقول :

ـ لست أدرى ما هذا بالضبط .. إنه يبدو أشبه ببيضة مقلوبة !

سألها فى اهتمام :

ـ أيمكنك توضيح الصورة أكثر ؟

طالعت الصورة مرة أخرى ، على شاشة الكمبيوتر ، ثم أجابت :

ـ يمكننى تكبيرها ، ولكن توضيحها أمر أكثر صعوبة .

لوَّح بكفه ، هاتفًا :

ـ فليكن .. سنقوم بتكبيرها .

ألقت أوامرها إلى الكمبيوتر ، بتكبير الربع العلوى الأيمن للصورة ، ثم الربع الأيسر العلوى ، وبعدها الربع الأيمن السفلى ، الذى لم يكد يكبر على الشاشة ، حتى هتفت (سلوى) :

ـ هناك عين .

انتبه (نور) و (نشوى) إلى رسم العين ، الذى بدا واضحًا مع التكبير ، أسفل ذلك الشكل الشبيه ببيضة مقلوبة ، فتمتمت (نشوى) :

- يا إلهى !

أما (نور) ، فالتقى حاجباه فى شدة ، وهو يردِّد :

- عين ؟!

جرى ببصره على التكوين الشبيه بالبيضة ، حتى استقر عند العين ، التى بدت له واضحة لأوَّل مرة ، وسط تلك الظلال الكثيفة ، وغمغم :

- ربّاه ! .. إذن فهذا مخلوق حى .

هتفت (نشوى) على الفور :

- مستحيل !

ثم لم تلبث أن استدركت فى خفوت قلق :

- أو هو ليس بشريًا .

اقترب (نور) من الشاشة ، وهو يقول :

- هذا التكوين العجيب للرأس يوحى بهذا ، ولكن العين تبدو لى بشرية للغاية .

قالت (سلوى) فى خوف :

- ربّما هو مخلوق شبيه بالبشر .

فحص (نور) المشهد مرة أخرى فى سرعة ، قبل أن يتمتم :

- ربّما .

ثم سأل (نشوى) :

- ألا يمكنك إزالة بعض الظلال هنا أو هناك ، بحيث تتضح الصورة أكثر ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى حركة مفاجئة ، فهتفت به (سلوى) فى جزع :

- ماذا أصابك يا (نور) ؟

التفت إليها فى حيرة ، وهو يقول :

- لست أدرى .. لقد شعرت فجأة بصداع ، و ....

بتر عبارته بغتة ، وقال :

- (سلوى) .. هل أحضرت جهاز الموجات فوق الصوتية .

أجابته فى قلق :

- نعم ..هل تحتاج إليه .

قال فى حزم متوتّر :

- أحضريه على الفور .

أسرعت لتحضر الجهاز ، وهى ترتجف قلقًا ، فى حين سألت (نشوى) أباها :

- ماذا حدث ؟

هزّ رأسه قائلًا :

- لست أدرى .. هذا الصداع المفاجئ قد لا يعنى شيئًا ، وقد يعنى الكثير جدًا .

سألته فى قلق :

- مثل ماذا ؟

أجابها فى حزم :

- مثل وجود محاولة للسيطرة على عقلى .

هتفت (سلوى) فى ذعر ، حينما سمعت ذلك المقطع الأخير ، وهى تصل بجهاز الموجات فوق الصوتية :

- لا .. لا تقل هذا .

قال فى توتّر بالغ :

- لا يمكننا استبعاد ذلك الاحتمال .

ثم هزّ كتفيه ، مستطردًا :

ـ ولكن الصداع زال الآن .

تطلّعت إليه زوجته وابنته فى توتر وقلق ، فأرغم نفسه على الابتسام ، وهو يقول فى مرح مصطنع :

ـ لماذا كل هذا التجهم ؟ .. إنه مجرد افتراض .. قد لا يتجاوز الأمر بعض الإرهاق ، من العمل المتوالى .

ثم لوّح لـ (نشوى) بكفه ، مستطردًا :

ـ هيا .. تابعى عملك .

سألته فى قلق :

ـ ماذا أفعل ؟

أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلًا :

ـ سنزيل بعض الظلال هنا ، و ...

تراجع رأسه هذه المرة فى عنف ، كما لو كان قد تلقّى لكمة مفاجئة ، فصرخت (سلوى) :

ـ (نور) !

وهتفت (نشوى) فى ذعر :

ـ أبى .. ماذا أصابك ؟

حاول أن يخبرها أنه بخير ..

حاول أن يفعل أى شىء ..

ولكن الدنيا كلها أظلمت أمامه ، ورأسه يكاد ينفجر بآلام رهيبة ، و ...

وتلاشت كل مشاعره بغتة ..

كلها .

* * *

١٠ ـ الأخير ..

لم يكد الدكتور (ناظم) يلمح وجه القائد الأعلى ، داخل تلك الحجرة الأنيقة الصغيرة ، التى يحتجزون الدكتور (ناظم) فيها ، مقيّد اليدين والقدمين ، حتى هتف فى غضب :

ـ ما هذا الذى تفعلونه بى أيها القائد الأعلى ؟ .. أية معاملة مهينة ، تلك التى أعامل بها هنا ؟

أجابه القائد الأعلى فى أسف :

ـ معذرة يا دكتور (ناظم) ، ولكننا مضطرون لاحتجازك على هذا النحو ، خشية أن تؤذى نفسك .

هتف فى سخط :

ـ أوذى نفسى ؟! .. ولماذا أفعل بالله عليك ؟ .. ألا تظن أننى قد تجاوزت مرحلة المراهقة بعد ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ إننا نخشى أن تنتحر .

اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ أنتحر ؟! .. وما الذى جعلكم تخشون هذا ؟

تنهّد القائد الأعلى ، وقال :

ـ من الواضح أنك تجهل تمامًا ما حدث ، عندما حاول (رمزى) إخضاعك لجلسة تنويم مغناطيسى .

ردّد الرجل :

ـ ما حدث ؟ .. وماذا حدث ؟

اتجه القائد الأعلى نحو جهاز هولوفيزيون ، فى الطرف المقابل للحجرة ، وضغط زرًا فيه ، فنقلت الشاشة الثلاثية الأبعاد مشهدًا حيًا لكل ما حدث ، فى حجرة الاختبارات ، واتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى هلع ، وهو يتابع على الشاشة ما فعله ، فى ذلك اليوم ، حتى انتهت استعادة المشاهد ، فأغلق القائد الأعلى الجهاز ، وقال فى صوت خافت :

ـ ألا تذكر شيئًا من هذا ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى مرارة :

ـ ولا لحظة واحدة منه .

ران الصمت لحظة على المكان ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) فى ألم :

ـ إذن فقد كنت أنا الخائن .

لوّح القائد الأعلى بكفه ، قائلًا :

ـ إنك حتى لم تكن تعلم .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه فى أسى ، وقال :

ـ أشكركم كثيرًا على تقييدى هكذا ، فلو لم يحدث هذا لانتحرت حتمًا ، مثلما فعل (رفيق) رحمه الله .

ثم هتف فى مرارة :

ـ ولكن كيف نجحوا فى السيطرة على عقلى ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ لا ريب أنهم يمتلكون وسيلة قوية للغاية .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ المهم هو كيف يمكن التغلّب عليهم ، فى هذا المضمار ؟

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ ألم ينجح (رمزى) فى محو برنامجهم من عقلى ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا فى صمت مشفق ، فانعقد حاجبا الدكتور

(ناظم) ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول :

ـ فى هذه الحالة لا يوجد سوى أسلوب الاستجواب القديم ، الذى طورته معاملنا حديثًا :

ـ سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ كيف ؟

أجابه بسرعة :

ـ مصل الحقيقة ، ثم الـ ..

بتر عبارته ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، هاتفًا :

ـ ذلك الصداع اللعين .

هتف به القائد الأعلى :

ـ ثم ماذا يا (ناظم) ؟

انفرجت شفتا الرجل ، وبدا لحظة أنه سيجيب السؤال ، إلا أن الجمود لم يلبث أن تسلّل إلى عينيه ، وهو يردّد فى شراسة :

ـ اقتل .. اقتل ..

راح يقاوم قيوده فى عنف ، عند هذه النقطة ، فتراجع القائد الأعلى فى أسف ، وهو يتطلّع إليه ، مغمغمًا :

ـ يا للخسارة ! .. يا للخسارة !

ازداد الدكتور (ناظم) عنفًا وضراوة ، وهو يقاوم قيوده فى استماتة ، وفى عنف جعل الأغلال تنغرس فى لحم معصميه ، فهتف القائد الأعلى فى جزع :

ـ إلىّ يا رجال .. إنه يؤذى نفسه فى شدة .

اندفع طاقم طبى إلى الحجرة ، إثر نداء القائد الأعلى ، وحاول بعضهم كبح جماح الدكتور (ناظم) ، الذى يطلق صرخته المتكرّرة فى شراسة ،

فى حين أخرج أحدهم محقنًا ، وغرسه فى ذراع الرجل ، ودفع العقار المهدئ فى عروقه ..

وهدأ الدكتور (ناظم) .. وتراخت عضلاته ، وهو يهمس :

ـ اقتل .. اقتل ..

ثم لم يلبث أن غرق فى سبات عميق ..

وفى أسف ، هزّ القائد الأعلى رأسه ، وغادر الحجرة فى بطء ..

ثم تغلّبت طبيعته العملية على مشاعره فى سرعة ، فاعتدل يسترجع آخر كلمات الدكتور (ناظم) ، قبل أن يسقط مرة أخرى فى أسر السيطرة العقلية ..

لابد من استخدام الأسلوب الاستجوابى القديم ..

أى أسلوب يقصد ؟ ..

لقد أشار إلى مصل الحقيقة(*) ، وهذا يعنى أنه يقصد أسلوبًا بالغ العراقة ..

أسلوب الاستجواب عند النازيين ، فى الحرب العالمية الثانية(**) ..

لا ريب أن لديه فكرة خاصة فى هذا الشأن ..

لم يكد رأيه يستقر عند هذه النقطة ، حتى تجاوز مصعده الخاص ، واستخدم المصعد الآخر فى الصعود إلى إدارة البحث العلمى ، وهناك اتجه

(*) مصل الحقيقة : (بنتونال الصوديوم) ، وهو عقار يؤثر على القشرة المخية ، ويلغى القدرة على الابتكار والتأليف ، مما يجعل متناوله غير قادر على الكذب ، الذى يحتاج إلى الكثير من التلفيق ، فلا يمكنه سوى ذكر الحقيقة فحسب ، ولقد استخدم الألمان هذا الأسلوب بكثرة ، خلال الحرب العالمية الثانية .

(**) النازية: مبدأ أقرّه حزب يحمل الاسم نفسه ، وهو نفس الحزب ، الذى نبت فيه (أدولف هتلر) ، والذى كانت سياسته سببًا فى إشعال نيران الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) .

مباشرة إلى حجرة الدكتورة (فائقة) ، التى لم تكد تلمحه حتى هبّت من مقعدها ، هاتفة :

ـ سيادة القائد الأعلى بنفسه فى مكتبى .. أى شرف هذا يا سيّدى ؟

أشار إليها بالجلوس ، وهو يقول :

ـ أتيتك فى عمل عاجل يا دكتورة (فائقة) .

سألته فى اهتمام :

ـ ماهو ؟

قال وهو يتخذ مجلسه ، على المقعد المقابل لمكتبها :

ـ فى حديث لى مع الدكتور (ناظم) ، ذكر شيئًا عن وسائل الاستجواب القديمة ، وعن مصل الحقيقة ، ثم تحدث عن تطوير هذا الأسلوب فى معاملنا ، فما الذى يقصده بالضبط بهذا التطوير ؟

ضغطت أزرار الكمبيوتر المواجه لها ، وهى تقول :

ـ إنه تطوير جديد إلى حد ما ، وأظننى سأجد كل تفاصيله هنا .

ارتسمت عبارات متراصة على شاشة الكمبيوتر ، تابعتها هى بكل اهتمام ، ثم التفتت إلى القائد الأعلى ، قائلة :

ـ إنه تطوير حديث بالفعل ، وهو من اقتراحات الدكتور (ناظم) ، وفكرته كلها تعتمد على اختيار شخص عادى ، من بين الجماهير ، لا ينتمى إلى المخابرات العلمية ، ثم حقنه بمصل الحقيقة ، وتعريضه بعدها لنوع من التنويم المغناطيسى العميق ، الذى تقوم به أجهزة الكمبيوتر ، وبعدها يتم تلقينه عددًا من أدق وأخطر المعلومات ، التى نضعها تحت بند (سرى للغاية) ، بحيث لا يذكر شيئًا من هذه المعلومات ، إلا عند تنويمه مغناطيسيًا بنفس الوسيلة .

سألها القائد الأعلى :

ـ وما فائدة هذا ؟

أجابته فى اهتمام :

ـ سيكون لدينا جهاز كمبيوتر حى ، يحفظ كل وثائقنا وأسرارنا ، دون أن يثير أدنى شبهة ، ودون حتى أن يعلم بما يحمله ، وهذا الشخص سيصبح حتمًا أفضل جهاز لحفظ الأسرار ، وسيكون كذلك نسخة احتياطية من كل برامجنا وأسرارنا ، بحيث يمكن استعادة كل شىء من عقله ، دون أن يعلم أيضا ، فى حالة تدمير مصادر حفظ المعلومات الأخرى .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ ولو كان لدينا شخص كهذا ، لقناه كل أسرار وتصميمات (م ـ ١) ، ثم تركناه حرًا ، لا يدرك حتى ما يحمله عقله ، لكنا نمتلك كل المعلومات الآن ، على الرغم من مصرع كل مصممى (م ـ ١) ، وسرقة النموذج الوحيد منها .

قال القائد الأعلى فى أسف :

ـ هذا صحيح .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ ولكن كيف يمكن ـ فى رأيك ـ استخدام هذه الفكرة ، لتخليص عقل شخص ما ، من سيطرة فكرية سابقة .

درست الأمر فى عقلها بسرعة ، وأجابته :

ـ لن يختلف الأمر كثيرًا ، فمن العسير أن يقاومك عقل شخص ، تم حقنه بمصل الحقيقة ، حتى ولو كان واقعًا تحت تأثير سيطرة عقلية سابقة .

سألها فى حزم :

ـ أأنت واثقة ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ إلى حد ما .

شعر بالارتياح لجوابها ، على الرغم من قصوره ، وقال :

ـ فى هذه الحالة سأكلفك مهمة إعداد جلسة خاصة ، لتجربة هذا المشروع ، ولو نجح فستحصلين على ترقية طبية ، أما لو فشل فلن يحتاج أى منا إلى الترقيات .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى خفوت :

ـ فى الدار الآخرة ..

★ ★ ★

انتفض (نور) فجأة ، وهو يفتح عينيه عن آخرهما ، وقد استعاد عقله بغتة إحساسه بالواقع من حوله ..

وقفز قلبه فى هلع ، وهو يدير عينيه فيما حوله ..

كان داخل ردهة منزله وحده ، وقد اختفت (سلوى) و (نشوى) ، وتحطم كمبيوتر (نشوى) تمامًا ، فى حين دمر بعضهم نسخة الأسطوانة تدميرًا رهيبًا ..

وبكل الذعر الذى ولده هذا فى أعماقه ، صاح (نور) :

ـ (سلوى) .. (نشوى) .

كان هناك مقعد مقلوب ، بالقرب من جهاز الكمبيوتر ، جعله يتصور الموقف كله ..

لقد أفقدوه وعيه ..

أفقدوه إياه بوسيلة ما ، ثم هاجموا زوجته وابنته ، واختطفوهما ..

أو تخلصوا منهما ..

اتسعت عيناه فى ذعر وهلع ، عندما جال الخاطر الأخير بذهنه ، وعاد يصرخ بكل قوته :

ـ (سلوى) .. (نشوى) .. أين أنتما ؟

جاوبه صمت مطبق ، كاد يصيبه بالجنون ! فاندفع يفتش حجرات المنزل فى عصبية بالغة ، ثم لم يلبث أن اعترف بغيابهما ، فغادر المنزل

كالمجنون ، وقفز داخل سيارته الصاروخية ، وانطلق بها وقلبه يخفق كفريق سيمفونى كامل ..

لقد حدث ما كان يخشاه منذ البداية ..

منذ تم اختطاف الدكتور (حجازى) من مختبره الخاص ..

لقد ظفر خصومه بزوجته وابنته ..

اشتعلت الدماء فى عروقه ، وراحت تغلى فى غضب وتوتر وخوف ، وهو ينطلق بسيارته كالصاروخ ، نحو مستشفى الطوارئ ..

كان يحتاج فى هذه المرة إلى مزيد من المعلومات ..

وبأى ثمن ..

وفى دقائق معدودة ، كان قد بلغ المستشفى ، فأوقف سيارته أمام بابها ، وقفز منها إلى الداخل ، وعبر ممراتها كالمجنون ، حتى بلغ حجرة (مشيرة) ، فانتزع بطاقته من جيبه ، ووضعها أمام عينى حارس الحجرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الرائد (نور الدين محمود) .. من المخابرات العلمية .. أريد استجواب المريضة (مشيرة محفوظ) .

أتاه صوت من خلفه يقول :

ـ لن يمكنك هذا .

التفت (نور) فى حركة حادة عنيفة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على كبير الأطباء ، الذى تابع فى حزم :

ـ حالتها لا تسمح بهذا بعد .

قال (نور) فى عصبية :

ـ ولكننى أحتاج إلى بعض المعلومات العاجلة منها .. صدقنى يا سيدى .. إنها مسألة حياة أو موت .

هزّ الرجل رأسه نفيًا فى صرامة ، قائلًا :

ـ لا يمكننى أن أوافق على هذا .

كان جسد (نور) يرتجف ، من فرط انفعاله ، وهو يقول :

ـ دعنا نتفق على أمر ما .. إننى سأدخل إلى حجرة (مشيرة) ، وألقى عليها سؤالًا واحدًا ، ولن أصرّ على الإجابة قط ، ولكن لابد لى وأن أحاول .. هل تفهمنى ؟ .. قلت لك : إنه أمر بالغ الخطورة .

تردد كبير الأطباء لحظة ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ فليكن .

ثم استدرك فى حزم :

ـ سؤال واحد فقط .. سأعتبر هذا وعدًا .

صاح (نور) :

ـ بالتأكيد .

وفتح باب حجرة (مشيرة) ، واندفع إلى الداخل ، واقترب من فراش هذه الأخيرة ، وانحنى عليها يقول فى توتر :

ـ (مشيرة) .. هل تسمعيننى ؟ .. أجيبى أرجوك .. من اختطف الدكتور (حجازى) ؟ .. أبشر أم مخلوق من عالم آخر ؟

ظلّت الصحفية جامدة ، لا تنبس ببنت شفة ، وكأنما هى غارقة فى غيبوبة عميقة ، فقال كبير الأطباء :

ـ لن يمكنها إجابة سؤالك .

عاد (نور) يكرّر فى إصرار :

ـ أرجوك يا (مشيرة) .. لابد وأن أعرف .. أرجوك .

وحدثت المعجزة ..

فتحت (مشيرة) عينيها فى بطء ، وتطلّعت إليه بنظرة خاوية ، جعلت قلبه ينبض فى عنف ، وهو يسأل فى انفعال :

ـ من هو يا (مشيرة) ؟ .. من هو ؟

ارتجفت شفتاها ، وهما تنفرجان فى بطء ، لتتمتم فى صعوبة :

ـ صاحب الرأس الكبير .. ذلك الـ .. الـ ..

تهالك جفناها بغتة ، قبل أن تتم جوابها ، وعاودتها حالة الغيبوبة العميقة ، فهتف (نور) فى توتر بالغ :

ـ الـ (ماذا) يا (مشيرة) .. أجيبى بالله عليك .

هتف به كبير الأطباء :

ـ كفى أيها الرائد .. إنك قد تقتلها هكذا .

تراجع (نور) فى أسف ، ثم اندفع مغادرًا الحجرة فى عنف ، ومغادرًا المستشفى كله ..

وبأقصى سرعة ، يسمح بها قانون المرور داخل المدينة ، انطلق إلى مبنى المخابرات العلمية المصرية ..

لم يعد باقيًا أمامه سوى الدكتور (ناظم) ..

إنه الأمل الوحيد ـ فى الوقت الحالى ـ لمعرفة أى أمر يتعلّق بخصمه .. خصمه المجهول ..

★ ★ ★

هتف الدكتور (حجازى) فى حرارة ، وهو يدخل حجرة (رمزى) فى خطوات واسعة :

ـ مرحبًا يا (رمزى) .. حمدًا لله على سلامتك يا فتى .

صافحه (رمزى) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ كم تسعدنى رؤيتك يا دكتور (حجازى) .. كيف نجحت فى الوصول إلى حجرتى ، وسط هذا السجن العجيب ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لست أدرى يا ولدى .. لقد أوصلوا كل حجراتنا ببعضها البعض ، فصار سجننا أشبه بمنزل كبير ، يضمّ حجراتنا كلها .

بدت الدهشة على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ أوصلوا الحجرات ببعضها البعض .. ولكن لماذا ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وهو يقول :

ـ إنها ليست النقطة الغامضة الوحيدة هنا يا ولدى .

تطلّع (رمزى) فى حذر إلى باب حجرته ، وقال :

ـ ولكنها تعنى أننى أستطيع مغادرة هذه الحجرة .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ بالطبع .. لقد رأيتهم يفتحون باب حجرتى ، فخرجت منها إلى ردهة كبيرة ، تقود إلى حجرتك ، وإلى ثلاث حجرات أخرى .

تحرّك (رمزى) نحو باب حجرته ، قائلًا :

ـ ولمن هذه الحجرات الثلاث الأخرى ؟

لم يكد يخرج إلى تلك الردهة ، التى أشار إليها الدكتور (حجازى) ، حتى رأى (محمود) ، وهو يغادر حجرته بدوره فى حذر ، ولم يكد هذا الأخير يلمحه ، حتى هتف فى سعادة :

ـ (رمزى) .

اندفعا نحو بعضهما البعض ، وتصافحا فى حرارة كبيرة ، ولحق بهما الدكتور (حجازى) وهو يقول :

ـ من الواضح أن سجاننا قد قرّر منحنا بعض الراحة ، فى سجننا هذا .

أجابه (رمزى) ، وهو يتلفّت حوله :

ـ إنه يحاول منحنا شعورًا منزليًا خاصًا ، وهذا يبدو واضحًا ، فى اختيار ديكور حجرات شبيه بحجراتنا الخاصة ، وصنع هذه الردهة الأنيقة ، التى تتصل بكل حجرة ، وتتيح لنا الالتقاء والتحدّث إلى بعضنا البعض ..

سأله (محمود) فى توتر :

ـ ولكن من هو ؟ وماذا يريد منا ؟

قال الدكتور (حجازى) فى همس :

ـ يخيل إلىّ أنه ليس بشريًا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ هل رأيته ؟

أجابه فى توتر :

ـ نعم رأيته فى لمحتين خاطفتين .. صحيح أننى لم أتفرّس ملامحه جيدًا ، ولكن ..

قاطعه (محمود) فى انفعال :

ـ صفه لنا يا دكتور (حجازى) .

ازدرد الدكتور (حجازى) لعابه ، وقال :

ـ إنه يشبه البشر ، فى تكوينه الخارجى ، ولكن رأسه بالغ الضخامة ، يشبه بيضة ضخمة مقلوبة ، و ..

بتر عبارته بغتةً ، وهو يقول :

ـ يبدو أنهم يحضرون المزيد من الأسرى .

التفت (رمزى) و (محمود) إلى حيث ينظر ، ووقع بصرهما على عدد من الآليين ، يدخلون إلى الردهة ، ثم يتبعهما شخصان ، لم يكد (محمود) يراهما ، حتى هتف فى انفعال بالغ :

ـ (سلوى) ؟! .. (نشوى) ؟! .. مستحيل !

اندفعت (نشوى) نحو (رمزى) ، هاتفة :

ـ (رمزى) ؟ .. أأنت بخير .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

سألها (رمزى) فى توتر :

ـ ما الذى أتى بكما إلى هنا ؟ .. كيف أوقعوا بكما ؟

ترقرقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تقول :

ـ لن يمكنك أن تصدّق ما حدث يا (رمزى) ..لن يمكنكم جميعًا هذا .

وكان ما حدث لها ولابنتها مذهل ..

مذهل بحق ..

★ ★ ★

صعد (نور) إلى الطابق ، الذى يحتجزون فيه الدكتور (ناظم) ، واقتحم حجرة هذا الأخير فى انفعال ، وألقى نظرة متوترة عليها ، قبل أن يهتف بحارسها :

ـ أين الدكتور (ناظم) ؟

أجابه الحارس :

ـ لقد أمر القائد الأعلى بنقله إلى حجرة الاختبارات منذ قليل يا سيّدى .

أسرع (نور) إلى حجرة الاختبارات ، واستقبله فيها القائد الأعلى ، قائلًا فى حرارة :

ـ (نور) .. مرحبًا يا ولدى .. كدت أطلب استدعاءك الآن .

تطلّع (نور) إلى الدكتور (ناظم) .. الذى استقرّ مقيّدًا إلى مقعد ضخم ، وقد جلست أمامه الدكتورة (فائقة) ، تحقن أوردته بمحقن صغير ، فسأل (نور) :

ـ ماذا ستفعلون به يا سيّدى ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ إنه اختبار جديد أيها الرائد ، فسنحقنه بمصل الحقيقة ، ثم نحاول تنويمه مغناطيسيًا ، بوساطة الكمبيوتر ، ومعرفة ما يسيطر على عقله .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ وهل من الممكن أن ينجح هذا ؟

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، وقال :

ـ إننا لن نخسر شيئًا .

تراجعت الدكتورة (فائقة) ، بعد أن انتهت من حقن المصل ، فى أوردة الدكتور (ناظم) ، وقالت :

ـ أظن أننا نستطيع البدء الآن .

قال القائد الأعلى فى حماس :

ـ فليكن .

دفعت منضدة الكمبيوتر أمام وجه الدكتور (ناظم) ، وضغطت أزرار



ارتجف جسده فى قوة أكبر ، وجحظت عيناه فى شدة ، وكأنما يقاوم شيطانا مريدا .
يسعى من أعماقه للخروج من جسده ..

الجهاز ، فارتسمت على شاشته عدة دوائر حلزونية متداخلة ، راحت تدور حول بعضها البعض فى بطء ، والدكتورة (فائقة) تقول :

- انظر إلى هذه الدوائر ، وركز بصرك عليها جيِّدًا .. انظر ..

تزايدت سرعة الدوائر فى هدوء ، وراحت ألوانها تتبدّل فى سرعة ، والدكتور (ناظم) يتطلّع إليها مباشرة ، ثم لم يلبث جفناه أن تثاقلا ، فغمغم القائد الأعلى :

- أظننا سنفلح هذه المرة .

سألت الدكتور (فائقة) (ناظم) :

- هل تشعر بالاسترخاء ؟

أجابها :

- نعم .

قالت :

- وهل أنت مستعد لإجابة أى سؤال ؟

قال فى هدوء بالغ :

- بالطبع .

لم تحاول المرور بحلقة الأسئلة التقليدية ، وإنما سألته بغتة :

- من حاول السيطرة على عقلك ؟

مضت لحظة من الصمت والسكون ، ثم ارتجفت شفتا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وشحب وجهه كثيرًا ، ولكن الدكتورة (فائقة) ردّدت فى حزم :

- من حاول هذا يا دكتور (ناظم) ؟

ارتجف جسده فى قوة أكبر ، وجحظت عيناه فى شدة ، وكأنما يقاوم شيطانا مريدًا ، يسعى من أعماقه للخروج من جسده ، عبر أذنيه وحلقه ، و (فائقة) تكرّر :

- من يسعى للسيطرة عليك ؟

صرخ الدكتور (ناظم) ، وهو يقاوم قيوده فى شراسة :
- اقتل .. اقتل ..
قالت الدكتورة (فائقة) فى صرامة متناهية ، غير مبالية بعنف أسلوبه :
- من وضع فى عقلك هذا الأمر ؟ .. ولماذا ؟
بدا الرجل أكثر عنفًا وشراسة ، وهو يصرخ بالكلمة نفسها ، فقال (نور) فى قلق :
- سيقتله هذا .
أجابه القائد الأعلى :
- نتعشم ألا يحدث هذا .
صمت لحظة ، ثم بدا كما لو أنه شعر بقصور جوابه ، إذ أضاف فى خفوت :
- المفروض أن يحطّم مصل الحقيقة مقاومته الشرسة هذه ، فيستسلم لنا بعد قليل ، ويصبح من السهل تحريره من تلك السيطرة .
تطلع (نور) إلى الرجل فى قلق ، وهو يغمغم :
- حقًّا ؟!
رأى ملامح الدكتور (ناظم) تلين تدريجيًا ، وجسده يسترخى فى بطء ، والدكتورة (فائقة) تقول له فى حنان مباغت :
- انتهى كل شىء .. استرخ .. استرخ تمامًا .
بدت ملامحه أكثر استرخاءً وهدوءًا ، من أية مرة رآه فيها (نور) ، والدكتورة (فائقة) تسأله :
- هل عاودك الشعور بالاسترخاء ؟
أجابها فى صوت منهك :
- نعم .
تنهّد القائد الأعلى فى ارتياح ، وقال :

- يبدو أن التجربة قد نجحت .
لم ينبس (نور) ببنت شفة ، والدكتورة (فائقة) تسأل (ناظم) :
- هل تذكر الآن كل ما حدث فى الماضى ؟
أجابها الرجل فى هدوء :
- نعم .. أذكره كله .
مالت نحوه ، تسأله فى اهتمام بالغ :
- أخبرنى إذن .. من حاول السيطرة على عقلك .
أجابها :
- كان هذا قبل موعد الاختبار بأسبوع كامل .. كنت عائدًا إلى منزلى ، بعد منتصف الليل بقليل ، عندما شاهدته أمامى .
سألته فى لهفة :
- من هو ؟
فتح شفتيه ليلقى الجواب ، لولا أن ارتفع صوت يقول فجأة :
- كفى .
ثم ردّد شخص آخر داخل الحجرة ، تلك الكلمة المخيفة :
- اقتل .. اقتل ..
واتسعت عينا الدكتورة (فائقة) فى ذعر وذهول ، فقد كان ذلك الشخص هو آخر شخص يمكنها توقّعه ..
كان (نور) ..

* * *

١١ ـ المفاجأة ..

« (نور) ؟! .. »

هتف الدكتور (حجازى) بالإسم فى ذهول ، واتسعت عيون (رمزى) و (محمود) فى دهشة بلا حدود ، فى حين انفجرت (نشوى) باكية ، وسالت دموع (سلوى) فى مرارة ، وهى تقول :

ـ نعم يا دكتور (حجازى) .. (نور) هو الذى أوقع بنا .. لن يمكنك أن تتصوَّر مدى ذهولنا ، أنا و (نشوى) ، عندما فوجئنا به يتجمَّد لحظة ، ثم يهاجمنا بغتة ، على نحو لم أتخيله أبدًا .. إنه لم يكن (نور) الذى نعرفه حتمًا .. لقد كان شخصًا آخر ، يمتلئ بالشراسة والعدوانية والشر .. ولقد أفقدنى الوعى بضربة على رأسى ، وأخبرتنى (نشوى) أنه حطَّم جهاز الكمبيوتر الخاص بها بعدها ، ثم هاجمها ، غير مبال بصراخها وتوسلاتها ، وأفقدها الوعى بدورها .

بكت فى حرارة ، وهى تستطرد :

ـ لم أتخيَّل هذا لحظة واحدة فى حياتى كلها .. (نور) دائمًا كان الأقوى ، فى كل صراع عقلى واجهناه .. أتذكرون كيف قاوم سيطرة الغزاة الزرق ، وظلَّ يحاربهم وحده ، ويقاتلهم بكل قوته ، على الرغم من استسلامنا لهم جميعًا ؟(*) .. ماذا أصابه هذه المرة ؟ .. كيف أمكنهم إخضاعه لسيطرتهم ؟ .. ومتى فعلوا به هذا ؟

قال الدكتور (حجازى) فى مرارة :

ـ ليلة الحادث يا بنيتى .. لقد أوقعوا به ليلة ذلك الحادث ، الذى تعرَّض

(*) راجع قصة (الموت الأزرق) .. المغامرة رقم (٣٦) .

له ، وتحطَّمت فيه سيارته .. فى تلك الليلة فقد (نور) شعوره بالزمن بعض الوقت ، ولقد شرح لى ما أصابه ، وتصوَّر أنه فقد الوعى لهذه الفترة ، ولكن الواقع أنهم استغلوا توتره الشديد ، بعد الحادث مباشرة ، وسيطروا على عقله .

هتفت (سلوى) :

ـ ولكن عقل (نور) قوى للغاية ، وخبراتنا السابقة تؤكِّد هذا ، فكيف أمكنهم السيطرة عليه بهذه البساطة ؟

انبعث فجأة صوت عميق ، من مكان مجهول ، يقول بلكنة غير مصرية :

ـ لم يكن ذلك عسيرًا .

تلفَّت الجميع حولهم فى توتر ، بحثًا عن صاحب الصوت ، الذى تابع بنفس الصوت العميق ، واللكنة الأجنبية :

ـ أى عقل بشرى يعجز عن مقاومة سيطرتى العقلية الفائقة .

ارتجف الجميع للعبارة الأخيرة ، وتمتمت (سلوى) فى ذعر :

ـ ما الذى يقصده بكلمة عقل بشرى هذه ؟

أجابها (رمزى) فى توتر بالغ :

ـ الأمر أوضح من أن تلقى سؤالك يا (سلوى) .. من الواضح أن خصمنا هذا غير بشرى ..

صاح الدكتور (حجازى) فى حدة ، وهو يتلفَّت حوله :

ـ من أنت ؟ .. لماذا تفعل بنا هذا ؟

أجابه صاحب الصوت فى صوت أكثر عمقًا ، وأقوى نبرة :

ـ أنا الآمر الناهى فى عالم الغد ، والإمبراطور المقبل للأرض كلها .. أنا السيِّد بلا منازع .. سيِّد العقول ..

وارتجفت قلوب الجميع ..

* * *

اتسعت عينا الدكتورة (فائقة) فى ذهول ، وهى تحدّق فى (نور) ، الذى جمدت نظراته ، وأطلّت منهما شراسة تخالف طبيعته ، وهو يردّد :

ـ اقتل .. اقتل .

وصرخت الدكتورة (فائقة) :

ـ مستحيل !! .. إلا (نور) .. إلا هو !

هتف بها القائد الأعلى ، وهو يجذبها بعيدًا عن مرمى مسدس (نور) :

ـ لا توجد استثناءات هذه المرة .

ثم صاح فى صرامة ، و (نور) يصوّب مسدسه إلى رأس الدكتور (ناظم) :

ـ طوارئ خاصة .

استقبل كمبيوتر الأمن الخاص ، الذى تمت إضافته إلى الحجرة ، عبارة القائد الأعلى ، ومرّرها بين أجهزته فى جزء من مليون من الثانية ، ثم بدأ تطبيق برنامج الطوارئ الخاص ، وطاعة الأمر ، فى الجزء الثانى مباشرة ..

وداخل برنامجه ، ارتسمت صورة هولوجرافية لكل الموجودين بالحجرة ، ثم تم تكبير يد (نور) ، الممسكة بالمسدس ، وهذا فى الجزء الثالث من المليون ..

ثم أطلق أشعته على المسدس ، فى الجزء الرابع ..

وبالنسبة للقائد الأعلى ، فلم يكن من الممكن أن ينتبه إلى كل هذه المراحل ، بالغة الدقة والصغر ، لذا فقد خُيّل إليه أنه لم يكد ينطق كلمته ، وقبل حتى أن تتلاشى حروفها ، كانت الأشعة تنطلق من السقف ، وتذيب مسدس (نور) ..

ثم انتقل البرنامج إلى المرحلة الثانية على الفور ..

ومن كل ركن بالحائط ، قفزت خيوط شبيهة بخيوط العنكبوت ، تحيط جسد (نور) ، وتلتف حوله كالشرنقة ، وهو يقاومها فى شراسة ، قبل أن يسرى مفعول مادتها المخدّرة عبر مسامه العرقية ..

وسقط (نور) ..

سقط فاقد الوعى ، ببرنامج أمنى خاص ، أعدّه القائد الأعلى لهذا الغرض ..

وهتفت الدكتورة (فائقة) فى ذهول :

ـ (نور) ؟!.. من كان يتصوّر هذا ؟

أجابها القائد الأعلى :

ـ أنا .. أنا كنت أتوقّع أى شىء ، ولهذا وضعت ذلك البرنامج الأمنى بمنتهى السرية ، بحيث لم يكن يعلمه سواى ، والآليات التى قامت بإعداده .

وألقى نظرة آسفة على (نور) ، مستطردًا :

ـ ولكننى أعترف أن شكوكى فى (نور) كانت روتينيه للغاية ، ولم تكن شكوكًا حقيقية ، وكنت أتمنى لو لم يحدث هذا .

ظلّت تحدّق فى (نور) لحظات ، ثم أدارت بعدها إلى الدكتور (ناظم) ، الذى يجلس هادئًا ، فى انتظار أية أسئلة أخرى ، وقالت :

ـ من حسن الحظ أننا قد توصلنا إلى وسيلة الخلاص من هذا الجحيم .

وزفرت فى حرارة ، قبل أن تضيف :

ـ جحيم العقول .

★ ★ ★

« مجنون .. حتى ولو كنت من آخر كواكب الكون ، فأنت مجنون .. »

صاح (رمزى) بهذه العبارة فى حدة ، بعد أن سمع حديث ذلك الذى أطلق على نفسه اسم (سيّد العقول) ، ولكن صاحب الصوت قال فى هدوء عجيب :

ـ مجنون ؟! .. عجيب أن يقولها خبير بالطب النفسى مثلك يا دكتور (رمزى) .. أى جنون فى أن يمتلك المرء قدرة فريدة مدهشة ، تتيح له السيطرة على عقول الآخرين ، وتحريكهم كقطع الشطرنج ، فى لوحة من صنعه .

صاح (رمزى) ، وهو يتلفت حوله ، بحثًا عن مصدر الصوت :

ـ قولك هذا هو الجنون بعينه ، فالعقل السوى يحترم حقوق الآخرين ويؤمن بها ، أما العقل المريض ، فهو وحده الذى يحاول السيطرة على عقول الآخرين .

قال الصوت فى برود :

ـ خطأ أيها الخبير النفسى .. سُنة الحياة تحتم أن يسيطر أصحاب العقول القوية على أصحاب العقول الضعيفة ، وأن يعلو القوى الضعيف .

أجابه الدكتور (حجازى) فى حدة :

ـ إنها شريعة الغاب ، وليست سُنة الحياة .

قال صاحب الصوت فى صرامة :

ـ فليكن .. يمكننا أن نختبر هذا .

شعروا جميعًا بصداع مباغت ، وبآلام فى الرأس ، فهتفت (نشوى) :

ـ إنه يحاول السيطرة علينا .

تصاعدت آلام الرأس فى سرعة مدهشة ، وصرخت (سلوى) :

ـ لا .. لم أعد أحتمل .. سينفجر رأسى .

سمعوا صوت ضحكات ساخرة ، تتردَّد فى المكان كله ، وصاح (رمزى) :

ـ أيها الحقير .

رأى الدماء تتدفَّق من فم (محمود) ، و (سلوى) تدور حول نفسها ، وتهوى فاقدة الوعى ، و (نشوى) تمسك أذنيها فى آلام رهيبة ، والدكتور حجازى يصرخ :

ـ إنه يقتلنا .

ـ صرخ (رمزى) :

ـ ماذا تريد منا ؟ .. ماذا تريد ؟

خُيل إليه أن رأسه ينفجر ، وتتناثر أشلاؤه فى المكان ، وجحظت عيناه فى شدة ، قبل أن تميد به الأرض ، وتظلم الدنيا من حوله ..

ويسقط ..

وبسقوط (رمزى) ساد سكون عجيب فى المكان ، لم تلبث أن قطعته ضحكة عابثة ساخرة ، ظافرة ..

ضحكة السيِّد ..

سيِّد العقول ..

★ ★ ★

كانت هناك مطارق من الصلب تهوى على رأسه ..

مطارق ضخمة ، هائلة ، راحت تضرب دماغه بلا رحمة أو توقُّف ، وكأنها تسعى لثقب جمجمته وتحطيمها ، وسحق مخه بضرباتها فى عنف ..

ومن أعماقه ، تردَّدت كلمة واحدة ، بلا توقُّف ..

اقتل .. اقتل .. اقتل ..

حاول أن يصرخ ، وأن يستنجد ، أو يعترض ، ولكنه لسانه تجمَّد تمامًا داخل حلقه ، فلم يستطع نطق كلمة واحدة ، أو حتى حرف واحد ..

وفى أذنيه تردَّد صوت أنثوى مألوف ، يقول :

ـ قاوم يا (نور) .. قاوم .. لا تستسلم لتلك القوة الغامضة ، التى تحاول السيطرة على عقلك .

كان يشعر برغبة عارمة فى طاعة ذلك الأمر ، إلا أن المطارق كانت تواصل ضرباتها بنفس القوة والرتابة ، فى حين ظهر فى خياله ظل بشرى ، له رأس ضخم ، أشبه ببيضة مقلوبة ، مع صوت عميق ، يقول فى لكنة أجنبية :

ـ لا تسمح لهم باختراق دفاعاتك العقلية .. اقتلهم لو حاولوا ، وإلا فانتحر .

صرخ (نور) :

ـ اقتل .. اقتل .. اقتل .

ولكن ذراعيه كانا مقيدين إلى المقعد القوى فى إحكام ، ولم يكن بإمكانه أبدًا أن يقتل أى مخلوق ..

ولا حتى أن ينتحر ..

وهنا ارتبك عقله فى شدة ..

لم يكن هناك أمر يناسب هذا الموقف ..

وتضاعفت ضربات المطارق ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

وأطلق (نور) صرخة هائلة ..

صرخة انخلع لها قلب الدكتورة (فائقة) ، وارتجف لها جسد القائد الأعلى ..

ثم توقف كل شىء ..

لم تعد المطارق تضرب جمجمته ..

لم تعد هناك آلام رأس ..

ولا ظلال شبه بشرية ..

ولا أصوات عميقة ..

فجأة تلاشى كل هذا ، وتراخت عضلات (نور) فى تهالك وإرهاق ..

وشعر برغبة شديدة فى النوم ..

ودون مقاومة .. أو دون قدرة على المقاومة ، ترك جفنيه يستسلمان للنوم ..

ونام ..

أو هو سقط فى غيبوبة ..

غيبوبة ولّدها الإرهاق والمجهود العنيف ، بعد أن تحرّر عقله من السيطرة ..

وفى إشفاق ، غمغمت الدكتورة (فائقة) :

ـ لقد انهار .

أجابها القائد الأعلى ، وهو يتأمل (نور) فى تعاطف :

ـ لن يلبث أن يستعيد قواه ، بعد أن تحرّر من السيطرة العقلية ..

نقلت بصرها بين (نور) والدكتور (ناظم) ، وقد غرق كلاهما فى غيبوبة عميقة ، وقالت فى ارتياح :

ـ لم أتصوّر أننا سننجح فى تحريرهما ؟

قال القائد الأعلى :

ـ كل شىء ممكن ، ما دامت هناك الإرادة .

أجابته فى زهو :

ـ والعلم .

ابتسم وهو يرفع سبّابته أمام وجهه ، مستطردًا :

ـ والإيمان بالله (سبحانه وتعالى) .

نعم أيها القائد الأعلى ..

هذا هو مثلث النجاح ..

الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) ، والإرادة .. والعلم ..

* * *

تحرّك قائد قاعدة (أسوان) الجوية ، داخل القاعة الكبيرة ، التى سُجن فيها مع طياريه ، كالليث الحبيس ، قبل أن يهتف فى حنق :

ـ لم أعد أحتمل هذا .

قال ضابطه الأوّل ، دون أن يحاول إخفاء توتره :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل سوى الاحتمال يا سيّدى ؟ .. إننا لا ندرى حتى لماذا أتوا بنا إلى هنا ، وما الذى يريدونه منا .

لوّح القائد بكفه فى سخط ، وهو يقول :

ـ موقفنا هذا أشبه بموقف دجاج حبيس فى قفص من الصلب ، ينتظر

وقوع الاختيار على أى دجاجة منه ، ليتم ذبحها .

تمتم أحد الطيارين :

ـ ليس إلى هذا الحد .

صاح القائد :

ـ بل هو أكثر من هذا ، وأشدّ مهانة وإذلالا .. إننا نجلس هنا دون حول أو قوة ، وفى كل يوم يقتحم هؤلاء الآليون المكان ، ويجبروننا جميعًا على التراجع ، ثم يلقون القبض على أحدنا عشوائيًا ، ويحملونه إلى الخارج ، فلا يعود إلينا بعدها قط ..

اضطرب الضابط الأوّل ، وهو يقول :

ـ لا تقل : إنك تشك فى أنهم يأكلون من يأخذونه من هنا .

قال القائد فى حدة :

ـ من يدرى ؟

شحب وجه الضابط الأوّل ، وارتجفت شفتاه فى هلع ، وهو يتصوّر نفسه بين يدى عدد من المخلوقات البشعة ، التى تذبحه كالنعاج ، لتلتهم لحمه وعظامه ، وهتف :

ـ لا .. لا أعتقد هذا .

تدخل أحد الطيارين ، وقال :

ـ ولماذا نستسلم لهذا ؟

التفت إليه القائد ، وهو يقول فى حماس :

ـ نعم .. لماذا نستسلم ؟

ثم لوّح بكفه ، وقال فى حرارة :

ـ إننا نستطيع المقاومة .. أليس كذلك ؟

تألقت عيون رجاله ، وهمس بعضهم :

ـ بالتأكيد .

انتقل بريق عيونهم إلى عينيه ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، يحتاج الأمر إلى خطة مدروسة .

التفوا حوله ، دون أن يدعوهم إلى هذا ، وراح يلقى خطته على مسامعهم ..

وبكل التفاصيل ..

★ ★ ★

« حمدًا لله على سلامتك .. »

تطلّع (نور) فى حيرة ، إلى وجه الدكتورة (فائقة) ، التى ردّدت هذه العبارة فى مزيج من الشفقة والارتياح ، ثم نهض جالسًا على طرف فراشه ، وتلفت حوله ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

أجابته الدكتورة (فائقة) بابتسامة كبيرة ، وهى تجلس على طرف فراشه :

ـ إنك ترقد داخل قسم الطوارئ الطبية ، الخاص بالإدارة ، بعد أن تحرّرت من السيطرة العقلية .

هتف فى جزع :

ـ السيطرة العقلية ؟! .. أتعنين أننى ..

قاطعته فى سرعة :

ـ نعم .

ثم نهضت إلى جهاز العرض التليفزيونى (الفيديو) ، ووضعت داخله اسطوانه خاصة ، من اسطوانات الفيديو ، وضغطت زر العرض ، ثم تراجعت لتفسح له الطريق ..

وعلى شاشة (الهولوفيزيون) ، شاهد (نور) كل ما حدث ..

شاهد محاولته قتل الدكتور (ناظم) ، وانقضاض جهاز الأمن عليه ،

وخضوعه لعملية التحرير العقلى ، تحت تأثير مصل الحقيقة ، واتسعت عيناه فى هلع ، وهو يشاهد كل ما فعله ، حتى انتهى العرض ، فردَّد فى شحوب :

- يا إلهى !

ثم دفن وجهه فى كفيه ، ولاذ بالصمت لحظات طوالاً ، احترمت (فانقة) خلالها صمته ، فلم تنبس ببنت شفة ، حتى رفع وجهه عن كفيه ، وقال :

- حمدًا لله (العلى العظيم) .

ثم زفر فى حرارة ، مستطردًا :

- كان ينبغى أن أتوقَّع هذا ، ففى المرة الثانية ، عندما هاجمنى أنا و (سلوى) و (محمود) ، ودمَّر أجهزتنا ، لم يكن هناك سوى يعلم الموضع ، الذى سنختبئ فيه .. كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .

قالت الدكتورة (فانقة) فى تعاطف :

- لم يكن ليسمح لك بتوقُّع هذا .

غمغم فى شرود :

- صدقت .

ثم سألها فى اهتمام :

- كيف حال الدكتور (ناظم) الآن ؟

أجابته مبتسمة :

- فى خير حال .. لقد استعاد وعيه ، وهو يجلس مع القائد الأعلى الآن .

سألها :

- أتظنين تحرُّرنا سيصبح معروفًا ، لمن سيطروا على عقولنا ؟

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- لست أظن هذا ، فمن الواضح أنهم سيطروا على العقول مرة واحدة ،

ثم تركوا فيها برنامجًا ثابتًا ، بحيث لا تحتاج إلى إعادة برمجة ، أو متابعة مرة أخرى ، ولقد خرقنا نحن البرنامج ، ولن يعلم خصمنا هذا ، حتى يحاول تفقد ضحاياه .

قال فى اهتمام :

- إذن فنحن نستطيع استغلال جهله لتحرُّرنا .

سألته فى اهتمام :

- كيف ؟

بدا الحزم فى عينيه ، وهو يقول :

- بأن نجتذبه هذه المرة إلى فخ جديد .

والتقى حاجباه فى صرامة ، مع استطرادته :

- فخ حقيقى .

وبرقت عيناه فى حماس ..

لقد حانت لحظة المواجهة مع القوة ..

ومع الموت .

* * *



رفع الآلى يده ، بمسدس شبيه بالمسدسات الليزرية ، وصوَّبه نحو (محمود) الذى شعر بصدمة عنيفة ترج كيانه

١٢ ـ الضربة ..

لم يدر (محمود) كم بقى فاقد الوعى ، ولكنه شعر بصداع خفيف ، وهو يستعيد وعيه ، وسمع صوتًا معدنيًا ، يبدو كما لو أنه يأتى من أعماق سحيقة ، ويقول :

ـ كل شىء على ما يرام .. تم إصلاح تلف طبلة الأذن .

فتح عينيه عن آخرهما دفعة واحدة ، وحدَّق فى وجه الآلى ، الذى ينحنى ليفحصه ، ثم هتف وهو يهبّ جالسًا ، على طرف منضدة جراحية :

ـ ما هذا ؟ .. ما الذى تفعله ؟

اعتدل الآلى ، وهو يقول فى رتابته وصوته المعدنى الجاف :

ـ أنا أحد أفراد الوحدة الجراحية الطبية ، وأنت آخر المرضى .. لقد تم إسعاف الجميع .

وكلهم بخير .. أكرِّر .. أنت آخر المرضى .

تراجع الآلى الشبيه بصندوق كبير ، تمتدّ منه عدة أزرع ، بعد أن ألقى عبارته الأخيرة ، فى حين تقدّم الى آخر داخل الحجرة ، وهو يقول بصوت رنان :

ـ حان وقت الانتقال إلى مقر الإقامة .

قال (محمود) فى عناد :

ـ وماذا لو رفضت ؟

رفع الآلى يده ، بمسدس شبيه بالمسدسات الليزرية ، وصوَّبه نحو (محمود) ، الذى شعر بصدمة عنيفة ترجّ كيانه ، كما لو أن صاعقة قد هوت على رأسه ، فأطلق صرخة ألم عنيفة ، قبل أن يكرِّر الآلى ، فى بروده المعدنى المثير :

- حان وقت الانتقال إلى مقر الإقامة .

فى هذه المرة لم يحاول (محمود) مقاومته ، بل هبط من منضدة الجراحة فى استسلام ، وترك الآلى يقوده ، عبر ممر طويل ، إلى القاعة المتصلة بحجرات باقى أفراد الفريق ..

وهناك كان الجميع فى انتظار (محمود) ، ولقد استقبلوه فى حرارة ، وقال (رمزى) فى ارتياح :

- حمدًا لله على سلامتك يا (محمود) .

تطلّع (محمود) إليهم فى دهشة ، وقال :

- ولكن كيف أراكم جميعًا فى خير صحة وعافية ؟ .. كيف تم علاج الجميع بهذه السرعة ؟

أجابته (سلوى) :

- لقد تم علاجنا جميعًا ، بوساطة فريق من الآليين ، ولم يتم هذا بسرعة كما تتصوّر ، فنحن فاقدو الوعى منذ صباح أمس .

هتف فى دهشة :

- حقًا ؟!

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وقال فى مرارة :

- وما قيمة الوقت فى الأسر يا فتى ؟

سأله (محمود) فى توتر :

- لماذا يحتفظ بنا ذلك المجنون ؟ .. لماذا لم يحاول قتلنا ، أو السيطرة على عقولنا ؟

قالت (نشوى) فى حزن عميق :

- لإذلالنا .

تطلّع إليها (رمزى) بنظرة مشفقة ، وأجاب :

- لسنا ندرى ما إذا كان قد سيطر على عقولنا بالفعل أم لا ، فـ (نور)

لم يكن يعلم أنه واقع تحت سيطرته ، إلا عندما حانت لحظة مناسبة لكشف هذا .. أما لماذا يحتفظ بنا ، فلدى نظرية لن تروق لكم ، فى هذا الشأن .

التفتوا إليه جميعًا فى اهتمام ، وسأله الدكتور (حجازى) :

- ما هى ؟

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا ، وكأنما يعدّ نفسه لمحاضرة طويلة ، ثم قال :

- لم يكن إحضارنا إلى هنا عشوائيًا بالتأكيد ، فلقد سبقته فترة مراقبة وإعداد ، بدليل أن كل منا يقيم هنا ، فى حجرة تشبه تمام الشبه حجرته المفضّلة ، وكأن الغرض من هذا هو أن يشعر كل منا بأنه فى منزله ، ليمكنه العيش فيه لفترة طويلة .

هتفت (نشوى) فى جزع :

- فترة طويلة ؟! .. أتعنى أنه سيحتفظ بنا ؟

تردّد لحظة ، ثم قال :

- أخشى أن هذا ما أعنيه بالضبط .

هبط الصمت على رءوس الجميع لحظات ، وهم يحدقون فى وجه (رمزى) لحظة ، ويتبادلون نظرات الارتياع لحظة أخرى ، قبل أن تقول (سلوى) بصوت خافت مرتجف :

- أتعنى أننا لن نكون - بالنسبة إليه - أكثر من حيوانات أليفة ، أعدّ لها الأقفاص المناسبة ، التى تشبه بيئتها الأصلية ، ليلهو بها لفترة طويلة ؟!

هتف (رمزى) :

- يا إلهى ! .. لا .. ليس هذا ما أقصده بالطبع ، فخصمنا ليس تافهًا إلى هذا الحد ، بل هو رجل بلغ درجة مخيفة من العبقرية ، بحيث اقترب - دون أن يدرى - من ذلك الخط الفاصل بين العبقرية والجنون ، إلى الحد الذى دفعه إلى محاولة السيطرة على العالم ، ومثل هذا الرجل لن يخطط

لإحضارنا إلى هنا ، وصنع حجرات تشبه تمامًا حجراتنا المفضلة ، لمجرَّد اللهو ، أو حتّى عندما يخطّط لقتلنا .

سألته (نشوى) فى قلق :

ـ لماذا سيحتفظ بنا إذن ؟

أجابها :

ـ ربما للإفادة من خبراتنا ، فى شتى المجالات ، وهذا هو الرأى الأرجح ، فبالسيطرة علينا يكون قد فاز بأقوى فريق من الخبراء ، باعتراف المخابرات العلمية ، التى اختارت فريقنا خصيصًا لمواجهته .

لوَّح الدكتور (حجازى) بكفه ، وقال :

ـ أتظن خصمًا كهذا يحتاج إلى خبراتنا ؟ .. ألم تر تلك التقنية البالغة التطوّر ، التى يستخدمها فى كل مكان هنا ؟ .. حرّاس آليين .. جراحون من الفولاذ والأسلاك .. أشعة خاصة لالتئام الجروح فى سرعة ، مصنع بالغ التطور ، يعمل وحده لتصنيع سرب من مقاتلات (م ـ ١) .. لا يا (رمزى) .. لست أظن خصمًا كهذا يحتاج إلى خبرات الآخرين .

تردّدت (نشوى) لحظة ، قبل أن تقول فى خفوت :

ـ ربما يحتاج إلى دراسة سلوك البشر .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـ سلوك ماذا ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ أليس هذا ما يفعلونه مع حيوانات التجارب ، للحصول على نتائج أقرب إلى الدقة ؟ .. ألا يضعون الحيوانات فى بيئات صناعية ، تشبه إلى حد كبير بيئتهم الأصلية(*) ، لدراسة سلوكهم وسبل معيشتهم .

(*) حقيقة علمية .

صمت الجميع ، وهم يتطلّعون إليها فى ارتياع ، قبل أن يقول الدكتور (حجازى) :

ـ إنك بهذا تعودين إلى افتراض أن خصمنا ليس بشريًا .

قالت فى شىء من العصبية :

ـ ألديك دليل واحد على العكس ؟

استرجع ذلك المشهد ، الذى رآه مرتين فى سرعة ، ثم هزّ رأسه ، متمتمًا :

ـ لا .

تراجعت (سلوى) فى خوف ، فى حين قال (رمزى) فى اهتمام بالغ :

ـ افتراض منطقى يا (نشوى) .. نعم .. من الممكن أن يكون هذا هو السبب بالفعل .

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وتطلّع إلى سقف الحجرة فى حذر وشك ، وهو يستطرد :

ـ وربما كان خصمنا يراقبنا الآن ، فى هذه اللحظة بالذات ، ويتابع مناقشتنا هذه ، لدراسة أسلوب تفكيرنا المنطقى .. بل ربّما كانت العملية كلها مجرّد تجربة ضخمة ، ودراسة دقيقة لسلوك البشر ، وقدراتهم على مواجهة أخطار غامضة ، تمهيدًا لغزو قادم .

هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ غزو آخر ؟!

عاد (رمزى) يدير عينيه فى سقف الحجرة فى حذر ، بحثًا عن الجهة التى ينبعث منها الصوت الغامض ، وهو يقول :

ـ نعم يا (نشوى) .. من يدرى ؟ ربما كان الأمر كله كذلك بالفعل .. مجرّد تجربة .. تجربة رهيبة ..

★ ★ ★

انفتح باب القاعة الضخمة ، التى تضمّ طيارى قاعدة (أسوان) ، واندفع داخلها أربعة من الآليين ، على إطاراتهم المطاطية ، وكل منهم يحمل مدفعًا عجيبًا ، وقال أحد الآليين بصوته البارد الرنّان :

ـ الجميع إلى الخلف .

تراجع الطيارون ، وهم يراقبون الآليين الأربعة فى حذر ، فى حين راح ذلك الآلى القائد يتفحّصهم واحدًا بعد الآخر ، قبل أن يتقدّم نحو أحدهم ، قائلًا :

ـ أنت .. تقدّم خطوتين إلى الأمام .

أجابه الطيّار الذى وقع عليه الاختيار ، بصوت هادئ ونبرة شبه ساخرة :

ـ لن يمكننى هذا ، فأصابع قدمى تشعر بالتنميل .

كررّ الآلى ، وهو يصوّب إليه مدفعه العجيب :

ـ تقدّم خطوتين إلى الأمام .

قال الطيّار فى هدوء :

ـ فليكن .. أنت اضطررتنى لهذا .

وهنا صاح قائد القاعدة بغتة :

ـ الآن يا رجل .

ارتجّت القاعة بصيحة هائلة ، أطلقها النسور المصريون فى آن واحد ، وهم ينقضّون على الآليين الأربعة ..

وأطلق الآليون مدافعهم على الفور ، وأحدهم يقول :

ـ تمرّد .. تمرّد فى قاعة الأسرى الكبرى .

كانت مدافع الآليين تسقط بعض الطيارين ، ولكن الآخرين واصلوا انقضاضهم على الآليين الأربعة ، فى خطة مدروسة ، بحيث يتشبث إثنان منهم بكل مدفع ، ويحاولان رفع فوهته إلى أعلى ، فى حين ينقض

الآخرون على الآلى من الخلف ، وينزعون بعض أسلاكه ..

ولم يكن ذلك سهلًا ..

ولكنهم نجحوا فيه ..

نجحوا فى تعطيل الآليين الأربعة ، والاستيلاء عل أسلحتهم ، والسيطرة على الوضع داخل القاعة ..

ولكن بثمن فادح ..

كانوا عند بدء القتال سبعة وثلاثين طيارًا ، بالإضافة إلى قائد القاعدة وضابطه الأوّل ، وأصبحوا بعد انتصارهم المحدود ثلاثة وعشرين طيارًا فحسب ، وقد نجا القائد وضابطه الأوّل ..

وفى حزن ومرارة ، قال أحد الطيارين :

ـ لقد فقدنا عددًا كبيرًا من الشهداء .

أجابه قائده فى حزم :

ـ للحرية ثمن كبير يا فتى ، وهذه سمة كل الحروب .

أشار طيار آخر إلى باب القاعة ، وقال :

ـ ولكنهم أغلقوا الباب علينا .

رفع القائد مدفعه ، الذى استولى عليه من الآلى ، وهو يقول :

ـ لن يوقفنا هذا .

أطلق مع ثلاثة من رجاله أشعة المدافع ، على رتاج الباب ، الذى تحطّم فى عنف ، وانفتحت أبواب القاعة على مصراعيها ، فهتف القائد :

ـ هيا يا رجال .. إنها الخطوة الأولى نحو الحرية .

اندفعوا خارج القاعة ، حيث استقبلهم عدد من الآليين ، وبدأت حرب شعواء ، انهمرت خلالها خيوط الأشعة على الطرفين ، إلا أن الحرب لم تلبث أن انتهت فى دقائق معدودة ، بانتصار ثان للطيارين ، الذين انخفض

عددهم إلى تسعة عشر طيارًا ، قادهم القائد وضابطه الأوّل ، عبر ممر طويل ، والقائد يهتف :

ـ خذوا مدافع الآليين .. إننا نحقق انتصارات رائعة يا رجال ..

قال الضابط الأوّل ، وهو يندفع إلى جواره :

ـ وندفع ثمنًا فادحًا .

هتف القائد :

ـ إنه ثمن النصر .

واصلوا طريقهم عبر الممرات الطويلة ، دون أن يعترضهم آلى واحد ، مما بعث الشك فى نفوسهم ، فقال الضابط الأوّل ، عند بلوغهم بابًا مغلقًا :

ـ أخشى أن يكون هذا فخًا يا سيّدى .

غمغم القائد :

ـ أنت على حق .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا :

ـ فليبق الجميع هنا ، وليصحبنى ضابطى ، واثنان منكما فحسب .

بقى الطيارون لحماية الممر ، فى حين أطلق القائد أشعة مدفعه على رتاج الباب المغلق ، فحطمه ، وأشار إلى ضابطه ومساعديه ، قائلًا :

ـ مع اندفاعنا إلى الداخل ، سأتقدّم مع الضابط الأوّل إلى الأمام ، فى حين يقفز أحدكما يمينًا ، والآخر يسارًا .

ثم اندفع عبر الباب ، وتبعه الرجال الثلاثة ، بنفس النسق الذى أشار إليه ، ولكن الحجرة كانت خالية تمامًا ، إلا من منضدة جراحية فى منتصفها ، يعلوها كشاف ضوئى ضخم ، فأدار الرجال الأربعة عيونهم فيها فى حذر وتحفّز ، قبل أن يقول القائد فى حيرة :

ـ يبدو أنها حجرة عمليات جراحية .. تُرى ما الذى يفعلونه بها هنا ؟

أشار ضابطه إلى لوحة أزرار تجاور الباب ، وقال :

ـ سيّدى .. ربما كانت هناك أبواب خفية ، تحرّكها هذه الأزرار .

تطلّع القائد إلى لوحة الأزرار ، وقال :

ـ نعم .. ربما .

وضغط أول أزرار اللوحة فى حذر ، فأضيئت مصابيح الكشاف الجراحى الضخم ، ثم ضغط الزر الثانى ، فارتفعت منضدة الجراحة بعض الشىء ، وقال القائد :

ـ إنها لوحة تحكّم آلى .

قالها وضغط الزر الثالث ..

وفى هذه المرة ، ارتفع الحائط الأيسر للحجرة فى بطء ..

ومن خلفه ، اتضح تدريجيًا حاجز زجاجى سميك ، تبدو خلفه ظلال متناسقة ، تطلّع إليها الرجال الأربعة فى اهتمام ، والحائط يواصل ارتفاعه ..

ثم اتضحت صورة الظلال ..

وتراجع الرجال الأربعة مصعوقين ..

لقد كان الذى يرونه أمامهم رهيبًا ..

رهيبًا بحق ..

★ ★ ★

استمع القائد الأعلى إلى خطة (نور) فى اهتمام بالغ ، ثم قال :

ـ خطة جيّدة يا (نور) .. ولكن أأنت واثق من نجاحها ؟

أجابه (نور) :

ـ نجاحها يعتمد بالدرجة الأولى على جهل خصمنا بها يا سيّدى ، وبنجاحنا فى التخلص من سيطرته على عقولنا .

قال القائد الأعلى :

ـ ولكننا ما زلنا نجهل كيف كنت تتصل به فيما مضى ، عندما كنت واقعًا تحت سيطرته ، ولو لم يحاول هو الاتصال بك ، ستفشل الخطة كلها .

شعر (نور) بالتوتر يسرى فى عروقه ، لفكرة فشل الخطة ، وقال :

ـ لو لم يتصل بى ، فلن نبدأ الخطة كلها يا سيّدى ، وهذا ما أعتمد عليه .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم تمتم :

ـ فلندع الله أن يفعل .

تمتم (نور) :

ـ نعم .. فلندع الله (سبحانه وتعالى) .

غادر حجرة القائد الأعلى ، وهو يشعر فى أعماقه بتوتر هائل ، لم يشعر به من قبل ..

لقد فقد فريقه كله هذه المرة ..

فقد زوجته وابنته ..

وهو يجهل مصير الجميع تمامًا ..

تُرى هل اكتفى خصمه المجهول باختطافهم ، أم أنه قتلهم ؟

ارتجف فى ارتياع ، عندما ألقى على نفسه السؤال ، وتمنى من أعماق قلبه لو أن الجميع بخير ..

حتى هذه اللحظة على الأقل ..

وبدأ القلق يساوره بشأن الخطة ..

لقد اعتمد فى خطته كلها على أن يجهل خصمه بتحرّره من سيطرته ..

وعلى أن يتصل خصمه به ..

لم تكن لديه خطة بديلة ، فى حال فشل هذه الخطة ..

وكان هذا يورثه توترًا وقلقًا لا حدود لهما ..

تذكّر ضرورة مروره على الدكتورة (فائقة) فى إدارة البحث العلمى ،

فعرج على المكان ، واستقبلته الدكتورة (فائقة) فى ترحاب ، وهى تسأله همسًا :

ـ هل اتفقت على خطة محكمة ، مع سيادة القائد الأعلى ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ نعم .

كان فضولها يلتهب شوقًا ، لمعرفة مزيد من التفاصيل ، ولكن معرفتها لـ (نور) أنبأتها أنه لن يضيف حرفًا واحدًا إلى جوابه المقتضب ، مهما حاولت ..

وكان هذا يثير إعجابها الشديد به ..

ويُلهب فضولها أكثر وأكثر ..

وكمحاولة منها لإطفاء نيران الفضول ، المستعمرة فى أعماقها ، أبدلت موضوع الحديث ، وهى تقول :

ـ لقد تم إعداد السلاح الذى طلبته .

سألها فى اهتمام :

ـ أين هو ؟

قادته إلى قسم الاختبارات ، وناولته مسدسًا ليزريًا ، يبدو عادىّ المظهر ، وهى تقول :

ـ إنه مسدسك الليزرى ، ولكننا أدخلنا عليه التعديلات التى طلبتها .

سألها :

ـ أيمكننى اختباره ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لماذا نحن هنا إذن ؟

ثم أشارت إلى كرة من البلّور ، على بعد ستة أمتار ، وقالت :

ـ ها هوذا الهدف .

رفع مسدسه فى حركة سريعة ، وأطلق منه خيطًا من الأشعة ، اخترق البلّورة فى نعومة ، فمطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ هذا واحد من أبرز عيوب مسدسات الليزر ، فأشعتها تنفذ كالضوء العادى ، عبر الأجسام الزجاجية ، ولا تحطمها .

ابتسمت وهى تقول :

ـ إنها قد تثقبها ، إذا ما أحسنت التصويب .

ثم أشارت إلى المسدس ، مستطردة :

ـ لاحظ أن المسدس ما زال يعمل كمسدس ليزرى عادى ، بالضغط على زناده التقليدى ، ولكن مفعوله يختلف تمامًا ، عندما تضغط ذلك الزناد الإضافى ، الذى وضعناه أسفل الآخر .

عاد يصوّب مسدسه إلى كرة البلّور ، وضغط الزناد الآخر فى رفق ..

وفى هذه المرة انفجرت البلورة ..

انفجرت وتحطّمت تمامًا ، كما لو أن قدمًا قوية عملاقة قد سحقتها سحقًا ..

وارتفع حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ عظيم .

ابتسمت (فائقة) فى زهو ، وقالت :

ـ إنها أوّل مرة نستخدم فيها هذا التعديل .

وضع المسدس فى جيبه ، وهو يقول :

ـ وقد استخدمتوه فى مهارة مدهشة .

كان إطراؤه يسعدها دائمًا ، حتى أنها سألت نفسها وهو ينصرف : هل تميل إليه ؟ ..

لم يكن هذا هو شعور (نور) ، الذى غادر مبنى الإدارة فى سرعة ، وذهنه منشغل بخطته ، التى راح يقلّبها فى ذهنه مرات ومرات ، ويحاول

إدخال بعض التعديلات الحيوية على تفاصيلها الدقيقة ، حتى بلغ مستشفى الطوارئ ، وصعد إلى حجرة (مشيرة) ، وعلى بابها استقبله كبير الأطباء ، فسأله (نور) فى اهتمام :

ـ كيف حالها اليوم ؟

أجابه كبير الأطباء :

ـ لقد استعادت وعيها ، ولكن يبدو أن ذكريات إصابتها كانت مؤلمة بحق ، فهى تحتاج إلى علاج نفسى .

سأله (نور) :

ـ أيمكننى رؤيتها ؟

أجابه كبير الأطباء فى حزم :

ـ نعم .. ولكن لفترة قصيرة ، على ألا ترهقها أكثر مما ينبغى ؟

تمتم (نور) ، وهو يدفع باب الحجرة :

ـ اطمئن .

أدهشه أن انتفضت (مشيرة) فى جزع ، عندما دخل إلى حجرتها ، ثم لم تلبث أن تنفست الصعداء ، وقالت :

ـ (نور) .. يا إلهى ! .. لقد أفزعتنى .

تقدّم يصافحها ، وهو يقول :

ـ كيف حالك يا (مشيرة) ؟

تنهّدت وهى تجيب :

ـ لو أنك تقصد الحالة الصحية ، فهى على ما يرام ، أما بالنسبة لحالتى النفسية ، فهى أسوأ مما تتصوّر .. أتصدّق أن أية حركة مباغتة تفزعنى الآن ؟

قال فى خفوت :

ـ لقد لاحظت هذا .

ثم مال نحوها ، يسألها :

ـ أتذكرين ما حدث يا (مشيرة) ؟

قالت فى عصبية :

ـ بالطبع .. لن أنساه أبدًا .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا حدث بالضبط ؟

ازدردت لعابها وأجابت :

ـ لقد ذهبت لزيارة الدكتور (حجازى) ، فى محاولة لمعرفة ما تخفونه ، ثم انطفأت الأنوار فجأة ، وشاهدنا ذلك الشىء عند باب المعمل .

ردّد فى دهشة :

ـ الشىء .

ـ أجابته والخوف يتقاطر من حروف كلماتها :

ـ نعم .. ذلك الشىء ، فما رأيناه لم يكن بشريًا يا (نور) .. لم يكن حتمًا كذلك .

وكان صوتها يرتجف ..

وكذلك قلبه .

* * *

١٣ ـ بلا رحمة ..

بذلت (سلوى) جهدًا كبيرًا ، وهى تحاول مد بصرها ، عبر النافذة المستطيلة الصغيرة فى حجرتها ، لرؤية ما يحدث خارج المكان ، فاقتربت منها ابنتها (نشوى) ، تسألها فى قلق :

ـ ماذا هناك يا أماه ؟

أجابتها (سلوى) ، وهى تتابع محاولاتها :

ـ لست أدرى يا (نشوى) ، ولكن هناك أمر يحدث فى الخارج حتمًا ، فلقد سمعت ضجة منذ لحظات ، ورأيت عددًا من الآليين يندفع عبر ذلك الممر ، الذى تطلّ عليه النافذة ، وهم يحملون مدافعهم ، وبعدها تردّدت أصوات قتال عنيف .

والتفتت إلى (نشوى) ، مستطردة فى أمل :

ـ ربما كانت محاولة لإنقاذنا .

هتفت (نشوى) ، وقد انتقلت عدوى الأمل إليها :

ـ حقًا ؟!

اقتربت من النافذة بدورها ، وتطلّعت لحظة إلى الممر الصامت الخالى ، ثم تراجعت قائلة :

ـ لا يوجد شىء .

ولم يلبث اليأس أن حلّ محل الأمل فى قلبها ، وهى تضيف :

ـ محاولة إنقاذنا تحتاج إلى معرفة مكاننا أوّلًا .

قالت (سلوى) :

- (نور) يمكنه معرفة هذا .

ثم لم تلبث أن تذكّرت ما فعله (نور) ، فى آخر مرة رأته فيها ، فاكتسى وجهها بالحزن ، وقالت فى مرارة :

- أعنى أنه كان يستطيع هذا .

قالت (نشوى) ، وهى تشعر بانقباضة فى صدرها :

- أرجوك يا أمى .. لا تستخدمى صيغة الماضى ، فى الحديث عن أبى ، فما يزال على قيد الحياة .

غمغمت (سلوى) فى حزن :

- أتعشم أن يظلّ كذلك .

ازداد شعور (نشوى) بالانقباض ، وأرادت أن تنفض عن ذهنها ذكرى تلك اللحظات البغيضة ، التى هاجمها فيها والدها ، فسألت أمها فى سرعة :

- ألديك أية احتمالات عن مكان وجودنا ؟

أجابتها (سلوى) :

- تلك الممرات المغلقة ، وفتحات التهوية فى كل مكان ، تشير إلى أننا فى مكان ما تحت الأرض ، وحجم هذه المنشآت يشير إلى أن المكان كله يقع فى منطقة بعيدة عن حركة البشر .. فى الصحراء مثلًا .

قالت (نشوى) :

- هذا نفس ما استنتجته .

نهضت (سلوى) تتطلّع من النافذة مرة أخرى ، وهى تقول :

- ولكننى لم أعرف بعد ماذا يحدث هنا ، ولماذا كان هذا القتال ، الذى سمعته منذ قليل ؟

قالت (نشوى) ، وهى تنهض بدورها للتطلّع من النافذة :

- ربما كان تدريبًا على صد هجوم محتمل .

غمغمت (سلوى) :

- ربّما .

ثم هتفت :

- بم تفسرين هذا إذن ؟

عقدت (نشوى) حاجبيها ، وهى تتطلّع فى حيرة إلى عدد من الآليين ، ينزلقون على إطاراتهم المطاطية فى صمت ، وكل منهم يحمل مدفعه ، وقالت :

- الأمر يبدو كما لو أنهم يتسللون لمفاجأة قوة ما .

أمسكت (سلوى) يد ابنتها فى قوة ، وهى تقول فى انفعال :

- إنه هجوم يا (نشوى) .. خذيها كلمة من أمك .. إنه هجوم .

لم تكن (نشوى) واثقة تمامًا من رأى أمها ، ولكنها على كل الأحوال كانت تشعر بالقلق ..

وبالخوف ..

خوف مبهم عجيب ..

ورهيب .

★ ★ ★

« رهيب .. رهيب .. »

ردّد الضابط الأوّل تلك الكلمة ، وهو يشعر بغثيان شديد ، وارتياع لاحد له ، فى حين حدّق القائد فى تلك الأجسام البشرية ، الممدّدة داخل مبرّد ضخم ، وقد ثقب بعضهم جماجمها ، وانتزع أجزاء من أمخاخها ..

وكانت تلك الأجسام مألوفة ..

كانت أجساد الطيارين ، الذين كان الآليون يأخذونهم من قاعة الأسر يوميًا ..

وفى اشمئزاز رهيب ، هتف القائد :

- أى عبث شيطانى هذا ؟ .. أى عقل جهنمى مريض فعل ذلك ؟

هتف أحد الرجلين المصاحبين له :

- إننا لم نكن بالنسبة إليهم سوى حيوانات تجارب يا سيِّدى .. مجرَّد حيوانات تجارب .

كان المشهد رهيبًا بحق ، مما ألجم ألسنتهم لحظات ، بعد عبارة الرجل ، قبل أن يهتف القائد فى غضب حزين :

- لن ينجو المسئول بفعلته هذه .. سنجبره على دفع الثمن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت صرخة ألم من الخارج ، وصاح أحد الرجال :

- هجوم جديد يا سيِّدى .

كان الآليون قد شنوا هجومهم المباغت على الطيارين ، والتفوا حولهم التفافة قوية ، وراحوا يمطرونهم بأشعه مدافعهم بلا رحمة ..

واندفع القائد وضابطه ومساعداه ، لينضموا إلى رفاقهم ، فى تلك الحرب العنيفة ..

وسقط الطيارون الأبطال ..

وسالت الدماء الطاهرة على أرض الممر ، والآليون يشنون هجومهم فى قوة وشراسة لاحد لها ..

وأخيرًا شعر القائد بعدم جدوى القتال ، وغصّ حلقه بالكلمة فى مرارة ، وهو يهتف :

- حسنًا .. إننا نستسلم .

قالها متخذًا ذلك القرار المؤلم ؛ لإنقاذ رجاله الستة ، الذين بقوا على قيد الحياة ، بعد أن بدا النصر مستحيلًا ..

وعلى الفور ، أحاط الآليون بالقائد وضابطه ، ورجاله الستة ، وصوّبوا إليهم مدافعهم ، والضابط الأوّل يقول فى مرارة :

- كانت محاولة فاشلة ، أكثر مما ينبغى .

غمغم القائد ، وهو يكاد يبكى :

- كان لابد أن نحاول .

قال الضابط الأوّل :

- لقد فقدنا الجميع تقريبًا .

أجابه القائد فى عصبية ، فرضتها محاولته كبت دموع مرارته :

- من يدرى ؟ .. ربما كان الراحلون هم الأفضل حظًّا .

ارتفع فى تلك اللحظة ذلك الصوت العميق ، الذى يأتى من اللامكان ، وهو يقول بلكنته الأجنبية العجيبة :

- أحضروا القائد ، وليتم دفن الموتى بالاحترام الواجب .

سرى التوتر فى جسد القائد ، وهو يبحث عن صاحب الصوت ، هاتفًا :

- ماذا تريد منى ؟

لم يتلق أى جواب ، فى حين دفع الآليون أمامهم باقى الرجال ، وتركوه لأحدهم ، الذى صوّب إليه مدفعه ، وردّد بصوته الآلى :

- تقدّم .

سار القائد أمامه مستسلمًا ، وهو يشعر بمرارة شديدة فى حلقه ، وقاده الآلى عبر شبكة جديدة من الممرات ، حتى باب معدنى ضخم ، توقفا أمامه ، والآلى يقول :

- حضر الرجل المطلوب .

استجاب الباب لصوت الآلى وإشارته ، وانفتح فى بطء ، كاشفًا قاعة كبيرة ، اتسعت عينا القائد فى دهشة بالغة ، وهو يتطلّع إليها ..

كانت قاعة حديثة متكاملة ، لاختبارات الطيران ..

وفى دهشة عارمة ، خطا القائد إلى القاعة ، فى حين بقى الآلى خارجها ، وأغلق الباب خلفه فى بطء ، ثم ارتفع ذلك الصوت العميق ، يقول :

- إنه دورك .

قال القائد فى عصبية :

- دورى لماذا ؟

أجابه الصوت :

- لتنال شرف قيادة النموذج الثانى من المقاتلة (م - ١) .. هذا لو اجتزت الاختبارات بنجاح .

قال القائد فى حدة :

- وما هى (م - ١) هذه ؟

أجابه صاحب الصوت ، بلهجة أكثر عمقًا :

- إنها الطليعة .. طليعة جيش الإمبراطورية الجديدة العظمى .

وهكذا كشف صاحب الصوت عن طموحه الحقيقى ، وعن خطته الاستعمارية لحكم الأرض ..

وعن جنونه ..

جنونه المطبق ..

★ ★ ★

حدّق (نور) فى وجه (مشيرة محفوظ) لحظة فى دهشة ، قبل أن يسألها فى انفعال شديد :

- لماذا قلت هذا يا (مشيرة) .. لماذا قلت : إنه ليس بشريًا ؟

لوّحت بكفيها ، هاتفة :

- وجهه .. وجهه يا (نور) .. يا إلهى ! لن أنسى مشهد ذلك الرأس الكبير أبدًا ..

قال فى انفعال :

- صفيه لى يا (مشيرة) ..

أجابته وانفعالها يتصاعد :

- ضخم وكبير ، يشبه بيضة هائلة مقلوبة .. لقد التقطت له صورة .. هل رأيت الصورة ؟

غمغم :

- ليس تمامًا .

أخفت وجهها بكفيها ، وهى تقول :

- لن أنسى هذا أبدًا .. لقد رأيته على ضوء مصباح التصوير فحسب ، ولكن صورته انطبعت فى ذهنى تمامًا .

ارتفع فجأة أزيز قوى ، جعلها تنتفض هاتفة فى ذعر :

- ماذا حدث ؟

اندفع كبير الأطباء إلى الحجرة ، وأشار إلى جهاز رسم موجات المخ ، الذى يطلق هذا الأزيز ، وقال :

- كفى أيها الرائد .. هذا يكفى اليوم ، فلقد بلغ جهاز مراقبة المخ منطقة الخطر .

كان (نور) يرغب فى معرفة المزيد ، عما رأته (مشيرة) ، ولكن قول كبير الأطباء ، وذلك الذعر الذى يملأ نفسها جعلاه يقول :

- لا بأس .. لا بأس .

ثم نهض مربتًا على كتف (مشيرة) ، وهو يقول متعاطفًا :

- انفضى هذه الصورة عن ذهنك يا (مشيرة) ، ولا تحاولى التفكير فيها طويلًا .

تمتمت مرتجفة :

- أتمنى هذا .

ربّت على كتفها مرة أخرى ، واستدار لينصرف ، فهتفت به :

- لاتنس وعدك .

التفت يسألها فى حيرة :

- أى وعد ؟



وقفزت يده إلى مسدسه ، عندما شاهد ذلك الشاب الجامد الملامح ، الذى خرج من حجرة (نشوى) ، واتجه إليه فى هدوء وثبات ..

قالت فى حزم :

ـ لقد وعدتنى بالحصول على كل التفاصيل ، عندما ينتهى الأمر .

أدهشه هذا الاهتمام البالغ بعملها ، فابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ اطمئنى .

غادر المستشفى وهو يشعر بالقلق ، من حديث (مشيرة) عن ذلك الشىء ، الذى وصفته بأنه ليس بشريًا ، وانطلق بسيارته عائدًا إلى منزله ، وهو يتساءل عما يمكن أن يكون ..

أهو مخلوق من عالم آخر ؟ ..

أم دمية آلية ؟ ..

وما سر هذا الرأس الكبير ، الذى يشير الجميع إليه ؟ ..

رسم ذهنه صورة لمخلوق من عالم آخر ، له رأس ضخم ، يمتلك القدرة على السيطرة على عقول الجميع ، ولكن الصورة أفزعته ، فردد فى خفوت :

ـ أتعشم أن يكون الجميع على خطأ .

أوقف سيارته أمام منزله ، ودلف إلى المنزل فى حزن عميق ، ومرارة شديدة ، وهو يعلم أنه لن يجد زوجته وابنته فيه كالمعتاد ، وأدار عينيه فى المكان فى أسى ، وهو يتخيل (نشوى) جالسة أمام جهاز الكمبيوتر ، و (سلوى) تعدّ المائدة ، و ..

وفجأة انتبه إلى حركة طفيفة على مقربة منه ، فالتفت إلى مصدرها فى سرعة ، وقفزت يده إلى مسدسه ، عندما شاهد ذلك الشاب الجامد الملامح ، الذى خرج من حجرة (نشوى) ، واتجه إليه فى هدوء وثبات ..

وصوّب (نور) مسدسه إلى الشاب ، وهو يقول فى صرامة :

ـ من أنت ؟ وماذا تريد ؟

رفع الشاب يده فى بطء ، وقال بصوت آلى جامد :

- تحيا الإمبراطورية الجديدة .

كانت العبارة عجيبة ، ولكن (نور) انتبه على الفور إلى تلك الرنة المعدنية ، فى صوت الشاب ، وإلى ملامحه الجامدة ، فأدرك أنه أمام شخص آلى ، وأن العبارة التى نطقها قد تكون العبارة اللازمة ، لإسقاط عقله تحت السيطرة ، فأعاد مسدسه إلى جيبه ، وحاول أن يجعل عينيه تبدوان جامدتين ، وهو يردد عبارة الآلى :

- تحيا الإمبراطورية الجديدة .

لم يدر لماذا ردد العبارة نفسها ، ولا حتى ما إذا كان ترديدها مناسبًا أم لا ، ولكن يبدو أن عقله الباطن هو الذى اتخذ هذا الإجراء ، فقد قال الآلى :

- استسلم العميل أيها الإمبراطور .

وهنا انبعث من داخل الآلى ذلك الصوت العميق ، وهو يقول :

- أنحن أمام إمبراطورك أيها الرائد (نور) .

كان (نور) يبغض تمامًا فكرة الانحناء أمام أى بشرى ، إلا أن نجاح الخطة كان يقتضى منه الانصياع التام لذلك المسيطر ، فانحنى فى بطء ، ثم اعتدل مرة أخرى ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يسأله الصوت العميق :

- لماذا ذهبت إلى إدارة المخابرات العلمية اليوم ، أيها الرائد ؟

أجابه (نور) ، وهو يضع على وجهه ذلك القناع الجامد :

- إنه عملى .

سأله الصوت :

- هل من جديد ؟

أجابه (نور) وقلبه يخفق فى قوة ، عندما بلغ الأمر هذه النقطة ، التى كان يتمنى بلوغها :

- إنهم سيرسلون سربًا ثانيًا من العربات المدرَّعة ، إلى قاعدة جديدة ، غرب (وادى الملوك) بـ (الأقصر) ، ويحيطون هذا الأمر بمنتهى السرية .

سأله الصوت العميق :

- ومتى يتمّ هذا ؟

أجابه (نور) :

- صباح الغد .

- ران الصوت فترة طويلة ، حتى كاد (نور) يشعر بالقلق ، قبل أن يقول الصمت :

- هل من أمور أخرى ؟

أجاب (نور) :

- لا .

سأله صاحب الصوت بغتة :

- وهل ذهبت إلى أية أماكن أخرى ، بخلاف إدارة المخابرات العلمية ؟

بدا هذا السؤال أشبه بسؤال اختبارى لـ (نور) ، الذى خشى أن يكون هناك من يراقبه خلسة ، أو يكون لخصمه عيون داخل مستشفى الطوارئ ، فأجاب :

- نعم .. ذهبت لزيارة (مشيرة) فى المستشفى .

سأله :

- وهل أخبرتك بشىء ؟

أجابه (نور) ، وهو مضطر لقول الصدق فى هذه النقطة بالذات ، خوفًا من وجود أجهزة تسجيل أو مراقبة ، داخل حجرة (مشيرة) :

- حاولت أن تصف مارأته ، قبل أن تصاب ، فى مختبر الدكتور

(حجازى) ، ولكن عقلها لم يحتمل كل هذا الجهد ، فطلب منى الطبيب الانصراف .

ساد الصمت لحظات أخرى ، قبل أن يقول صاحب الصوت العميق :

ـ سينصرف الآلى الآن يا (نور) ، وبعد انصرافه بدقيقتين سيزول أثر السيطرة عن عقلك مؤقتًا ، وستنسى كل كلمة دارت بيننا .

استدار الآلى فى بطء ، فور انتهاء صاحب الصوت العميق من عبارته ، وغادر المنزل فى صمت ، ولم يلبث أن اختفى وسط المارة ، فتنفس (نور) الصعداء ، وتمتم فى خفوت :

ـ يا إلهى ! .. لقد نجحنا .

كاد يصرخ هاتفًا فى سعادة ، لولا خشيته من أى نوع من المراقبة السرية ، خاصة وهو يجهل ما الذى كان ذلك الآلى يفعله ، فى حجرة (نشوى) ، وقرّر أن يتصرّف طيلة الوقت ، كما لو كان قد نسى بالفعل كل ما يتعلّق بالأمر ، ولكن عقله انتبه فجأة إلى نقطة بالغة الخطورة ..

لقد أخبر خصمه أن (مشيرة) تحفظ صورته ، وتمتلك القدرة على وصفه ..

وخصمه لن يسمح بمثل نقطة الضعف هذه ..

وهذا يعنى أن (مشيرة) تواجه خطرًا ..

خطرًا حقيقيًا ..

★ ★ ★

انهار قائد قاعدة (أسوان) تمامًا ، بعد تلك الاختبارات الرهيبة ، التى واجهها فى تلك القاعة الضخمة ، وراح قلبه يخفق فى عنف ، وهو يرقد فوق منضدة فحص كبيرة ، مستسلمًا لاثنين من الآليين ، يقيدان معصميه وكاحليه إلى المنضدة فى إحكام ، دون أن يقاومهما ..

كان يرغب من أعماقه فى مواجهتهما ، والدفاع عن نفسه بكل

ضراوة ، ولكن ذلك الإرهاق الشديد كان يحيط بكل خلية منفردة من خلاياه ، إلى الحد الذى يعجز معه عن رفع سبابته فى وجه فأر صغير ..

وكان يشعر برغبة هائلة فى النوم ..

لقد اجتاز عددًا ضخمًا من الاختبارات ، نجح فى اجتيازها كلها ، فيما عدا اختبار السرعة والمناورات ، التى تحتاج إلى لياقة بدنية عالية ، يفتقر هو إليها ، بعد عامين من القيادة ، قضاهما دون ركوب طائرة واحدة ..

ثم أن تغيير الاتجاه بزاوية شبه قائمة ، وبهذه السرعات الفائقة ، كان يحتاج إلى دورة دموية قوية ، وقلب صحيح سليم ..

وانتهى الآليان من تقييده ، ثم تراجعا وأحدهما يقول :

ـ تم إعداد العنصر الاختبارى الجديد .

قالها واستدار مغادرًا الحجرة كلها مع زميله ، تاركين الصمت خلفهما ..

ومع ذلك الصمت التام ، تراخى جفنا القائد ، وبدأ عقله يستسلم للنوم فى بطء ..

وفجأة سمع من خلفه صوت باب يُفتح ، ووقع أقدام قوية تقترب ..

حاول أن يدير رأسه إلى الخلف ، لرؤية ذلك القادم ، إلا أن وضعه كان يمنعه من ذلك تمامًا ، فأرهف أذنيه جيدًا ، ولكن وقع الأقدام توقف على قيد متر واحد منه ، وسمع صوتًا عميقًا يقول :

ـ لقد فشلت فى الاختبارات .

كان يعرف هذا الصوت جيدًا ، فهتف وهو يبذل جهدًا أكبر لرؤية صاحبه :

ـ يا إلهى ! .. إنه أنت .. أنت من أسرنا هنا .

لم يبد أن صاحب الصوت يسمعه ، وهو يواصل بصوته العميق :

ـ والفشل فى هذه الاختبارات يعنى أنك لا تصلح لقيادة النموذج الثانى من (م ـ ١) ، وأنه لم تعد لك فائدة هنا .

شعر القائد بتوتر بالغ ، وهو يقول :

ـ ومن قال إننى مستعد لإفادتك ، على أية صورة ؟

تابع صاحب الصوت العميق ، متجاهلا التعليق تماما :

ـ وكل من يدخل حجرة اختبارات الطيران يصبح ذا فائدة لى ، فإما أن ينجح ، ويصبح قادرا على قيادة النموذج ، أو يفشل ، فيتم نقله إلى هنا ، و ..

انتفض جسد القائد فى ذعر ، عندما أضاف الصوت العميق :

ـ وأواصل معه تجاربى حول المخ البشرى .

استعاد ذهن القائد صورة أجسام زملائه ، الراقدين داخل المبرِّد الكبير ، وقد انتزعتْ أمخاخهم ، وهتف :

ـ أيها الحقير .. أيها القذر .. لماذا تفعل بنا هذا ؟ .. لماذا ؟

سمع وقع الأقدام يقترب منه مرة أخرى ، فتابع فى ثورة :

ـ أراهن أنك مجنون .. مجرد مجنون .

دخل الوجه مجال رؤيته ، فى تلك اللحظة ..

واتسعت عيناه فى دهشة ..

وألجمت المفاجأة لسانه وهو يتطلع إلى ذلك الرأس الضخم ، والعينين الوحشيتين ، اللتين تطلان عليه ..

ثم بدأ ذلك المنشار الآلى عمله ..

واقترب من جمجمته ..

وعندما أطلق القائد صرخة الألم الرهيبة ، التى انبعثت من أعمق أعماق نفسه ، كان كمن يُعلن أن صاحب الرأس الضخم والصوت العميق مستعد للمضى فى عمله البشع بلا توقف ..

وبلا حدود ..

★ ★ ★

لم تستطع (مشيرة) النوم ، فى هذه الليلة ..

كان (نور) قد أنعش ذاكرتها ، وأعاد إليها صورة ذلك المخلوق الرهيب ، الذى أضاء مصباح التصوير وجهه ، فى مختبر الدكتور (حجازى) ..

وامتلأ قلبها بالخوف ..

إنها لم تر أبدًا شيئًا كهذا ..

وتساءلت عما إذا كان ذلك الذى رأته وحشًا ، أم مخلوقًا من عالم آخر ..

وفى دهشة سألت نفسها عن حجم المخ ، الذى يملأ كل هذه الجمجمة ..

ثم خُيِّل إليها أنها رأت شيئًا ما فى هذا الرأس ..

رأته لجزء من الثانية ، فى أثناء وميض المصباح ، ولكنه ترك أثرًا ما فى عقلها ..

اعتصرت ذهنها ، فى محاولة لتذكر ذلك الشىء ، ولكن عقلها عجز تمامًا عن تذكُّره ، فتمتمت :

ـ لقد رأيت هذا حتمًا ، ولكن ما هو ؟

قطع محاولاتها صوت طرقات هادئة ، على باب حجرتها ، فرفعت رأسها إلى الباب ، قائلة :

ـ ادخل .

دفع كبير الأطباء الباب ، ودخل إلى الحجرة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ مساء الخير يا أشهر صحفية فى (مصر) .. لماذا بقيت مستيقظة حتى الآن ؟

لوَّحت بكفها ، قائلة :

ـ ذهنى منشغل ببعض الأمور .

غمغم وهو يجلس إلى جوارها :

ـ أعلم هذا .

سألته فى دهشة :

ـ وكيف تعلم ؟

أشار إلى رسام إشارات المخ ، المعلق فوق رأسها ، وقال :

ـ لدى شاشة فى حجرة مكتبى ، تنقل إلىّ كل تغيير يحدث فى هذه الشاشة .

تطلّعت إلى الشاشة لحظة فى حيرة ، وقالت :

ـ ولماذا يحدث التغيير فى هذه الشاشة ؟

أجابها مبتسمًا :

ـ إنها تنقل إشارات مخك طوال الوقت ، وتنقل أى تغيير يحدث فى هذه الإشارات ، وكل انفعال من انفعالاتك يؤدى إلى حدوث تغيير مختلف فى الإشارة ، ومهمتنا هى دراسة هذه التغييرات المختلفة ، وفهم ماتشير إليه .

تمتمت فى دهشة ، وهى تتابع تلك المنحنيات المنتظمة ، التى ترسمها الشاشة :

ـ حقًا .

ثم التفتت إليه ، تسأله :

ـ ولكن كيف تنقل هذه الشاشة إشارات مخى ، دون أن تتصل برأسى ؟

أجابها :

ـ إنها تنقل الذبذبات التى يطلقها المخ ، بعد أن تستقبلها عبر كل خلايا جسدك ، بجهاز يتصل بالفراش مباشرة ، وهذه الوسيلة حديثة للغاية ، وتختلف تمامًا عن الوسائل القديمة ، التى كانوا يتبعونها فى القرن العشرين ، عندما كانت أسلاك الجهاز تتصل بالرأس ، فى عدة نقاط .

دخل أحد رجال الأمن إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وقال :

ـ أأنت هنا يا سيدى؟ .. لقد شاهدت الحجرة مضاءة ، فأتيت لتفقد الأمر .

ابتسم له كبير الأطباء ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. يسعدنى أنك تؤدى عملك هكذا .

أشار رجل الأمن إلى النوافذ ، وقال :

ـ هل تسمح لى بتفقد إجراءات ووسائل الأمن .

أجابه كبير الأطباء :

ـ بالطبع .

راح رجل الأمن يتفقد النوافذ ، فى حين سألت (مشيرة) كبير الأطباء :

ـ وهل تستطيع معرفة انفعالاتى بالضبط ، من متابعة هذه الشاشة ؟

ألقى نظرة على الشاشة ، وقال :

ـ بالطبع .. إنك تشعرين الآن بالشك فى كلامى .. أليس كذلك ؟

هتفت :

ـ إنه مجرد تخمين .. لا .. حاول قراءة الشاشة مرة أخرى ، وسأقنع نفسى باتخاذ انفعال آخر .

ضحك قائلًا :

ـ لا بأس بها كلعبة طريفة ، لتمضية بعض الوقت .

تطلّع لحظة إلى الشاشة ، ثم قال فى دهشة :

ـ عجبًا ! .. هذا الانفعال يبدو أشبه برعب شديد ، أو ..

كان ينقل بصره لحظتها إلى وجهها ، فبتر عبارته عندما رأى الرعب يرتسم بالفعل على ملامحها ، وهى تحدّق فى نقطة ما خلفه ..

ثم هوت تلك الضربة العنيفة على رأسه ..

ضربة قوية ، كادت تحطم جمجمته ، فأفقدته الوعى على الفور ، وسقط عن مقعده ، فى حين أطلقت (مشيرة) شهقة ذعر ، وهى تحدّق فى وجه رجل الأمن ، الذى اكتسى بشراسة كبيرة ، وهو ينظر إليها بعينين جامدتين ، ويردّد نفس الكلمة الرهيبة :

ـ اقتل .. اقتل ..

أطلقت (مشيرة) صرخة رعب هائلة ، ورفع رجل الأمن مسدسه نحوها فى سرعة ..

وضغط الزناد .

* * *

١٤ ـ الخطة الثانية ..

جلس الضابط الأوَّل فى ركن القاعة الكبيرة ، التى بدت أضخم مما كانت عليه ، بعد أن انخفض عدد الأسرى بها إلى سبعة ، ووضع همومه كلها فى جبهته ، التى استندت على راحته ، في وضع ثابت ، لم تهتز منه شعرة واحدة ، طيلة ساعة كاملة ، حتى اقترب أحد الطيارين الستة الباقين منه ، وقال فى خفوت :

ـ لم تعد هناك فائدة من الحزن .

رفع الضابط الأعلى عينيه إليه ، وأطلّ من العينين مرارة الدنيا كلها ، وهو يتمتم فى صوت يائس حزين :

ـ الحزن ؟

قال الطيّار فى حزم :

ـ ولا من الخوف .

هزّ الضابط رأسه فى أسى ، وقال :

ـ إنك لم تر ما رأيت يا رجل .. لم تر ذلك المشهد البشع ، الذى رأيته أنا والقائد ، وزميلاك الراحلان ..

قالها وذهنه يتصوّر القائد ، وقد انضمّ جسده إلى أجساد الطيارين الباقين ، داخل المبرِّد الضخم ، برأسه المفتوح ، ومخه المنتزع ، فأغلق عينيه فى مرارة ، مستطردًا :

ـ صدقنى أو لا تصدّق يا فتى ، ولكننى لا أشعر بالخوف من الموت ، وإنما أشعر بالمرارة والعار ؛ لأنه سيأتى على هذا النحو .. الآن فقط أدركت معنى عبارة القائد ، حينما قال : إن أحدًا لا يعلم من منا أفضل حظًا .. نحن أم أولئك الذين لقوا مصرعهم فى القتال .

قال الطيّار :

ـ هم الأفضل حظًا بالطبع .

وافقه الضابط بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ بالتأكيد .. لقد قضى كل منهم نحبه أثناء القتال من أجل حريته على الأقل ، أما نحن فسنموت كأى فأر تجارب حقير .

قال الطيّار فى صرامة :

ـ ومن سيسمح لهم بهذا ؟

التفت إليه الضابط فى حيرة ، فأخرج الطيّار من جيبه كرة صغيرة ، وضعها أمام عينى الضابط ، هامسًا :

ـ لقد سرقت هذه .

سأله الضابط :

ـ وما هى ؟

أجابه الطيّار هامسًا ، وهو يعيد الكرة إلى جيبه فى حرص :

ـ إنها كرة توليد الطاقة ، الخاصة بأحد تلك المدافع الإشعاعية ، التى استولينا عليها أثناء القتال .. لقد أدركت طبيعتها ، وانتزعتها سرًا ، قبل تسليم مدفعى للآليين .

سرت موجة توتّر فى جسد الضابط ، وهو يقول :

ـ وما الذى ستفعله بها ؟

تلفّت الطيّار حوله ، وقال :

ـ أفضل ما يمكن فعله .

ثم مال عليه ، مستطردًا :

ـ سأنسف بها أوّل آلى يأتى فى طلبى .

التقى حاجبا الضابط ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم قال :

ـ لا .. لدى خطة أفضل .

تطلّع إليه الطيّار فى تساؤل ، فأضاف فى حزم :
ـ هذه الكرة الصغيرة ستسمح لنا بالقيام بمحاولة ثانية للهروب .
وازداد التصميم فى صوته ، وهو يضيف :
ـ وللحرية ..

★ ★ ★

استمع الدكتور (حجازى) فى اهتمام إلى (سلوى) ، قبل أن يومئ برأسه ، ويهمس فى انفعال :
ـ نعم .. أنا أيضًا شعرت بذلك القتال ، ولكننى لا أظنه محاولة هجوم ، وإنما هو نوع من التمرد .
سأله (رمزى) :
ـ أى تمرّد ؟ .. أتعتقد أنه من الممكن أن يتمرّد هؤلاء الآليون على صانعهم ؟
هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :
ـ لست أقصد هؤلاء الآليين ، ولكننى أقصد بعض الأسرى الآخرين غيرنا ، فلا يوجد سبب واحد ، يجعلنى أقتنع أننا الأسرى الوحيدون هنا .
قال (محمود) :
ـ ولا يوجد سبب واحد لافتراض العكس .
أشار الدكتور (حجازى) إلى (سلوى) ، وقال :
ـ بل يوجد ما شاهدته (سلوى) و (نشوى) .
قال (محمود) :
ـ إنه مجرّد افتراض ، فمن المحتمل بالفعل أن يكون هذا مجرّد تدريب على صد أى هجوم محتمل ، وهذا هو الأرجح ، فقد انتهى كل شىء الآن ، والصمت يسود المكان ، كما عادت تحركات الآليين إلى طبيعتها .
قال الدكتور (حجازى) :

ـ ربما تم قمع التمرّد .
هزّ (محمود) كتفيه ، وقال :
ـ ربما .
ثم تلفت حوله ، وهمس :
ـ ولكن هذا يضع فى رأسى فكرة جيّدة .
ابتسم (رمزى) ، وهو يقول فى حماس :
ـ لو أنها نفس الفكرة ، التى تدور فى رأسى ، فأنا أؤيدك بلا تردد .
سأله الدكتور (حجازى) فى خفوت :
ـ ما هذه الفكرة بالضبط ؟
همس (محمود) فى حزم :
ـ فكرة التمرّد .
أجابت (سلوى) فى سرعة :
ـ أوافق .
أما الدكتور (حجازى) فقد تراجع فى حذر ، وانعقد حاجباه وهو يدرس الأمر جيدًا ، قبل أن يقول فى تردّد :
ـ لن يكون ذلك سهلًا .
أجابه (محمود) فى حزم شديد :
ـ المهم أن نحاول .
وقالت (سلوى) فى حماس :
ـ وقد ننتصر بإذن الله .
صمت الدكتور (حجازى) لحظات أخرى ، ثم قال :
ـ لا بأس .. أظنها فكرة جيّدة .
ثم همس :

ـ ولكن كيف ؟

مال (محمود) نحوه ، وقال :

ـ سنستخدم خبراتنا ، وكل الأجهزة الموجودة هنا ، والتى تصوَّر خصمنا ان كلًا منها لن يسبِّب أية أضرار .. سنثبت له أن الاتحاد قوة .

التفت الدكتور (حجازى) إلى (سلوى) ، وسألها :

ـ هل توافقين ؟

أجابته بلا تردد :

ـ بالطبع .

سأل (رمزى) :

ـ وأنت ؟

قال (رمزى) فى حماس :

ـ أتظننى أرفض عرضًا كهذا ؟

هزَّ رأسه ، قائلًا :

ـ فى هذه الحالة أوافق أيضًا .

ثم رفع عينيه إلى (نشوى) ، التى وقفت إلى جوار النافذة ، وهتف :

ـ (نشوى) .. نحتاج إلى رأيك فى أمر ما .

ولكن (نشوى) لم تسمعه ..

كان ذهنها كله منهمكًا فى دراسة خطة أخرى ، وهى تفحص إطار النافذة الصغيرة فى اهتمام ..

وكانت لديها خطتها الخاصة ..

خطة للفرار ..

وللنصر ..

★ ★ ★

تجمَّدت (مشيرة) فى مكانها برعب هائل ، وهى تحدِّق فى المسدس المصوَّب إليها ، وانحبست صرخة ثانية فى حلقها ، فى حين ردَّد رجل الأمن فى آلية مخيفة :

ـ اقتل .. اقتل .

تعلَّقت عيناها بسبَّابته ، التى بدأت تعتصر الزناد ، وخُيِّل إليها أن هذا هو آخر مشهد تراه عيناها ، فى هذه الدنيا ..

ثم انطلق خيط من الأشعة ، يشقّ فراغ الحجرة ..

وانطلقت الصرخة الحبيسة من حلق (مشيرة) ..

ولكن الأشعة لم تصب رأسها ..

لقد انطلقت من خارج الحجرة ، عبر الباب المفتوح ، وشقَّت الفراغ كله ، فى جزء من الثانية ، لتضرب مسدس رجل الأمن ، وتطيح به بعيدًا ..

وقبل أن يرتفع حاجبا (مشيرة) فى دهشة ، لتلك النجدة المفاجئة ، التى أتت دون سابق إنذار ، اندفع شاب عبر الباب ، وانقضَّ كالفهد على رجل الأمن ..

وهنا أطلقت (مشيرة) صرخة ثالثة ، تحمل اسم الشاب ..

اسم (نور) ..

ومع انقضاضته ، سقط (نور) مع رجل الأمن أرضًا ، ولكن الرجل كال له لكمة عنيفة ، وهو يردِّد فى شراسة :

ـ اقتل .. اقتل .

تفادى (نور) اللكمة فى مهارة ، وهوى على معدة رجل الأمن بلكمة كالصاعقة ، أعقبها بأخرى فى فكه ، وثالثة فى أنفه ، فتراجع الرجل مترنحًا ، ثم عاود انقضاضته على (نور) ، الذى قفز جانبًا ، وترك الرجل يرتطم بفراش (مشيرة) ، التى أطلقت صرخة رابعة ، امتزجت بأزيز جهاز مراقبة المخ ، الذى راح مؤشره يرسم منحنيات عنيفة ، فى حين

هوى (نور) على مؤخرة عنق رجل الأمن بضربة قوية ، ثم قفز إلى الخلف ، وترك الرجل يعتدل ، وهو يترنح ، ثم انقضّ عليه مرة أخرى ..

وفى هذه المرة أمسك الرجل (نور) من وسطه ، ورفعه عاليًا ، ثم ضربَ به الحائط فى قوة ..

وشعر (نور) بآلام شديدة فى ظهره ، ورأى الرجل ينقضّ عليه مرة أخرى ، فانزلق فى خفة بين قدميه ، وهبّ واقفًا على قدميه ، واستقبل وجه الرجل ، الذى يلتفت إليه ، بلكمة كالقنبلة ، تراجع لها الرجل فى عنف ، وارتطم ظهره بالحائط ، ثم اندفع مرة أخرى إلى الأمام ، ليتلقى لكمة أخرى فى أنفه ، وثالثة فى معدته ، ورابعة على مؤخرة عنقه ، عندما انثنى إلى الأمام ..

وفى هذه المرة سقط الرجل على وجهه فاقد الوعى ..

وهتفت (مشيرة) :

- (نور) .. كم تسعدنى رؤيتك هذه المرة .

قفز يلوى ذراعى الرجل خلف ظهره ، ويحيط معصميه بالأغلال الإليكترونية ، وهو يقول :

- أنا أيضا تُسعدنى رؤيتك على قيد الحياة .

هتفت :

- هل كنت تتوقع هذه المحاولة ؟

أجاب وهو يعاونها على النهوض :

- إلى حد ما .

صاحت غاضبة :

- إلى حد ما ؟! .. هل كنت تعلم أن أحدهم سيحاول قتلى ، وعلى الرغم من هذا تركتنى دون حراسة .

قال فى صرامة :

- الحراسة لن تفيد ، فى هذه الحالة .

هتفت :

- لن تفيد ؟! .. ما الذى تعنيه يا (نور) ؟ .. ما الذى تخفونه هذه المرة ؟

صاح متوترًا :

- اصمتى يا (مشيرة) .. كفى .

تطلّعت إليه فى دهشة ، فتابع فى عصبية :

- من حسن الحظ أننى وصلت فى الوقت المناسب ، ونجحت فى إنقاذ حياتك ، ولقد اتصلت بالإدارة ، وسيرسلون سيارة خاصة إلى هنا ، لنقلك إلى الجناح الطبى الخاص ، فى إدارة المخابرات العلمية ، حيث ستستكملين علاجك هناك ، تحت حراسة مشدّدة .

قالت غاضبة :

- ألم تقل إن الحراسة لن تفيد ؟

قال فى حدة :

- سأحرص على أن تصبح مفيدة .

رأى فى عينيها نظرة أدهشته ، فقال فى ضيق :

- الأمر لا يستحق كل هذا الخوف ، فسوف ..

قاطعته صائحة :

- احترس .

جاء تحذيرها متأخرًا بعض الشىء ، فقد تلقّى تلك الضربة العنيفة فى ظهره ، فاندفع إلى الأمام ، وارتطم بها ، وأسقطها معه على الفراش ، قبل أن يلتفت خلفه ، ويقع بصره على الحارس ، الذى استعاد وعيه بسرعة لم يتوقعها ، ووقف بأنفه المكسور ، والدم الذى يسيل على فكه ، ويداه

مقيدتان خلف ظهره ، فى حين قفزت قدمه تركل وجه (نور) ، وهو يهتف :

ـ اقتل .. اقتل ..

تلقى (نور) الضربة على ساعده هذه المرة ، وقفز جانبًا ، ليصدّ ركلة ثالثة من ركلات الحارس ، الذى بدا أكثر ثورة وشراسة من كل من واجههم (نور) قبل هذا ، ممن خضعوا لتلك السيطرة العقلية ، وأرجع (نور) هذا إلى طبيعة الحارس ، السابقة لخضوعه للسيطرة العقلية ، ودفعه هذا إلى إخراج مسدسه ، وتصويبه إلى الرجل ، الذى لم يبد أدنى مبالاة بالسلاح المصوّب إليه ، وإنما اندفع نحوه ، وكأنما يسعى للانتحار ، وهو يهتف :

ـ اقتل .. اقتل .

وضغط (نور) الزناد ..

لم يضغط زناد المسدس الأصلى ، وإنما ضغط ذلك الزناد الإضافى ، الذى ابتكره قسم الأبحاث ..

وتوقف رجل الأمن ، وهو يطلق صرخة ألم شديدة ..

وارتبك رسّام إشارات المخ ..

واختلّ منحنى رسّام القلب ..

وتراجعت (مشيرة) فى دهشة ..

إنها لم تشاهد شيئًا يخرج من مسدس (نور) ، وعلى الرغم من هذا فالرجل يصرخ فى ألم واضح ..

ووصل رجال الطوارئ فى هذه اللحظة ، وهتف أحدهم فى ذهول :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

وفى نفس اللحظة ركل رجل الأمن المسدس من يد (نور) ، وأطلق صرخة غاضبة قوية ، قبل أن يندفع برأسه نحو (نور) ، صارخًا :

ـ اقتل .. اقتل .. اقتل .

تفادى (نور) انقضاضة الرجل فى مهارة ، وتركه يواصل اندفاعه فى الفراغ ، حتى توقف ، وزاغت عيناه ، وهو يردّد نفس الكلمة :

ـ اقتل .. اقتل ..

وفجأة اندفع نحو النافذة ، فصرخ (نور) ، وهو يندفع نحوه :

ـ لا .. لا تفعلها .

ولكن الرجل قفز قفزة قوية ..

وأمام العيون الذاهلة ، اخترق رجل الأمن زجاج النافذة ، واندفع جسده خارجها ، ثم هوى من ارتفاع ستة طوابق ، دون أن يطلق صرخة واحدة ..

وارتجف جسد (مشيرة) ، عندما بلغ صوت الارتطام أذنيها ، والتصقت بالحائط ، وجحظت عيناها فى رعب ، وأطلق جهاز مراقبة مخها أزيزًا متصلًا قويًا ، وهى تقول :

ـ ماذا يحدث يا (نور) ؟ .. ماذا يحدث ؟

انحنى (نور) يلتقط مسدسه ، ويعيده إلى جيبه ، قائلًا فى مرارة :

ـ هذا جزء مما يحدث يا (مشيرة) .

هتفت فى هلع :

ـ جزء منه ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى أسف ، وهو يقول فى مرارة :

ـ نعم يا (مشيرة) .. كل ما رأيت لا يتجاوز جزءًا من الجحيم الذى ينتظر هذا الكوكب .. إننا نواجه جحيمًا حقيقيًا هذه المرة يا (مشيرة) .. جحيم بلا حدود ..

* * *

انهمكت (نشوى) لساعة كاملة ، فى خلخلة إطار النافذة الصغيرة المستطيلة ، فى حجرتها ، ثم ضغطت زجاج النافذة من أحد جانبيه فى حرص ، وجذبته من الجانب الآخر ، فانخلع الزجاج فى سهولة ، بعد إزالة

الإطار ، ووضعته (نشوى) جانبًا فى حذر ، ثم وقفت تتأمل فراغ النافذة ، للمرة العاشرة تقريبًا ..

كانت النافذة صغيرة بالفعل ، ولكن (نشوى) كانت واثقة من أنها تستطيع عبورها بجسدها النحيل ، فلم تضع وقتًا ، وصعدت فوق مقعد قريب ، ثم دفعت قدميها خارج النافذة ، وضمّت ذراعيها إلى بعضهما ، وجاهدت لتتزلق من الفراغ الضيق فى صعوبة ..

ولم يكن الأمر سهلًا ..

لقد شعرت بآلام فى مفصلى كتفيها ، وفى عضلات رقبتها وعامودها الفقرى ، ولكنها لم تتوقف عن المحاولة ، حتى انزلق جسدها إلى الخارج فجأة ، وهبطت على قدميها خارج الحجرة ..

وخفق قلبها فى عنف ، وهى تقف داخل الممر الكبير ، وتمنّت من أعماق قلبها ألا يظهر أحد الآليين فجأة ، وألا يكون هناك من يراقبها سرًا ، عبر دائرة هولوفيزيونية مغلقة ، أو مايشبه هذا ..

وفى خطوات سريعة ، تحرّكت (نشوى) عبر الممر ، حتى بلغت القاعة الكبيرة ، التى تحوى مصنع الطائرات الصغير ، فتجاوزتها فى سرعة ، وواصلت طريقها ، دون أن يعترضها آلى واحد لحسن الحظ ، حتى بلغت بابًا آخر ، فى نهاية أحد الممرات ..

وتوقفت (نشوى) لحظة أمام الباب المغلق ، ثم لم تلبث أن حسمت خوفها وتردّدها ، ودفعته فى رفق ، ثم أطلّت داخله ..

وارتجف جسدها كله فى رعب ..

وفى ذهول ، وبعينين بلغتا ذروة اتساعهما ، حدّقت (نشوى) فى ذلك المشهد الرهيب ، الماثل أمامها ..

كانت هناك منضدة جراحية كبيرة يقف أمامها مسخ شبه بشرى ، له نفس هيئة البشر ، فيما عدا رأسًا ضخمًا كبيرًا ، يبدأ من الجبهة ، ويرتفع كبيضة ضخمة مقلوبة ، بلا شعرة واحدة ، وبعروق زرقاء كبيرة ، امتدّت من الجبهة إلى الرأس ..



وأمام العيون الذاهلة ، اخترق رجل الأمن زجاج النافذة ، واندفع جسده خارجها ، ثم هوى من ارتفاع ستة طوابق ..

وكان هذا المسخ البشرى يفحص رأس الجسد البشرى ، المسجى أمامه ، فوق منضدة العمليات ..

لم يكن يفحص الرأس نفسه ، وإنما المخ ، الذى يبرز من طاقية الرأس المفتوحة ، فى مشهد بشع مخيف ..

وخفق قلب (نشوى) فى هلع ..

خفق كما لم يخفق من قبل ، وإن عجزت عيناها عن الابتعاد ، عن ذلك المشهد الرهيب ..

وفجأة شعرت بحركة خلفها ، فالتفتت فى سرعة ، ورأت ذلك الآلى يصوّب إليها مدفعه ، ويقول فى بروده المعدنى :

ـ من أنت ؟ .. محظور بلوغ هذا المكان .. أبرزى هويتك .

وفى حركة حادة ، التفت صاحب الرأس الكبير إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه الكثّان فى شدة ، وارتفعت يده نحو (نشوى) ..

وصرخت (نشوى) ..

لم تكن قد رأت ما فعله ذلك المخلوق من خلفها ، ولكنها صرخت .. آلام رهيبة هاجمت رأسها ..

صداع هائل ، كاد يحطّم دماغها كله ..

واستدارت (نشوى) تواجه صاحب الرأس الكبير ..

والتقت عيناها بنظراته الصارمة المخيفة ..

وتضاعفت الآلام مرات ومرات ..

وأطلقت (نشوى) صرخة رهيبة أخيرة ..

ثم سقطت فاقدة الوعى ..

وفى هدوء ، اتجه إليها صاحب الرأس الكبير ، وتأمّلها لحظة ، ثم أشار

إلى الآلى ، فعبر الحجرة إلى منضدة الجراحة ، ورفع جثة قائد القاعدة عنها ، ثم عاد يحمل جسد (نشوى) ، الفاقدة الوعى ، ويضعه فوق المنضدة ..

وفى هدوء ، اتجه صاحب الرأس الكبير إلى منضدة الجراحة ، وتحسّس جبهة (نشوى) ..

ثم بدأ عمله ..

* * *

١٥ - المطاردة ..

أشرقت شمس الصباح التالى على سماء صافية ، وألقت أشعتها الذهبية على (وادى الملوك) بـ (الأقصر) ، وانتشرت فى سرعة ونعومة فوق الرمال الصفراء ، التى تألقت كحبيبات من ذهب ، وسط الوادى التاريخى ، الذى يضمّ أروع آثار العالم ..

وعلى بعد كيلو متر واحد من الوادى ، تحرُك سرب العربات المدرّعة فى سرعة ، عبر الصحراء والجبال ، متجهًا إلى قاعدةعسكرية جديدة ، تبعد عشرة كيلو مترات فحسب ..

وعلى شاشة راصد خاص ، فى مطار (الأقصر) الحربى ، تابع القائد الأعلى مع (نور) مسيرة سرب العربات المدرّعة ، المعدّ للسير آليًا بالتحكّم عن بعد ، وقال القائد الأعلى فى قلق :

ـ أتظنه يهاجمها بالفعل ؟ .. لقد أقنعت القيادة بالتضحية بهذا السرب ، فى مقابل كشف أمر خصمنا المجهول .

أجابه (نور) :

ـ لو أنه يجهل حقيقة تحرّرى من سيطرته العقلية ، فسيهاجمها حتمًا ، إذ أن التدمير المستمر لكل ما يبرز من قواتنا ، هو وسيلته الوحيدة لإثبات قدراته ، واستعراض إمكاناته ، حتى تحين لحظة إعلان مطالبه .

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ لمَ لا يعلنها وينتهى الأمر ؟

أجاب (نور) :

ـ إنه ينتظر حتى تبلغ قوته الحد الكافى ، أو حتى ينتهى من صنع سرب كامل ، من طائرات (م ـ ١) .

التفت إليه القائد الأعلى فى جزع ، وهو يقول :

ـ سرب كامل ؟! .. أتظنه يسعى لهذا حقًا ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ سأتهمه بالغباء والحماقة ، لو لم يفعل .. لقد رأينا جميعًا كيف يمكن لطائرة واحدة ، من هذا الطراز ، مواجهة جيش صغير ، والتغلّب عليه بأكمله ، وكيف يمكنها تدمير قاعدة كاملة ، فى دقائق معدودة ، وخصمنا يمتلك طائرة من طراز (م ـ ١) ، ويرهب دولة كاملة بها ، فلم لا يسعى لصنع المزيد ، والسعى للسيطرة على العالم كله .

بدت الفكرة رهيبة للغاية ، مما جعل القائد الأعلى يتمتم :

ـ يا إلهى !

ثم هتف فى توتر :

ـ ألديك دليل على هذا يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى حسم :

ـ أظن اختطافه لطيّارى قاعدة (أسوان) أكبر دليل على هذا ، فمن العسير قيادة الـ (م ـ ١) آليًا ؛ بسبب سرعتها الفائقة ، ومناوراتها الحادة ، التى تحتاج حتمًا إلى طيّار بارع ، خلف أجهزة توجيهها ، لضمان استخدام كل قدراتها المتفوّقة ، ولهذا كان خصمنا فى حاجة إلى طيارين ، ولهذا أيضًا اختطف طيّارى القاعدة .. وهذا الاختطاف يشير إلى عدة نقاط هامة ، فهو يعنى أن خصمنا لا ينتمى إلى دولة أجنبية ، على الرغم من لكنته الغريبة ، وإلا اكتفى بطيّارى دولته ، كما قد يعنى أننا نواجه خصمًا منفردًا ، يعتمد فى قوته على قدرة متطوّرة فى التحكّم العقلى ، وعدد من الآليين .

استمع إليه القائد الأعلى فى اهتمام ، وقال :

ـ السؤال الحقيقى الآن هو عن طبيعة ذلك الخصم .. أهو بشرى ، أم مخلوق من كوكب آخر ؟

صمت (نور) لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ لا يمكننى إجابة هذا السؤال بصورة حاسمة يا سيّدى ، فلا يوجد دليل واحد ، حتى هذه اللحظة ، يمكنه حسم الأمر .

ثم عاد يتابع الشاشة ، مستطردًا :

ـ ولكن أتمنى أن تمنحنا خطة اليوم دليلًا كافيًا .

غمغم القائد الأعلى :

ـ أتمنى هذا .

تابعا الشاشة بعض الوقت فى صمت ، وهى تنقل إليهما المسيرة الرتيبة لسرب العربات المدرّعة الآلى ، قبل أن يقول القائد الأعلى :

ـ لقد اقترب السرب من القاعدة الهيكلية ، ولم يحدث الهجوم بعد .

تمتم (نور) ، وقد بدأ شعور بالقلق يتسلّل إلى أعماقه :

ـ ربما ينتظر حتى اللحظة الأخيرة ، أو ..

قاطعه القائد الأعلى بغتة ، وهو يشير إلى الشاشة ، هاتفًا :

ـ انظر .

كان يشير إلى نقطة سوداء ، بدت على الشاشة ، وهى تقترب من السرب فى سرعة ..

والتقى حاجبا (نور) فى شدة ..

لم يكن هذا الالتقاء بسبب تلك النقطة السوداء ، التى أدرك على الفور أنها المقاتلة الجديدة ، وإنما بسبب نقطة سوداء أخرى ، بدت على الطرف الآخر للشاشة ، وهى تقترب من السرب بدورها ..

ثم اتضحت الصورة ..

وتحقّقت مخاوف (نور) ..

لم يتعرّض السرب لهجوم مقاتلة من طراز (م ـ ١) هذه المرة ..

وإنما إلى هجوم مقاتلتين ..

وشهق القائد الأعلى ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! لقد صنع نموذجًا ثانيًا من المقاتلة ..

لم ينبس (نور) ببنت شفة ..

كان يتابع ما يحدث على الشاشة فى توتر بالغ ، وقد هاجمت المقاتلتان السرب من الجانبين ، وأمطرتاه بقذائفهما الليزرية ، وصواريخهما القوية ، ثم انفصلت إحداهما ، وانقضّت على القاعدة الهيكلية ، ونسفت مبنى قيادتها بصاروخ مباشر ، ثم دارت حول نفسها وعاودت الانقضاض على باقى المبانى المتناثرة ، حول المبنى الرئيسى ، فى نفس الوقت الذى واصلت فيه المقاتلة الأولى سحقها لما تبقّى من السرب ، حتى أبادته عن آخره ..

وهتف القائد الأعلى ، فى توتر شديد :

ـ لقد بدأ مرحلة صنع المقاتلات بالفعل .

ـ أما (نور) ، فقد التفت إلى مهندس برج المراقبة ، وقال :

ـ ألغ كل أوامر القمر الصناعى الأخرى ، واجعله يراقب المقاتلتين ، فى رحلة العودة .

أطاعه المهندس ، وأرسل أوامره إلى قمر المراقبة الصناعى ، بحيث تتركّز مهمته على مراقبة المقاتلتين فحسب ..

كانت هذه هى فكرة (نور) ، فما دامت أجهزة الرادار تعجز عن رصد (م ـ ١) وتتبعها ، فمن الأفضل استخدام وسيلة مباشرة لذلك ، وأفضل الوسائل ، فى هذه الحالة ، هى قمر تصوير جوى عادى ، من تلك الأقمار المعدّة لرصد الطقس وتقلباته ..

ومن مميزات هذه الأقمار ، أنها تستطيع تغطية مساحة هائلة فى نفس اللحظة ، ومراقبة أى جسم يدخل مجال رصدها ، مهما بلغت سرعته ..

ولقد انتهت المقاتلتان من هجومهما ، وانطلقتا مبتعدتين ، بعد أن رصد القمر الصناعى الهجوم ، وحدّد الهدف المطلوب مراقبته ..

وبدأت عملية المطاردة الإليكترونية ..

وفى انفعال جارف ، قال القائد الأعلى :

ـ إنها كارثة يا (نور) .. لو نجح خصمنا فى صنع ذلك السرب ، فسيعنى هذا انهيار تفوّقنا العسكرى تمامًا .

قال (نور) فى عزم وقوة :

ـ لن نسمح له بالتفوّق يا سيّدى .

لم تستمر مراقبة القمر الصناعى للطائرتين أكثر من دقائق معدودة ، ثم نقلت الشاشة صورة المقاتلتين ، وهما تهبطان بالقرب من أحد الجبال ، في الصحراء ، على بعد كيلو مترات من (وادى الملوك) ، فقال القائد الأعلى فى دهشة :

ـ عجبا !! .. أنكون قد أصبنا الهدف بصورة عشوائية يا (نور) .

غمغم (نور) فى انفعال :

ـ ما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى .

شاهد الاثنان جزءا من الجبل ينزاح في رفق ، كاشفًا عن مدخل نفق كبير ، عبرته المقاتلتان فى سرعة وخفة ، ثم عاد يغلق خلفهما فى هدوء ، فهتف القائد الأعلى :

ـ صدقت يا (نور) .. إنها رحمة الله (سبحانه وتعالى) بنا .. ياإلهى ! .. إذن فهذا هو مخبأ خصمنا اللعين .. على قيد عدة كيلو مترات من (وادى الملوك) .

ثم اندفع نحو الهاتف ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـ لقد وقع أخيرًا .. سأطلب من القيادة إرسال قوة لاقتحام المخبأ ، وإلقاء القبض على ذلك الـ ..

هتف (نور) فى سرعة :

ـ مهلا يا سيّدى .. لا يمكننا هذا .

توقف القائد الأعلى ، وهو يسأله فى دهشة :

ـ ولماذا لا يمكننا هذا يا (نور) ؟ .. لقد كشفنا المخبأ بالفعل ، وكل

دقيقه ضائعة تعنى المزيد من قوة خصمنا ، فلماذا ننتظر ؟

أجابه (نور) :

ـ لأننا لا نستطيع المخاطرة بهجوم واضح صريح يا سيّدى .. إذ لو كشف خصمنا هجومنا ، ولاريب أن لديه وسائل مراقبة وحماية قوية ، فقد ينجح فى إطلاق المقاتلتين ، وإبادة قوة الهجوم تمامًا ، وبعدها لا أحد يدرى كيف سينتقم منا .

بدت الفكرة منطقية ومقنعة ، بالنسبة للقائد الأعلى ، فصمت لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى ضيق :

ـ ماذا نفعل إذن ؟ .. إننا لن نقف مكتوفى الأيدى ، بعد ما توصّلنا إليه ..

قال (نور) :

ـ بالتأكيد يا سيدى ، ولكن هذه العمليات تحتاج إلى رجل واحد ، كما كانوا يقولون فى روايات الجاسوسية القديمة .. رجل يمكنه بلوغ الفخ ، دون أن يشعر به خصمنا ، ويتسلل إليه ، كما يستطيع إنقاذ المختطفين هناك ، أو تدمير كل شىء ، لو لزم الأمر .

سأله القائد الأعلى :

ـ وأين تجد مثل هذا الانتحارى ، الذى يمكنه المخاطرة بأداء كل هذا ، داخل عرين الخصم ، وهو يجهل حتى ما الذى سيواجهه هناك ؟

اعتدل (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ هنا .

تطلع إليه القائد الأعلى ، وهو يستطرد :

ـ أنا هذا الانتحارى يا سيّدى .

هتف القائد الأعلى معترضًا :

ـ لا .. لا يمكننى المخاطرة بفقدك يا (نور) ، فأنت واحد من صفوة

رجال المخابرات العلمية ، الذين يمتلكون عقليات فائقة ، وأمثالك لا ينبغى المخاطرة بهم أبدًا .

قال (نور) :

ـ ولكننى أفضل رجل ، لمثل هذه المهمة يا سيدى ، فأنا أعلم كل شىء عن المهمة ، وخصمنا ما زال يتصوّر أننى واقع تحت سيطرته ، كما أن لدى دافع قوى لنجاح المهمة ؛ إذ أن زوجتى وابنتى ، وفريقى كله أسير لدى الخصم ، أو هذا ما أتمناه .

تردد القائد الأعلى لحظات ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، مرددًا :

ـ لا بأس يا (نور) .. إننى أخاطر بكل شىء ، منذ بدأت هذه المهمة ، ولن يضيف هذا مخاطرة جديدة إلى الأمر .

ورفع عينيه إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ على بركة الله يا ولدى .. هيا .. فليكن الله (سبحانه وتعالى) عونًا لك فى مهمتك .

شعر (نور) بارتياح ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا سيدى .. وأعدك أن أبذل أقصى جهدى لإنجاح المهمة ، وأن أبذل نفسى بلا تردد .. وبلا حدود ..

* * *

استيقظت (سلوى) وهى تشعر بتوتر بالغ ، فى ذلك الصباح ، بعد ذلك الكابوس ، الذى عانت منه طيلة الليل ..

لقد رأت ، فى هذا الكابوس ، ابنتها (نشوى) ، بين يدى مخلوقٍ بشع ، أشبه بالأخطبوط ، وهى تصرخ مستنجدة بأبيها ، الذى يحاول الوصول إليها ، ولكن الأخطبوط يحيط جسده بأحد أذرعته ، ويبعده عن (نشوى) ، فى حين تلتفَ ذراع أخرى حول عنق ابنتها ، وتعتصره بلا رحمة ..

ورأت عينى (نشوى) تجحظان فى ألم ، فصاحت وسط كابوسها الرهيب :

ـ لا .. ليس (نشوى) .

التفت إليها المخلوق الأخطبوطى بنظرة مخيفة ، ثم مدّ أحد أذرعته تطاردها ، وراحت هى تفرّ منها فى صعوبة ، وقدماها تلتصقان بالأرض ، و (نشوى) تصرخ :

ـ النجدة يا أمى ! النجدة !

اختنقت لعجزها عن إنقاذ ابنتها ، وهتفت فى ألم :

ـ اترك (نشوى) أيها الحقير .. اتركها ..

واستيقظت وهى تردّد تلك الكلمة على شفتيها ، فنهضت وقلبها يخفق فى عنف ، وتمتمت :

ـ حمدًا لله أنه مجرّد كابوس .. حمدًا لله .

تلفّتت حولها ، بحثًا عن ابنتها ، وشعرت بانقباضة ، عندما لم تجدها إلى جوارها ، فهتفت تناديها ، ولكنها لم تتلق جوابًا ، فغادرت فراشها ، بحثًا عنها ، واتجهت إلى حجرتها ، وهى تناديها قائلة :

ـ (نشوى) .. أين أنت ؟

دلفت إلى الحجرة ، وأدارت عينيها فيها فى قلق ، لم يلبث أن تحوّل إلى ذعر ، عندما وقع بصرها على زجاج النافذة المخلوع ، والمقعد المجاور للنافذة ، وهوى قلبها بين ضلوعها ، وهى تحدّق فى النافذة المفتوحة ، قبل أن تصرخ فى لوعة :

ـ (نشوى) .. ابنتى .

اندفعت نحو النافذة ، تتطلع إلى الخارج فى هلع ، ثم لم تلبث أن شهقت فى رعب ، عندما رأت قطعة من ثوب ابنتها ، تلتصق بطرف النافذة ، فصرخت مرة أخرى :

ـ (نشوى) .

أسرع إليها باقى أفراد الفريق ، وقد أزعجهم صراخها ، وهتف (رمزى) :

- ماذا أصاب (نشوى) ؟ .. أين هى ؟
أشارت إلى النافذة المفتوحة ، وهى تقول :
- لست أدرى ماذا أصابها ، ولكنها خرجت من هنا إلى الممر .
قالتها وانفجرت باكية فى لوعة ، فاندفع (رمزى) و (محمود) والدكتور (حجازى) إلى النافذة المفتوحة ، وهتف (رمزى) :
- ياللمجنونة ! .. لماذا فعلت هذا ؟
هتفت (سلوى) باكية :
- لست أدرى لماذا فعلته ، ولكننى أريدها .. أريد ابنتى .
بدا الاضطراب فى صوت (رمزى) ، وهو يقول :
- تُرى ماذا يفعلون بها ، لو عثروا عليها فى الخارج ؟
ارتجف قلب الدكتور (حجازى) رعبًا من الجواب ، وقال :
- لست أدرى .. لا أحد يعلم ما يمكن أن يفعلوه بها .
هتف (رمزى) :
- سأقتلهم ، لو مسّوا شعره واحدة منها .
قال الدكتور (حجازى) فى أسى :
- المهم أن تعلم ما أصابها .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تحرّك باب القاعة الرئيسية ، بصوته المألوف ، فأسرعوا جميعًا إلى القاعة ، وهم يمنون أنفسهم بعودة (نشوى) ..
واتسعت عينا (سلوى) فى هلع ..
كان الآليون يعودون بـ (نشوى) بالفعل ، ولكنها كانت ترقد فوق منضدة جراحية متحرّكة ، وقد خرجت من رأسها عدة أسلاك ، اتصلت بجهاز كمبيوتر صغير ، مثبت فى نهاية المنضدة ، خلف رأسها تمامًا ..
وصاحت (سلوى) ، وهى تندفع نحوها :

- (نشوى) .. ماذا فعلتم بابنتى ؟ .. ماذا فعلتم بها أيها الأوغاد ؟
تجاهلها الآليون تمامًا ، وهم يتراجعون فى سرعة ، ويغلقون الباب خلفهم ، فى حين لحق (رمزى) و (محمود) والدكتور (حجازى) بـ (سلوى) ، وتطلّعوا جميعًا إلى رأس (نشوى) ، بكل ما اتصل به من أسلاك ، قبل أن يهتف (محمود) :
- ياإلهى ! .. ماذا أصابها ؟ .. ماذا فعلوا بها ؟
انحنى الدكتور (حجازى) يفحص رأس (نشوى) فى اهتمام ، وهو يقول :
- إنها أقطاب كهربية حساسة .. لقد أدخلوها عبر ثقوب دقيقة إلى رأسها ، ولا ريب أنها تتصل بالمراكز الحيوية فى مخها .
صاحت (سلوى) ، وهى تمدّ يدها إلى الأسلاك :
- انزع هذه الأسلاك اللعينة يا دكتور (حجازى) .. انزعها من رأس ابنتى .
هتف بها الدكتور (حجازى) ، وهو يمسك يدها فى قوة :
- حذار أن تمسيها .. قلت لك : إنها متصلة بمخها مباشرة .. ألا تدركين ما يعنيه هذا ؟ .. إن جذب سلك واحد من هذه الأسلاك ، قد يؤدى إلى مقتل ابنتك ، أو على الأقل إلى إصابتها بشلل دائم ، أو بخلل فى أحد مراكزها الحيوية .
تراجعت فى هلع ، هاتفة :
- ياإلهى ! .
وقال (رمزى) فى توتر بالغ :
- يا للأوغاد ! ولكن لماذا أوصلوا الأسلاك بهذا الكمبيوتر ؟ .. أهى وسيلة جديدة للسيطرة على عقلها ؟
تطلّع الدكتور (حجازى) إلى الكمبيوتر ، وهو يقول فى قلق :
- لست أدرى .. ربما كان هذا هو السبب بالفعل .

بعد انتهاء عبارته بلحظة واحدة ، اشتعلت شاشة الكمبيوتر فجأة ، فتراجعت (سلوى) فى حركة حادة ، وهى تردِّد :

ـ ياإلهى ! .. ابنتى .

فوجئت مع الجميع بعبارة ترتسم على شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ أين أنا ؟ .. لماذا أشعر بهذا الصداع ؟

نقل الجميع عيونهم فى دهشة بالغة ، بين وجه (نشوى) الهادى ، وشاشة الكمبيوتر ، وغمغم (رمزى) فى ارتباك شديد :

ـ ما معنى هذا ؟

ارتسمت على شاشة الكمبيوتر عبارة جديدة ، تقول :

ـ لماذا تتحدَّث بهذه الدهشة يا (رمزى) ؟

أطلقت (سلوى) شهقة قوية ، وقفزت الدموع من عينيها ، فى حين اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى هلع ، وغمغم (محمود) فى ذعر :

ـ ربّاه ! لقد حوّلوا (نشوى) إلى كمبيوتر .. مجرَّد كمبيوتر .

وانهارت (سلوى) تمامًا ..

★ ★ ★

اقتربت سيارة (نور) من الجبل فى حذر ، وتوقَّفت على قيد نصف كيلو متر منه ، خلف تل صخرى صغير ، وأخرج (نور) منظاره المقرِّب الخاص ، ووضعه على عينيه ، وراح يراقب الجبل من بعيد ، بقوة تكبير وتقريب فائقة ، قبل أن يتمتم :

ـ من الواضح أن خصمنا يحيط الجبل بمراقبة شديدة ، فقد أحصيت على الأقل ستة آلات مراقبة على الأقل .

وتطلَّع إلى ساعته ، قبل أن يضيف :

ـ ولن يصلح التسلُّل ، قبل مغيب الشمس ، وإلا أصبحت مثل حشرة

سوداء ، تسير فوق ورقة ناصعة البياض ، متصوِّرة أن أحدًا لن ينتبه إليها .

كانت المسافة من موقعه إلى الجبل ، مسطَّحة تمامًا ، بلا صخرة واحدة ، وكأن أحدًا قد أعدها فى دقة ، ليمنع أى مخلوق من الاقتراب من الجبل ، دون أن ترصده أجهزة المراقبة الحرارية والرادارية والراصدة ، الموزَّعة بأعداد كبيرة ، فى أجزاء متفرِّقة من الجبل ..

وفى هدوء ، فتح (نور) حقيبة سيارته ، وأخرج كل ما يحتم استخدامه ، للتسلُّل إلى الجبل ، وراح يفحصه فى اهتمام ؛ ليتأكد من سلامته ، وقدرته على العمل ..

كان خبراء الإدارة قد أعدّوا لكل شىء عدته بالفعل ، فصنعوا لـ (نور) ثوبًا خاصًا ، يتكوَّن من طبقتين ، يسرى بينهما سائل بارد ، يمكنه خداع أجهزة المراقبة الحرارية ، التى تعتمد فى عملها على التقاط حرارة الأجسام الحية ، وتم طلاء هذا الثوب بنفس الطلاء القاتم ، الشديد السواد ، الذى تستخدمه (م ـ ١) ، بحيث تعجز أجهزة المراقبة الرادارية عن التقاطه ..

وبقيت الأجهزة البصرية العادية ..

وبالنسبة لهذه الأخيرة ، كان الظلام هو أفضل الحلول المطروحة ..

وكان على (نور) أن ينتظر حلول هذا الظلام ..

ثم يبدأ العمل ..

وفى ضجر ، راح (نور) ينتظر ..

وكان من الواضح أن الانتظار سيطول كثيرًا ، لذا فقد راح يراقب الجبل ، ويدرس تضاريسه فى اهتمام حتى سمع من خلفه صوتًا يقول بغتة :

ـ أبرز هويتك .. هذه منطقة محظورة .



التفت (نور) فى سرعة ليواجهه رجل آلى ، يمسك مدفعه الإشعاعى ..

التفت (نور) فى سرعة ليواجهه رجل آلى ، يمسك مدفعه الإشعاعى ، ويكرّر :

ـ أبرز هويتك .. أمامك خمس ثوان لتفعل .

مدّ (نور) يده إلى جيبه ، وهو يقول :

ـ لا تتهوّر يا صديقى الآلى .. إننى أحمل تصريحًا بالتواجد هنا .

خرجت يده فى سرعة ، ممسكة مسدسه الليزرى ، الذى انطلقت منه الأشعة القاتلة ، نحو الآلى ، و (نور) يستطرد :

ـ ها هوذا .

ارتطمت الأشعة بالآلى ، ثم انعكست عنه فى عنف ، دون أن تترك به أدنى أثر ، فصوّب مدفعه إلى (نور) ، وقال بصوته المعدنى الرنان :

ـ انتهت المهلة .

وضغط زناد مدفعه .

* * *

١٦ ـ قلب الخطر ..

شعرت (مشيرة) بضجر شديد ، وهى تجلس وحيدة فى حجرتها ، داخل مبنى إدارة المخابرات العلمية ، فتمتمت فى حنق :

ـ أراهن أنهم وضعونى هنا لأفقد عقلى .

دارت فى أرجاء الحجرة فى عصبية ، ثم توقفت عند النافذة الوحيدة بالحجرة ، وأطلّت منها على (القاهرة الجديدة) ، وقالت لنفسها :

ـ ولكن لماذا أتعرّض لمحاولة قتل ؟ .. ما الذى يريدون قتلى من أجله ؟ .. أهو أمر أعرفه وحدى ، أم شىء سمعته ، أو ..

بترت عبارتها بغتة ، واسترجع عقلها تلك اللقطة ، التى رأتها لجزء من الثانية ، عندما سطع وميض مصباح التصوير ، واستطردت فى انفعال :

ـ أو رأيته .

أدركت بغريزتها الصحفية أن هذا هو السبب الحقيقى ، وانبعث فى عروقها حماس شديد ، جعلها تهتف :

ـ نعم .. هذا هو السبب .. هذه هى خبطة الموسم .. سأحصل حتمًا على جائزة (بوليتزر)(*) .

ـ قفزت نحو فراشها ، وصاحت فى غضب ، عندما رأت الموضع الخالى إلى جواره :

(*) جائزة (بوليتزر) : أقوى جائزة فى عالم الصحافة ، وهى تساوى جائزة (نوبل) ، فى المجالات الأخرى ، ويتمّ منحها للموضوعات الصحفية المتميّزة ، وذات التأثير القوى ، فى السياسة أو المجتمع ، وتُمنح مرة واحدة فى العام .

ـ اللعنة .. لا يوجد هاتف ، أو (تليفيديو) .. إنهم يحرموننى من أبسط حقوق أى صحفى نشيط .

اندفعت نحو الباب ، وفتحته فى حركة حادة ، وصاحت فى وجه الحارس الواقف أمامه :

ـ أريد وسيلة اتصال .. هذا أبسط حقوقى .. لست سجينة هنا .

تطلّع إليها الحارس فى دهشة ، ثم عقد حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ من حقك استخدام وسائل الاتصال بالطبع ، ولكن ليست لدى أوامر بهذا .

لوّحت بكفها فى وجهه ، هاتفة :

ـ احصل على الأوامر إذن .. افعل ما يحلو لك ، ولكن أحضر أية وسيلة اتصال على الفور .

ثم استدركت فى حدة :

ـ على ألا تكون مراقبة .. هل تفهم ؟

ظهر أحد ضباط الإدارة ، فى هذه اللحظة ، وقال :

ـ ماذا هناك ؟ .. لماذا تصرخين هكذا يا سيدتى ؟

أجابه الحارس :

ـ تريد وسيلة اتصال .

وصاحت هي :

ـ هذا أبسط حقوقى .

ابتسم الضابط ، وقال :

ـ ومن ادّعى العكس ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ المهم ألا تكون وسيلة مراقبة ، فلست أحب أن يستمع الآخرون إلى محادثاتى الشخصية .

أجابها الضابط فى هدوء :

ـ بالطبع .. سآمر بإحضار هاتف إليكترونى خاص ، مجهز لمنع التصنت والتجسس .. أيرضيك هذا ؟

قالت فى اعتداد :

ـ لا بأس .

لم تمض دقائق ، حتى كان الهاتف الإليكترونى بين يديها ، فأسرعت تطلب رقم الجريدة ، ولم تكد تسمع صوت محدثها ، حتى قالت همسًا فى انفعال :

ـ مساء الخير يا (هانى) .. إنه أنا .. نعم .. أنا (مشيرة محفوظ) .. رئيسك أيها الغبى .. اسمعنى جيدًا .. لدى خبر سيحدث ضجة لا مثيل لها ، ولكننى أحتاج إلى رسام الجريدة .. أرسل فى طلبه على الفور ، و ..

فوجئت بشوشرة قوية عبر الهاتف ، أجبرتها على إبعاده عن أذنها ، وهى تهتف فى سخط :

ـ يا للأوغاد ! .. إنهم يتجسسون علىّ بالفعل .

لم تكد تبعد الهاتف ، حتى ضاعت الشوشرة على الفور ، وسمعت صوت (هانى) يقول فى قلق :

ـ ألو .. هل تسمعيننى أيتها الرئيس ؟

أعادت الهاتف إلى أذنها لتجيبه ، ولكنها لم تكد تقربه منها ، حتى عادت إليه الشوشرة فى عنف ، فأبعدته مرة أخرى فى دهشة ، وسمعت (هانى) يهتف فى قلق :

ـ ماذا حدث أيتها الرئيس ؟ .. ماذا حدث ؟

قالت فى حدة :

ـ اصمت قليلا يا (هانى) .

حركت الهاتف الإليكترونى فى بطء ، متخذة نفس المسار ، الذى كان يتحرك عبره فى كل مرة ، ولم يكد يقترب من ذراعها اليمنى ، أسفل الكتف ببضع سنتيمترات ، حتى عادت الشوشرة قوية ، فغمغمت (مشيرة) :

ـ عجبًا !

تحسست ذراعها ، فى ذلك الموضع ، وخيل إليها أنها تشعر بوجود جسم صلب تحت جلدها ، لم تكن تشعر به من قبل ، وأصابها هذا بالقلق ، فتمتمت :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟

سمعت (هانى) يقول :

ـ أتقولين شيئًا يا سيدتى الرئيس ؟

انتبهت إلى أنه ما زال ينتظر محادثتها ، فنقلت الهاتف إلى يدها اليسرى ، وقالت :

ـ نعم يا (هانى) .. أريد منك أن تحضر رسام الجريدة ، وتطلب منه رسم شخص له رأس ضخم ، أشبه ببيضة مقلوبة .

ردد (هانى) فى دهشة :

ـ بيضة مقلوبة ؟!

أجابته فى حدة :

ـ نفذ ما آمرك به ، وسأتصل بك بعد ساعة واحدة ، لأتأكد من أن كل شىء على ما يرام .

أنهت المحادثة بحركة عنيفة ، ثم تراجعت فى مقعدها ، وتحسست ذراعها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

- ترى ما هذا الشىء ؟
وحار عقلها فى البحث عن جواب ..

* * *

ارتسم الأسى بكل ملامحه على وجه (سلوى) ، وهى تجلس إلى جوار ابنتها (نشوى) ، وتقول فى مرارة :
- كيف تشعرين يا (نشوى) ؟ .. هل يؤلمك الأمر يا (بنيتى) ؟
ارتسم الجواب على شاشة الكمبيوتر :
- لا يوجد أى ألم يا أماه .. حتى ذلك الصداع انتهى ، ولكننى أشعر بشعور عجيب للغاية .. أشعر كما لو كنت غارقة وسط ظلام دامس ، وسابحة فى نهر من الضباب .. أين أنا بالضبط يا أماه ؟
قالت (سلوى) فى أسف :
- جسدك يرقد أمامى يا بنيتى .
كتب الكمبيوتر :
- وماذا عن عقلى ؟
أجابتها (سلوى) فى حسرة :
- لقد أوصل هؤلاء الملاعين عقلك بجهاز كمبيوتر .
قال (رمزى) فى حزن :
- ولكن لا داعى لليأس يا (نشوى) .. سنجد حلًا لهذا حتمًا .
كتبت شاشة الكمبيوتر :
- اليأس ؟! .. لست أشعر بأى يأس يا (رمزى) .. لست أشعر بأى شىء تقريبًا .. لا حزن ، أو خوف ، أو قلق .. إننى أسمع أصواتكم جيدًا ، وأميزها بمنتهى الدقة ، وعقلى أصبح قادرًا على دراسة عشرات الأمور فى وقت واحد ، وإجراء عمليات حسابية بالغة التعقيد ، ولكننى لم أعد أمتلك أية مشاعر أخرى .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :
- ما الذى يعنيه هذا ؟
أجابها الدكتور (حجازى) فى مرارة :
- يعنى أنها أصبحت بالفعل أشبه بجهاز كمبيوتر ، تفكر فى سرعة ودقة ، وتجرى أية عمليات حسابية دقيقة ، ولكنها لا تستطيع أن تحب أو تكره ، أو تخاف ، فأجهزة الكمبيوتر بلا مشاعر .
اتسعت عينا (سلوى) فى هلع ، وهى تهتف :
- يا إلهى ! يا إلهى ! ماذا فعلوا بها ؟
قال (محمود) فى صرامة ، وهو يكتم حزنه ومرارته :
- لا تدعوا هذا يلهينا عن فكرتنا يا رفاق .
هتفت (سلوى) فى مرارة :
- أية فكرة يا (محمود) ؟ .. ما الذى تريده منى ، وأنا أرى ابنتى أمامى ، على هذا النحو ، و ..؟
قال فى صرامة :
- أريد منك أن تعملى على تحسين ظروفها ، ومنحها فرصة للعودة إلى طبيعتها البشرية ، وهذا لن يتأتى لها هنا .
كان حديثه منطقيًا ، على الرغم من صرامته ، ولقد أعلنت (نشوى) رأيها عنه ، على شاشة الكمبيوتر ، التى كتبت :
- إنه على حق يا أماه ، فاحتمالات الشفاء هنا لا تتجاوز سبعة وثمانية أعشار فى المائة ، فى حين قد تبلغ ستة وتسعين وستة فى المائة ، لو أمكننا مغادرة هذا المكان ، والعودة إلى مجتمعنا .
كان أسلوب الحساب جافًا للغاية ، ولكنه كان مقنعًا بالنسبة لـ (سلوى) ، التى قالت فى ألم يمتزج بالتصميم والحزم :
- أنت على حق يا (محمود) .. هذه هى فرصتها الوحيدة .

ونهضت لتبدأ عملها فى سبيل الحرية ..

وفى سبيل ابنتها ..

★ ★ ★

تابع الضابط الأوّل فى اهتمام تلك الرسوم ، التى يخطّها أحد الطيّارين على أرضية الحجرة ، باستخدام بقايا قلم صغير ، وسأل الطيّار :

- أأنت واثق من أن هذا هو الترتيب الصحيح ؟

أجابه الطيّار :

- نعم .. لقد لا حظت هذا جيدًا ، عندما نقلنا الآليون إلى هنا ، فقد كانوا يخططون لا ستخدامنا كحيوانات التجارب ؛ لذا فلم يهتموا كثيرًا بإخفاء المكان عنا ، ولقد درست موقعنا بمنتهى الدقة ، اعتمادًا على هذا ، وعلى تحركاتنا عبر الممرات ، عندما تمردنا فى المرة السابقة ، ويمكننى القول ، وبكل ثقة ، إن الجدار الشمالى لهذه القاعة ، يكاد يلتصق بجانب الجبل تمامًا ، ونسفه قد يقودنا إلى الحرية .

قال الضابط فى اهتمام بالغ :

- لابد من التيقّن من هذا تمامًا ، فليست لدينا سوى فرصة واحدة ، ومحاولة واحدة لنسف الجدار ، وأى خطأ سيعنى مصرعنا ، مثلما حدث لرفاقنا .

غمغم طيّار آخر :

- إننى أفضّل الموت ، على البقاء هنا .

قال ثان :

- وأنا أيضًا .

أشار الضابط إليهما بالصمت ، وقال :

- نحن لا نختلف فى هذا الأمر ، ولكننا سنقوم بالعمل فى الوقت المناسب .

سأله أحد الطيارين فى اهتمام :

- متى ؟

صمت الضابط لحظات مفكرًا ، ثم قال فى حزم :

- الليلة .. وفى منتصف الليل تمامًا ، سنقوم بنسف الجدار الشمالى .. وليكن ما يكون ، فإما أن يقودنا هذا إلى الحرية ، أو ..

شرد ببصره لحظة ، قبل أن يضيف :

- أو إلى الموت ..

★ ★ ★

كان سباقًا فى السرعة والإجادة ، ما بين (نور) والآلى ، ففى نفس اللحظة التى صوّب فيها الآلى مدفعه إلى(نور) ، نقل هذا الأخير سبّابته إلى الزناد الإضافى لمسدسه ، وضغطه فى سرعة ..

وفى هذه المرة تجمّد الآلى ..

تجمّد تمامًا ، حتى بدا كتمثال من الصلب ، ثم سقط مسدسه ، وتصاعدت من داخله أبخرة كثيفة ، قبل أن يتوقّف تمامًا عن العمل ..

وفى ارتياح ، رفع (نور) مسدسه إلى عينيه ، مغمغمًا :

- رائع .. (فائقة) تستحق جائزة (نوبل) ، على هذا الاختراع(★) .

كان يعلم تمام العلم أن جائزة (نوبل) لا يتم منحها لمبتكرى الأسلحة ، على الرغم من عبارته ، ولكنه أعاد المسدس إلى جيبه ، وانحنى ينتزع المدفع من الآلى المعطل ، ثم رفع عينيه إلى الشمس الغاربة ، وقال :

- اقترب الوقت .

بدأ فى خلع ثيابه ، وارتداء الزى الخاص ، الذى أعدّته له إدارة البحث

(★) جائزة (نوبل) : جائزة معنوية ومادية ، أوصى (ألفريد نوبل) ، مخترع الديناميت بمنحها للمتفوقين ، فى مجالات العلوم والآداب ، تكفيرًا عن اختراعه للديناميت ، ولقد حصل عليها الرئيس (السادات) فى السلام ، والأديب (نجيب محفوظ) فى الآداب .

العلمى ، وجلس ينتظر غروب الشمس ، التى لم تلبث أن غابت فى الأفق ، وبدأ الظلام ينتشر فى المكان فى بطء ..

ومع حلول الظلام التام ، بدأ (نور) تحرّكه نحو الجبل فى خفة وحذر ، واجتاز نصف الكيلو متر ، الذى يفصله عنه فى دقائق معدودة ، ثم راح يتسلّق الجبل فى مرونة ، بحثًا عن مدخل ..

ومضت نصف ساعة كاملة ، وهو يبحث عن أية وسيلة لدخول المكان ، عبر فتحة تهوية ، أو كهف طبيعى ، ولكن دون جدوى ..

كانت كل فتحات التهوية أصغر مما ينبغى ، ولم يكن هناك كهف واحد ، فى المكان كله ..

وشعر (نور) بالحنق ، وهو يجلس عاجزًا ، على هذا النحو ..

لم يكن من الممكن أن يقف هكذا ، مكتوف اليدين ، بعد أن نجح فى بلوغ المكان ..

لابد من وجود وسيلة للدخول ..

وفجأة قفزت إلى ذهنه فكرة ، جعلته ينهض فى حماس ، ويخرج من جيبه خزانة طاقة احتياطية ، ثم يلقيها بعيدًا بكل قوته ..

وسقطت خزانة الطاقة فوق الرمال ، على مقربة من ذلك المدخل ، الذى عبرته طائرتا الـ (م ـ ١) هذا الصباح ، فصوّب (نور) إليها مسدسه الليزرى ..

وأطلقه ..

وانفجرت خزانة الطاقة ..

انفجرت بدوى هائل ، ارتجّت له أحجار الجبل كلها ..

وتناثرت الرمال فى قوة ..

ثم هدأ كل شىء ..

وجلس (نور) ينتظر ..

كان يعلم أن هذا الانفجار سيجذب حتمًا انتباه أجهزة المراقبة داخل الجبل ، وكان بإمكانه أن يتخيّل ما سيحدث بالداخل ..

إنهم سيفحصون المكان بكل أجهزتهم ، دون أن يعثروا على أدنى أثر لسبب الانفجار ، وهنا سيكون من الضرورى أن يخرجوا لبحث الأمر ..

وكان على حق ، فى كل ما تصوّره ..

لم تمض دقائق ، حتى انفتح مدخل المخبأ ، وخرج منه ثلاثة آليون ، راحوا يدورون حول المكان بمدافعهم الآلية ، قبل أن يتجهوا نحو موضع الانفجار ، ويبدءوا فى فحصه جيدًا ..

وفى خفة ، غادر (نور) موقعه ، وانزلق عبر المدخل ، وانطلق يعدو داخل الممر الطويل ، إلى داخل المكان ..

وبدت له كل الممرات متشابهة ، متشابكة ، بحيث حار فى أمره ، ولم يمكنه اختيار الممرات المناسبة ، فتمتم :

ـ يبدو أننى سأضطر إلى فحصها كلها .

رأى من بعيد عددًا من الآليين ، يقتربون فى تشكيل عسكرى ، فأدار عينيه حوله فى توتر ، حتى عثر على باب جانبى ، اندفع إليه ، وعبره بقفزة سريعة ، قبل أن يصل تشكيل الآليين إلى أول الممر ، ويعبر إلى جوار الباب تمامًا ، ثم يختفى فى نهاية الممر ..

وانتظر (نور) ، حتى اختفى صوت الآليين تمامًا ، ثم غادر مكانه فى خفة ، وواصل طريقه عبر الممرات مرة أخرى ، حتى بلغ بابًا آخر ، فى نهاية الممر ، فدفعه ، و ..

وتوقّف مبهوتًا ..

كان يقف أمام مصنع الطائرات الآلى ، الذى دارت آلاته طبقًا لبرنامجها الثابت ، لتصنع جسم الـ (م ـ ١) ومحرّكها ..

وهتف (نور) فى توتر :

ـ لقد كنت على حق .. إنه يصنع جيشه الخاص .

بقى صامتًا لحظة ، ثم أخرج من جيبه عدة كرات بلورية ، راح يوزعها بين آلات المصنع ومعداته ، ثم عاد إلى باب المصنع ، وهو يقول فى خفوت :

- معذرة أيها الخصم اللعين .. لن نسمح لك بتحقيق حلمك أبدًا .

غادر المكان ، وعاد يتسلل بين الممرات ، و ..

وفجأة هبط حاجز قوى أمامه ، ليسد طريق الممر ، فتراجع (نور) فى حركة حادة ، ورأى حاجزًا اصغر يهبط ، من الناحية المقابلة للممر ، فانطلق يعدو بكل قوته ، متجاوزًا الحاجز ، قبل أن يبلغ الأرض ..

وأمامه رأى حاجزًا آخر يهبط ..

ومرة أخرى اندفع (نور) يتجاوز الممر ..

وكان هناك حاجز ثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

فى كل مرة يواجه فيها (نور) منطقة التقاء ممرات ، كان الحاجز يهبط فى سرعة ، ليسد أحد الممرات ، فى حين يهبط آخر فى بطء ، فى الممر الثانى ..

وكان من الطبيعى أن يتخذ (نور) طريق الحاجز البطىء ..

وكان من المحتم أن يقوده هذا إلى طريق محدود ، يستحيل تجاوزه ..

وأدرك (نور) اللعبة ..

أدركها وهو يشعر فى أعماقه بحنق بالغ ، لأنه مضطر إلى لعبها بنفس الوسيلة ، التى اختارها محرك الحواجز ..

لم يكن أمامه أى خيار آخر ..

إنه يتخذ المسار الحتمى ، الذى اختاره واضع اللعبة ..

وفجأة انتهى به الأمر إلى باب واحد ، اندفع يعبره فى عنف ، ثم توقف

فى دهشة ، داخل تلك القاعة ، التى قاده إليها الباب ..

وارتفعت عيون أربعة أشخاص تتطلع إليه فى دهشة ..

وهتف الجميع فى آن واحد ، وبصوت ملؤه الدهشة والفرح :

- (نور) ؟!

اندفعت (سلوى) تتعلق بعنقه فى سعادة ، فى حين صافحه (رمزى) و (محمود) فى حرارة ، وهتف الدكتور (حجازى) :

- (نور) .. كنت أعلم أنك ستأتى يا ولدى .. كنت أعلم أنك ستنقذنا من كل هذا .

ضمَّ (نور) زوجته إلى صدره فى حرارة ، وهو يقول :

- تسعدنى رؤيتكم يا رفاق ، ولكن يؤسفنى أننى قد أخذلكم ، بشأن إنقاذكم ، فلقد أردت هذا بالفعل ، ولكننى أصبحت أسيرًا مثلكم .

تراجعت (سلوى) فى دهشة ، وهتف (محمود) :

- ولكن هذا الزى ، والمسدس الذى تمسك به ؟!

تطلع (نور) إلى مسدسه ، وأعاده إلى جيبه ، وهو يقول :

- يبدو أن كلها أمور لا تعنى له شيئًا .

سأله (رمزى) :

- لمن ؟

أجابه (نور) ، وهو يلوِّح بكفه :

- لخصمنا المجهول .

ثم سأل فى قلق :

- ولكن أين (نشوى) ؟ .. لماذا لا أراها بينكم ؟

انحدرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تقول :

- لم تعد ابنتنا كما كانت يا (نور) .

اتسعت عيناه فى ذعر ، وأمسك كتفيها هاتفًا :

- لماذا يا (سلوى) ؟ .. لماذا لم تعد ابنتنا كما كانت ؟

تحركت من أمامه ، وهى تشير إلى المنضدة ، التى ترقد عليها (نشوى) ، فمد هو بصره فى ارتياع ، يتطلع إلى ابنته ، وإلى كل الأسلاك المتصلة برأسها ، ثم قال فى توتر :

- ماذا أصابها ؟

لم يمنحه أحدهم جوابًا ، فاتجه إلى ابنته ، وانحنى يفحصها فى لوعة ، قبل أن يشير إلى الأسلاك ، قائلًا :

- من فعل بها هذا ؟

فوجئ بشاشة الكمبيوتر تجيبه :

- لست أدرى من فعل بى هذا يا أبى .. لست أذكر شيئًا عن الأمر .

تراجع كالمصعوق ، وهو يحدق فى الشاشة ، قبل أن يهتف :

- ياإلهى ! .. لقد أوصلوا عقلها بالكمبيوتر .

ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا فى ارتياع :

- هل يمكن إنقاذها من هذا ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ، ولكن هذا يحتاج إلى جرّاح متخصّص ، فى جراحات المخ والأعصاب ، ولن يتوافر هذا هنا .

قال (نور) فى صرامة :

- لابد من إنقاذها إذن .. لابد من خروجنا جميعًا ، من هذا الجحيم .

فوجئ الجميع بالصوت العميق يقول :

- خطأ أيها الرائد .

تلفت (نور) حوله ، بحثًا عن صاحب الصوت ، ولكن باب الحجرة انزاح فى بطء ، فى هذه اللحظة ، وانبعث من خلفه ذلك الصوت العميق وهو يقول :

- إنك بذلك تحرم ابنتك من أعظم فرصة فى حياتها .

حدق الجميع فى ذلك المسخ ، الذى يقف خلف الباب ، وخلفه حارسان آليان ، وهو يستطرد :

- فرصة العبقرية .

وكانت لحظة المواجهة ..

المواجهة الرهيبة ..

* * *



حذق الخسيع فى ذلك المسخ ، الذى يقف خلف الباب ، وخلفه حارسان آليان ..

١٧ ـ الجميع ..

دق حارس حجرة (مشيرة) بابها فى هدوء ، وسمع صوت الصحفية من الداخل ، وهى تقول فى كلمات سريعة :

ـ ادخل .

دخل الحارس حاملًا ذلك الجهاز المستطيل ، الذى طلبته (مشيرة) ، وهو يقول فى ضجر :

ـ هذا هو جهاز (الفاكس) ، الذى طلبت إحضاره(*) .

أشارت إلى مقعد خال ، وهى تقول :

ـ ضعه هناك .

وضع الجهاز حيث طلبت ، وقال :

ـ سيادة الضابط يقول إنك تتجاوزين ما يمكن منحه لأى مدنى هنا .

قالت فى حدة :

ـ أنتم الذين طلبتم وجودى هنا .

زفر فى ضيق ، وغادر الحجرة ساخطًا ، وأغلق بابها خلفه فى قوة ، وهو يلعن كل الصحف والصحفيين ، فى حين أسرعت (مشيرة) توصل الجهاز بهاتفها ، ثم ضغطت أزرار رقم هاتف الجريدة ، وقالت :

ـ إنه أنا يا (هانى) .. هل انتهى الرسّام من الرسم ؟ .. حسنًا .. أرسله إلى هنا ، باستخدام (الفاكسميلى) .

(*) جهاز (الفاكسميلى) : جهاز يمكنه نقل الصور والرسوم والرسائل ، عبر أسلاك الهاتف ، وهو شائع الاستخدام ، فى دور الصحف والمكاتب الكبرى ، منذ بداية الثمانينات .

انتظرت حتى نقل إليها الجهاز صورة للرسم ، الذى وضعه رسام الجريدة ، فمطت شفتيها وهى تقول :

ـ ليست جيدة .

التقطت قلمها ، وأضافت بعض التعديلات على الرسم ، ثم أرسلته إلى الجريدة مرة أخرى ، وهى تقول فى حدة :

ـ أريد رسمًا جادًا يا (هانى) ، وليس رسمًا هزليًا ، كذلك الذى أرسلته .. أخبر الرسام هذا ، وسأنتظر ..

مضت لحظات من الصمت ، ثم قال (هانى) :

ـ لقد صنع الرسام التعديل المطلوب ، وسأرسل لك نسخة منه .

وصلها الرسم عبر الجهاز ، فارتفع حاجباها هذه المرة ، وهى تقول :

ـ لا بأس به .

سألها (هانى) :

ـ ماذا سنفعل به ؟

قالت فى حماس :

ـ سننشره فى أول نشرة أخبار لنا .. إنها خبطة الموسم .. هذا الشىء هو المسئول عن تلك الغارة ، التى تعرض لها مبنى المخابرات العلمية ، وهو الـ ..

قاطعها دخول الضابط المسئول إلى حجرتها فجأة ، فهتفت به فى غضب :

ـ ما هذا ؟ .. كيف تسمح لنفسك باقتحام حجرتى هكذا ؟

تجاهلها تمامًا ، وهو يلتقط سماعة الهاتف من يدها ، ويقول فى صرامة :

ـ إننى أحذرك من نشر أى شىء عن هذا الأمر يا (هانى) ، وإلا تعرضت للوقوع تحت طائلة القانون ، الذى يعاقب من ينشر أية أسرار ،

خاصة بأجهزة المخابرات ، أو ضارة بالأمن القومى ، بالسجن عشر سنوات ، والفصل من العمل .. هل تفهم ؟

أجابه (هانى) بصوت مرتجف :

ـ أفهم يا سيدى .. أفهم تمامًا .

وأنهى المحادثة فى سرعة ، فى حين هتفت (مشيرة) فى غضب :

ـ ليس من حقك أن تفعل هذا .. كل مواطن له الحق فى معرفة الحقائق .

أجابها فى صرامة :

ـ ليس عندما يهدد معرفتها الأمن العام .

قالت فى حدة :

ـ إنها حجة الديكتاتورية ، فى كل العصور .

قال فى ضيق :

ـ لن أناقش هذا الأمر معك .

هتفت :

ـ ولن تمنعنى من نشره أيضًا .

أمسكها الضابط من ذراعيها فى حدة ، وهو يقول :

ـ اسمعى أيتها الصحفية العنيدة .. إنك لن ..

بتر عبارته بغتة ، عندما شعرت أصابعه بذلك الجسم الصلب ، المغروس تحت جلدها ، وهتف فى دهشة :

ـ ما هذا الشىء ؟

دفعت كفيه عن ذراعيها ، وهى تقول فى توتر :

ـ لست أدرى .. لقد كشفت وجوده مصادفة .

هتف الضابط فى جزع :

ـ يا إلهى .. ولماذا لم تبلغى الأمر لحارسك على الفور ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ وما الذى يمكن أن يكون هذا الشىء ؟

أجابها فى حدة :

ـ من يدرى ؟ .. ربما كان جهازًا للتجسس على الإدارة .. من يدرى ؟ نعم ..

من يدرى ؟ ..

★ ★ ★

راقب أحد الطيارين الموقف خارج القاعة ، عبر النافذة الصغيرة ، فى قلق بالغ ، ثم غادر مكانه ، واتجه إلى الضابط الأوّل ، وقال همسًا فى توتر :

ـ يبدو أنهم يخططون لأمر ما ، فتحركات الآليين لا تروق لى أبدًا .

عقد الضابط حاجبيه فى قلق ، وقال :

ـ أتظن هذا حقًا ؟

أجابه طيّار آخر :

ـ أخشى أن يكون هناك ما ينقل حديثنا إليهم .

قال الضابط فى قلق :

ـ لقد فحصنا القاعة كلها .. أليس كذلك ؟

أجابه الطيّار :

ـ بلى ، ولكن من يدرى ؟ .. ربّما كانت هناك أجهزة تصنت خفية ، لا يمكننا كشف وجودها .

بدا القلق على وجه الضابط الأوّل ، وهو يقول :

ـ وماذا تقترحون ؟

اجابه أحدهم فى سرعة :

ـ أن ننفذ المهمة قبل موعدها .

سأله الضابط :

ـ متى ؟

أجابه آخر :

ـ سنبدأ فى إعداد سدادات الآذان على الفور ، ويمكننا أن نبدأ فور انتهائنا منها .

نقل بصره بين عيونهم ، التى أطلّ منها حماس كبير ، ثم قال فى حزم :

ـ فليكن .. سنبدأ العملية فى أقرب وقت ..

ورفع يده إليهم ، وتصافح الجميع فى حرارة ، وكأنهم يتبادلون الوداع ..

الوداع الأخير ..

★ ★ ★

كانت المواجهة رهيبة ..

رهيبة بحق ..

كانت أوّل مرة يلتقى فيها الفريق بخصمه ، وجهًا لوجه ..

أوّل مرة يتطلّعون فيها مباشرة إلى وجه ذلك المسخ ، الذى تسبّب فى كل هذا ..

وتعلّقت كل العيون بذلك الرأس الكبير ..

رأس ضخم ، يبدأ من الجبهة ، ويرتفع عاليًا كبيضة مقلوبة ، تتصل بها عروق زرقاء سميكة ، تمتد إليها من الجبهة ..

وكان هناك خط دموى رفيع ، يدور حول الجبهة أفقيًا ..

ذلك الخط الذى رأته (مشيرة) ، والذى جذب انتباهها فى شدة ، وإن لم تدرك معناه أو سببه ..

حتى أفراد الفريق لم يدركوا سر ذلك الخط الدموى ..

الوحيد الذى عرف السبب فى وجوده كان الدكتور (حجازى) ، بحكم عمله كطبيب شرعى ..

وهو أيضًا الوحيد ، الذى هتف :

ـ أنت ؟ .. يا إلهى ؟! .. ما الذى فعلته بنفسك ؟

أجابه ذلك المسخ ، بصوته العميق ، ولكنته الأجنبية :

ـ يسعدنى أن تعرفتنى يا دكتور (حجازى) .. مضت مدة طويلة ، منذ التقينا لآخر مرة .

هتفت (سلوى) فى ذهول ، وهى تحدق فى ذلك المسخ :

ـ التقيتما ؟! .. أتعنى أن هذا الشىء بشرى ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا (سلوى) .. ذلك الرجل الواقف أمامك كان أعظم المهندسين الطبيين ، فى العالم أجمع ، وكان يحمل لقب (أبو الهندسة الطبية) ، فى السنوات الأولى للقرن الحادى والعشرين ، ثم اختفى فجأة ، دون سابق إنذار .

قال المسخ فى هدوء :

ـ كان من المحتم أن أختفى يا دكتور (حجازى) .

قال (نور) فى حدة :

ـ ألأنك أصبت بالجنون ؟

التفت إليه المسخ فى هدوء ، وقال :

ـ لا أيها الشاب ، ولكن لأننى بلغت قدرًا من العبقرية ، لم يبلغه أى مخلوق بشرى قبلى ، ولأننى وجدت الوسيلة المثلى لاستغلال قدرات البشر ، وتنمية عقولهم .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ ما الذى فعلته بنفسك يا دكتور (مارك) ؟ .. أية جراحة هذه ، التى أضفت بها ذلك الشىء إلى رأسك .

أشار الدكتور (مارك) إلى رأسه الكبير ، وهو يقول :

ـ ذلك الشىء الذى تراه هو سر عبقريتى وقوتى يا دكتور (حجازى) .. إنه الفكرة التى لم تخطر لبشرى من قبل ، والتى جعلت عقلى أقوى العقول ، فى العالم أجمع .

تحرك فى بطء داخل المكان ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتابع :

ـ ربما يجهل البعض ما هى الهندسة الطبية ، على الرغم من أنها فرع جديد من فروع الهندسة والإليكترونيات ، وهى السر فى تقدم وتطور الأجهزة الطبية الحديثة ، منذ الربع الأخير للقرن العشرين .. إنها ذلك العلم ، الذى يجمع بين الهندسة والطب ، بحيث يستطيع المهندسون تصميم وصنع أجهزة متطورة ، يمكنها خدمة الطب ، عن دراية كاملة بمتطلباته .. ولقد جمعت أنا بين العلمين ، على نحو لم يفعله سواى ، فقد درست الطب والهندسة ، كل على حدة ، ولكن فى آن واحد .. وحصلت فى عامين متتاليين على شهادتى الطب والهندسة ، وبعدها تخصصت فى جراحات المخ والأعصاب ، وفى الهندسة الطبية ، و ..

قاطعه (نور) فى برود :

ـ هل سنستمع إلى سيرة عبقريتك هذه طوال الليل ؟

ابتسم الدكتور (مارك) ، وقال :

ـ لا أيها الشاب .. سننتقل إلى النقطة التالية على الفور .. إلى الفكرة التى توصلت إليها ، والتى رفضها مجموع الأطباء ، بحجة أنها تتعارض مع آدمية الإنسان .. لقد توصلت إلى وسيلة عبقرية ، لتوصيل المخ البشرى بالكمبيوتر .

قال (نور) فى غضب :

ـ كما فعلت مع (نشوى) .. أليس كذلك ؟

ألقى الدكتور (مارك) نظرة لا مبالية على (نشوى) ، قبل أن يقول :

- لا .. هذا الذى فعلته بابنتك يعد لعبة تافهة ، بالقياس إلى ما تراه فوق رأسى الآن .. لقد كانت فكرتى أكثر عبقرية بكثير .

تمتم (رمزى) :

- أو أكثر جنونًا .

هزّ الدكتور (مارك) كتفيه ، وقال :

- ربما .. ولكننى كنت شديد الاهتمام بدراسة أخرى ، وهى دراسة قدرات العقل البشرى ، وقواه فوق الطبيعية ، التى يمتلكها بعض البشر بالفعل ، والتى أثبتت النظريات وجودها فى كل بشرى ، ولكن بنسب ضعيفة أو متفاوتة ، لم ينجح سوى القلائل فى تنميتها ، أو استخدامها على نحو أو آخر(*) ، وكان علىّ أن أبحث عن وسيلة لتنميتها ، مستعينًا بنفس الفكرة ، التى صنع بها مصممو ألعاب الفيديو ، فى تسعينات القرن العشرين تلك الخوذات ، التى يمكنها التحكم فى مسار اللعبة عقليًا(**) .

وبرقت عيناه ، وهو يضيف :

- ومن هنا جاء مشروعى العبقرى .. فكرة متكاملة ، لا يمكن أن يضعها سوى خبير بالهندسة الطبية ، وجراحة المخ والأعصاب .. فكرة توصيل جهاز كمبيوتر خاص بالمخ البشرى ، بتوصيل مباشر ، بحيث يصبح المخ والكمبيوتر وحدة واحدة ، يفكران معًا ، ويمنح كل منهما قدراته للآخر .

(*) حقيقة علمية .

(**) أعلنت مجلات الكمبيوتر المتخصصة ، عن وجود هذه الخوذات بالفعل ، وهى عبارة عن خوذة معدنية ، يمكنها قراءة الإشارات الواردة من المخ ، وتحويلها إلى إشارات كهربية فعلية ، بحيث يستطيع الإنسان التحكم فى مسار نقطة على الشاشة ، بوساطة تفكيره فحسب ، ولقد طرحت اليابان هذه الخوذات للبيع بالفعل ، ويتم تطويرها لتسيير ألعاب الأطفال المتحركة ، بالرغبة العقلية فقط .

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة :

- أتقصد أن ذلك الامتداد فوق رأسك ، هو ..

قاطعه فى زهو :

- كمبيوتر .. نعم .. ذلك الذى تراه فوق رأسى كمبيوتر رائع ، من أفضل الأجهزة ، التى أنتجها العصر ، وقد اتصل بكل المراكز الحيوية فى مخى ، وكذلك بالمخيخ ، باتصالات جراحية مباشرة ، وبعدها تم إخفاء الأجزاء المعدنية من الكمبيوتر بهذا الجلد الصناعى ، الذى لم يلبث أن حصل على تغذية خاصة ، من عروق الدماغ نفسه كما ترون .

قال الدكتور (حجازى) :

- ولكنه لم يلتئم تمامًا مع الجلد الطبيعى يا (مارك) ، فها هو ذا يترك فاصلًا دمويًا ، بينه وبين الآخر .

تحسّس (مارك) منطقة التقاء الجلد الطبيعى بالصناعى ، وهو يقول :

- أعلم أن شكلى يبدو بشعًا مخيفًا الآن ، ولكننى أستطيع إجراء عملية ترقيع بجلد طبيعى فيما بعد .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

- والشكل لا يهمنى قط .

وعادت عيناه تبرقان ، وهو يتابع :

- المهم أننى أعددت جهاز الكمبيوتر هذا ، بحيث يتلقى إشارات المخ ، الخاصة بالقدرات العقلية الفائقة ، وتنميتها على نحو كبير ، وتضخيمها ، بحيث يصبح مخى أشبه بجهاز إرسال عقلى رهيب ، يمكنه السيطرة على أقوى العقول وأعظمها ، كما يمكنه تحريك الأشياء عن بعد ، وإيهام الآخرين بما لا يرونه ، وعشرات غيرها ، من القوى الخارقة للعقل .. وبعدها بدأت عملية تصنيع الآليين ، وبناء هذا المخبأ ، ومصنع الطائرات ، وغيرها .

سأله (رمزى) :

- ومن أجرى لك عملية الاتصال العجيبة هذه ؟

أجابه فى زهو :

- رجالى الآليون .. إننى أمتلك أفضل فريق طبى وجراحى آلى ، وكل ما فعلته هو أن برمجت رجالى الآليين بكل تفاصيل العملية ، واحتمالاتها ، ولقد قاموا بعملهم خير قيام ، كما لابد أنكم ترون .

قالت (سلوى) :

- إننى أراك بشعًا .

قهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

- وعلى الرغم من هذا فقد نجحت فى الحصول على أفضل طائرة فى العالم ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى يكون لدى أسطول كامل منها .

سأله (نور) :

- وكيف عرفت بأمر المقاتلة ؟

أجابه فى هدوء :

- لم أكن أعلم شيئًا عنها ، ولكننى بعد أن انتهيت من إعداد المخبأ ، بدأت أضع خطة العمل ، التى كانت تعتمد فى البداية على احتلال عقل أحد رؤساء إدارة المخابرات العلمية المصرية ، لمعرفة أدق أسرار (مصر) العلمية ، ولقد حاولت احتلال عقل القائد الأعلى ، ولكن هذا كان يحتاج فى البداية إلى مواجهة مباشرة ، والقائد الأعلى محاط دائمًا بحراسة مشدّدة ، لذا فقد اتجهت إلى الدكتور (ناظم) ، ونجحت فى احتلال عقله ، وعرفت منه كل شىء عن الـ (م ـ ١) ، وبعدها وضعت الخطة المتكاملة لاحتلال الأرض كلها ، والسيطرة على هذا العالم الجديد .

سأله (محمود) فجأة فى حدة :

- ولماذا (مصر) ؟ .. لماذا اخترت وطننا بالذات ، دون كل الأوطان الأخرى ؟

أجابه (مارك) :

- لأنكم تتوسطون خريطة العالم يا فتى ، ولأن (مصر) أصبحت فى رأيى أفضل دولة فى العالم ، بعد المحنة الأخيرة ، التى تعرّضت لها الأرض ، ثم أنكم كنتم تمتلكون بالفعل أفضل طائرة فى العالم .

قال (رمزى) :

- ولماذا احتجزتنا هنا ، ووضعتنا فى أماكن تشبه أماكننا الأصلية ؟

ابتسم مجيبًا :

- لأن كل إمبراطور يحتاج إلى مجلس وزراء ، ولقد اخترتكم لتكونوا مجلس وزرائى ، عندما تحين اللحظة الحاسمة ، وأجلس على عرش الأرض ، ولقد أردت أن أمنحكم شعور المنزل ، حتى يمكننى إقناعكم بالعمل لحسابى ، بحيث تصبحون الواجهة البشرية ، التى يمكنها مواجهة الناس ، دون أن يشعروا بالدهشة أو الخوف والذعر ، بسبب شكلى غير المألوف .

قال (نور) فى سخرية :

- وحتى نتلقّى نحن الضربات ، إذا ما ثار البشر على حكمك الديكتاتورى .

ابتسم (مارك) فى دهاء ، وهو يقول :

- كم يروق لى عقلك أيها الرائد .

قال (نور) فى صرامة :

- وكم أكره أنا عقلك أيها الحقير .

ثم رفع مسدسه فى وجه الرجل بغتة ، وهو يقول :

- ما رأيك لو أنسف عقلك هذا بضربة واحدة ؟

رفع الآليان مدفعيهما على الفور ، وصوّباهما إلى الجميع ، وابتسم (مارك) ، قائلًا :

- لست أنصحك بإطلاق خيط واحد من خيوط الأشعة أيها الرائد ، فلو

أنك فعلت سيغضب هذا حراسى الآليين فى شدة ، وسيطلقون أشعة مدافعهم على رءوسكم جميعًا فى لحظة واحدة .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا بأس أيها الوغد .. سأخاطر .

وأطلق زناد مسدسه بلا تردد .

* * *

١٨ ـ جحيم العقول ..

تطلّع طبيب إدارة البحث العلمى إلى صور الأشعة ، الملتقطة لذراع (مشيرة) ، وهو يقول فى حيرة :

ـ لست أدرى ما هذا بالضبط ، ولاكيف تم زرعه تحت الجلد ، ولكنه مصنوع من مادة شبيهة بالبلاستيك ، ويرسل إشارات منتظمة ، ذات تردد بالغ الصغر .

سأله الضابط المسئول فى اهتمام :

ـ ألا يحتمل أنه قد تم زرعه بعملية جراحية ؟

هزّ الطبيب رأسه ، وقال :

ـ لا .. فلا يوجد أى أثر لجراحات ، فى هذا المكان ، ولكن من المحتمل أنه قد تم حقنه داخل الذراع ، بحيث لا يتخذ حجمه الحقيقى إلا بعد الحقن ، وهذا أسلوب حديث بعض الشىء .

سألته (مشيرة) فى عصبية :

ـ دعك من هذه المحاضرة الطبية ، وأخبرنى .. أهناك خطر من وجوده ؟

أجابها فى تردد :

ـ هذا يتوقّف على طبيعته .

سأله الضابط فى اهتمام :

ـ ألا يمكن انتزاعه من ذراعها ، وفحصه جيدًا ؟

أجابه الطبيب :

ـ هذا أيضًا يتوقّف على طبيعته .

قال الضابط :

ـ ربما كان جهاز تجسس .

هزّ الطبيب كتفيه ، وهو يقول :

ـ ربّما ..

ثم أضاف فى اهتمام :

ـ إننى أحتاج إلى إجراء بعض الفحوص الإضافية ، قبل اتخاذ قرار فى هذا الشأن .

هتفت (مشيرة) :

ـ هل ستفحصوننى أكثر ؟

التفت إليها الضابط فى شراسة ، وهو يقول :

ـ اسمعى أيتها الصحفية .. لقد احتملت غطرستك وسخافاتك طويلًا ، عندما كنت ضيفة هنا ، أما الآن فأنت متهمة بالتجسّس على إدارة المخابرات العلمية ، إلى أن يثبت العكس ، وهذا لا يمنحك الحق فى الاعتراض قط .. هل تفهمين ؟

شحب وجهها ، وامتقع فى شدة ، وهى تردّد :

ـ تجسّس .. كيف ؟ كيف ؟

لم تستطع إتمام عبارتها ، وعيناها تتسعان فى ارتياع ..

لقد كانت تواجه خطرًا جديدًا هذه المرة ..

خطرًا مزدوجًا ..

★ ★ ★

الجميع كانوا يتوقعون أن يُطلق (نور) أشعة مسدسه على الآليين .. أو حتى على الدكتور (مارك) نفسه ..

ولكن (نور) ضغط زناد المسدس ، فلم ينطلق من فوهته خيط إشعاعى واحد ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اهتزّ الآليان ، وتصاعدت منهما الأبخرة .. وتعطّلا عن العمل ..

وتطلّع (مارك) إلى حارسيه الآليين فى دهشة ، لم تستغرق أكثر من ثوان معدودة ، ثم زالت عن وجهه فى سرعة ، وهو يقول :

ـ هذا المسدس يطلق موجات فوق صوتية ، بتردد فائق .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) :

ـ بلى أيها العبقرى .. هذا المسدس سيهزم جيشك الآلى ، ويُفسد خطتك الشيطانية كلها .

ارتسمت على وجه (مارك) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ هل تظن هذا حقًا أيها الرائد ؟ .. من الواضح أنك تجهل مدى القوة والذكاء ، اللذين يكتسبهما عبقرى مثلى ، عندما تتضافر قوته مع قوة كمبيوتر متطوّر .. لا شىء سيهزمنى قط أيها الرائد ، لأننى أعددت لكل شىء عدّته ، دون إهمال تفصيل واحد ، أو تجاهل أى احتمال ، مهما بلغت ضآلة فرص حدوثه .

قالها وهو يضغط زرًا صغيرًا فى حزامه ، ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ تستطيع أن تقول إن هذه آخر مرة استخدمت فيها مسدسك هذا ، فمنذ هذه اللحظة ، ومع ضغطى على هذا الزر الصغير فى حزامى ، اشتعل جهاز أمنى خاص ، أضفته إلى أجهزة أمنى العديدة ، بعد توصلكم إلى أسلوب استخدام الموجات فوق الصوتية ، لإفساد سيطرتى على العقول مؤقتًا .. ذلك الأسلوب الذى منع الطيّار من تدمير مبنى المخابرات العلمية .. لقد دفعنى هذا إلى ابتكار جهازى الأمنى الجديد ، الذى يعمل على دراسة تردد أية موجات فوق صوتية ، تنطلق من أى جهاز ، ومعادلتها بموجات أخرى عكسية ، تُفسد عملها تمامًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ من حسن الحظ أنها لا تفسد عمل أشعة الليزر ، التى يطلقها المسدس .

ابتسم (مارك) ، وقال :

ـ ومن قال إنك ستطلق أشعة الليزر ؟

ثم رفع يده ، هاتفًا :

ـ فلتحى الإمبراطورية الجديدة .

جمدت عينا (نور) ، فور نطق (مارك) للعبارة ، وارتجفت أصابعه ارتجافة خفيفة ، فهتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ ربّاه ! .. (نور) واقع تحت سيطرته بالفعل .

أطلق (مارك) ضحكة عالية ، تموج بالظفر والانتصار ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيّدتى .. إنه واقع تحت سيطرتى العقلية بالفعل .. حتى هو يدرك هذا .. ألم أقل لكم .. لقد أعددت لكل شىء عدّته .

ردّد (نور) فى جمود .

ـ أأنت واثق ؟

تطلّع إليه (مارك) فى دهشة ، فزالت آثار الجمود من وجه (نور) ، وحلّت محلّها ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أخطأت هذه المرة يا ملك الأوغاد .. لقد كشفنا أمر سيطرتك على عقلى ، ونجحنا فى تحرير عقلى منها .

تهللت أسارير الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! .. هذا ما دعوت الله (سبحانه وتعالى) من أجله .. حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله يا ولدى .

أما (سلوى) ، فقد انفجرت باكية ، من فرط سعادتها ، وهى تردّد :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

وفى هدوء ، قال (مارك) :

ـ إذن فقد نجحتم فى مقاومتى .. ماذا استخدمتم ؟ .. مصل الحقيقة ؟

بدت أمارات الدهشة على وجه (نور) ، فابتسم (مارك) فى زهو ، وقال :

ـ لا تجعل هذا يدهشك أيها الشاب .. لا تجعل أى شىء أفعله يدهشك ، فأنت تقف الآن أمام أعظم بشرى فى الكون كله .. البشرى الوحيد الذى يمتلك فعليًا عقلًا إليكترونيًا جبارًا .. إننى أعرف الكثير عن كل علوم الأرض ، عبر عقلى المزدوج ، فأنا أستفيد من سرعة التفكير الفائقة للكمبيوتر ، ومن سعة الذاكرة اللامتناهية للبشر ، بالإضافة إلى خبرة تكنيكية لا مثيل لها .. أتعلم كيف كشفت أمر تسللك إلى وكرى ، على الرغم من هذا الزى الخاص الذى ترتديه ؟ .. لقد فعلت هذا لأننى كنت مستعدًا لمثل هذا الاحتمال ، فزوّدت أجهزة الأمن لدى بجهاز خاص ، يمكنه التقاط دبيب النمل ، وهذا الجهاز الصوتى هو الذى كشف أمرك .

قال (نور) فى برود :

ـ منتهى الذكاء .

قال (مارك) :

ـ بل قل منتهى العبقرية .. لقد كنت أتوقّع نجاحك فى الإفلات من حصارى العقلى يا فتى ، ولكنك تجهل أن قدراتى بلا حدود ، وأننى قد وضعت برنامجًا بديلًا ..

برقت عيناه فى خبث ، وهو يضيف فى عمق :

ـ وإمبراطوريًا .

لم يكد ينطق كلمته الأخيرة ، حتى تجمّد (نور) بالفعل ..

تجمّد حقًا هذه المرة ..

لقد كان هناك برنامج بديل داخل عقله ..

برنامج معدّ للعمل ، عند فشل البرنامج الأوّل ..

وفى زهو ظافر ، أطلق (مارك) ضحكة ساخرة عالية ، جلجلت فى المكان ، وجعلت (سلوى) تهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! .. (نور) .. لقد وقع تحت سيطرته مرة أخرى .

غلت الدماء فى عروق (محمود) ، فاندفع نحو (مارك) ، وهو يصرخ فى غضب :

ـ أيها الوغد الحقير .

رفع (مارك) يده فى سرعة ، وأطلق من حلقه صرخة مخيفة ، أشبه بزمجرة ألف أسد غاضب دفعة واحدة ..

وفوجئ (محمود) بقوة هائلة تنتزعه من مكانه ، وتضرب به الحائط ..

لم يلمسه (مارك) ، ولكن شيئًا ما جذبه ، وفعل به هذا ..

وصاح (رمزى) :

ـ لا تلمس (محمود) .

ولكن (مارك) أطلق صرخة ثانية ، انتزعت (رمزى) بدوره من مكانه ، وضربت به الحائط فى عنف ، وألقته أرضا ، وهنا هتف الدكتور (حجازى) :

ـ كفى .. كفى يا (مارك) .

التفت إليه الدكتور (مارك) ، وقال :

ـ إنكم لم تدركوا بعد مقدار قوتى العقلية .

صاح الدكتور (حجازى) ، محاولا تهدئته :

ـ بل ندركها .. ندركها جيدًا .. أقسم لك بهذا .

ابتسم (مارك) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل تحاول تهدئتى نفسيًا ؟

قال الدكتور (حجازى) فى يأس :



وأطلق من حلقه صرخة مخيفة ، أشبه بزمجرة ألف أسد غاضب دفعة واحدة ..
وفوجئ (محمود) بقوة هائلة تنتزعه من مكانه ، وتضرب به الحائط

- وما الذى يمكننى فعله ؟

أجابه (مارك) فى صرامة :

- أن تستسلم .

ثم أشار بيده فى غطرسة ، مستطردًا :

- وأن تنحنى لإمبراطورك الجديد .

هتف الدكتور (حجازى) فى استنكار :

- أنحنى ؟!

ارتفعت يد (مارك) نحوه ، وأطلّ من عينيه بريق مخيف ، وهو يقول :

- انحن يا دكتور (حجازى) .. انحن .

شعر الدكتور (حجازى) بآلام رهيبة فى رأسه ، وشعر بجسده ينحنى رغمًا عنه ، كما لو أن قوة هائلة تدفع ظهره إلى الأمام ، وبطنه إلى الخلف ..

وعلى الرغم منه ، انحنى الدكتور (حجازى) ..

انحنى أمام (مارك) ، الذى قال فى ظفر :

- هكذا ينبغى أن تعامل إمبراطورك .

صاح (رمزى) :

- أنت مجنون .

استدار إليه (مارك) فى حركة حادة غاضبة ، وشعر (رمزى) بتلك القوة المجهولة تنتزعه مرة أخرى من مكانه ، وتضرب ظهره فى الحائط بعنف ، ثم تجذبه فى قوة إلى الحائط المقابل ، ليرتطم به ، قبل أن تلقيه أرضًا ..

ولهث (رمزى) ، وهو يتأوّه ألمًا ، ولكن تلك القوة المجهولة عادت ترفعه مرة أخرى ، فصرخت (سلوى) فى انهيار :

- كفى .. كفى بالله عليك .

كان (نور) صامتًا جامدًا طوال الوقت ، فى حين استلقى (محمود) فى مكانه ذاهلًا ، وسقط الدكتور (حجازى) على ركبتيه منهارًا ، عندما التفت (مارك) إلى (سلوى) ، وقال فى هدوء مثير :

- معذرة يا سيدتى .. هل آذيت مشاعرك ؟

انفجرت باكية فى انهيار ، وهى تقول :

- لماذا تفعل بنا كل هذا ؟ .. ما الذى تريده منا بالضبط ؟

برقت عيناه ، وهو يقول :

- استسلام تام غير مشروط .

صاحت :

- ألم تحصل عليه بالفعل ؟

لوّح بيده ، فتخلّت تلك القوة المجهولة عن (رمزى) ، وتركته يسقط أرضًا ، وهو يقول فى صرامة :

- ما زلتم تقاومون .. إننى أراقبكم جيدًا ، ولقد رأيت ما فعلتموه بكل الآلات الصغيرة ، التى سمحت لكم بالاحتفاظ بها ، مثل آلات الحلاقة الكهربية ، وفرشاة الأسنان الكهربية ، وأجهزة التسجيل الصوتية ، وغيرها .. لقد أوصلتموها بعضها ببعض ، وصنعتم منها سلاحًا قاتلًا ، يمكنه صعق رجالى الآليين ، وقتلى إذا أمكنكم هذا .

اتسعت عيونهم فى ذعر ، عندما كشفوا مراقبته لهم ، وشعر هو بالفخر لذعرهم ، فتابع بنفس الصرامة :

- أتعلمون أى قرار اتخذت ، بشأن ما فعلتموه ؟ .. كنت قد قرّرت معاقبتكم بالسلاح نفسه ، واستخدام ما صنعتموه لصعقكم أنتم ، ولكننى لم ألبث أن تراجعت عن قرارى هذا ، واكتفيت بابتكار جهاز أمنى خاص ، يفصل التيار الكهربى كله عن المكان ، فور محاولتكم استخدام سلاحكم السخيف هذا .

صاحت (سلوى) ، وهى تبكى فى مرارة :

ـ ولماذا فعلت بابنتى هذا ؟

ألقى نظرة لا مبالية على (نشوى) ، قبل أن يقول :

ـ ابنتك هى تطوير لفكرة بسيطة ، قد أستخدمها معكم جميعًا ، ففى حالتى أنا ، عندما أوصلت الكمبيوتر بمخى ، كانت لمشاعرى البشرية السيطرة الكاملة على مجموع العقلين .. الإليكترونى والعادى ، ولهذا احتفظت بشخصيتى وطموحاتى ، أما فى حالة ابنتك ، فالكمبيوتر هو صاحب اليد العليا ، مما ينزع عنها كل المشاعر البشرية ، بما فيها الانتماء للوطن ، والإخلاص ، والوفاء ، وكل المشاعر الأخرى ، التى قد تُفسد عملها معى .. إنها فكرة رائعة ، يمكننى السيطرة بها عليكم جميعًا .

اتسعت عينا (محمود) فى هلع ، وهو يتصور نفسه ، متصلًا بجهاز كمبيوتر ، يحكم أفكاره وتصرفاته ، وهتف :

ـ إذن فأنت لم تسيطر على عقولنا بعد .

ابتسم (مارك) ، وقال :

ـ لن يستغرق هذا وقتًا يا فتى ، ففى أية لحظة أشاء ، يمكننى أن أسيطر على عقلك ، وعلى عقول الآخرين ، كما فعلت مع رئيسكم (نور) .

تطلّع الجميع فى مرارة إلى (نور) ، الذى يقف جامدًا ثابتًا شارد البصر ، كما لو كان تمثالًا من الحجر ، وإن شعر الدكتور (حجازى) بشىء من الارتياح ، لأن (مارك) لم يسيطر على عقولهم بعد ، ووجد نفسه يقول :

ـ حمدًا لله .

التفت إليه (مارك) فى استهتار ، قائلًا :

ـ هل تؤمن حقًا بوجود الله ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى حدة :

ـ أى إنسان متوسط الذكاء سيؤمن حتمًا بوجود الله (سبحانه وتعالى) ، فأبسط قواعد الدنيا تقول : إن وجود الشىء يدل على وجود صانعه ، ووجودنا نحن البشر ، بكل تركيباتنا المعقّدة المنتظمة ، وكل خلايانا المتناهية الصغر والدقة ، أكبر دليل على وجود خالق عظيم .

مطّ (مارك) شفتيه ، وقال :

ـ أو على وجود قوة طبيعية ، قادرة على الخلق والابتكار .. لا يا دكتور (حجازى) .. لست أؤمن بوجود الله .

أجابه (رمزى) فى حدة :

ـ لأنك مجنون .

التفت إليه (مارك) فى حدة وغضب ، وقال :

ـ يبدو أنك لا تتعلّم أبدًا يا فتى .

رفع يده نحو (رمزى) مرة أخرى ، وخفق قلب (رمزى) فى عنف ، وهو ينتظر أن ترفعه القوة العقلية مرة أخرى ، وتعاود معاقبته ، ولكن فجأة راح جسد (نور) يهتزّ ، وهو يردّد فى خفوت :

ـ قاوم .. قاوم .. قاوم .

التفت إليه الدكتور (مارك) فى دهشة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إليه ، وكذلك فعل الجميع ، وردّدت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! .. ماذا يحدث ؟ .. ماذا أصاب (نور) ؟

كان جسد (نور) يهتزّ بسرعة أكبر ، وأكبر ، وهو يواصل ترديده لتلك الكلمة بلا توقُّف ، وبصوت يزداد ارتفاعًا :

ـ قاوم .. قاوم .

وفجأة أمسك رأسه بيده ، وأطلق صرخة هائلة ، جعلت (سلوى) تصرخ فى لوعة :

ـ (نور) .. ماذا أصابك ؟

راح يلهث فى سرعة وعنف ، وتصبّب عرق غزير على وجهه ، ثم لم يلبث أن رفع عينين متهالكتين إلى (مارك) ، وقال :

- نجحنا مرة أخرى أيها الوغد .

انعقد حاجبا (مارك) فى شدة ، وهو ينظر إليه ، فتابع (نور) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

- لسنا نملك عقولاً إليكترونية ، تتصل بأمخاخنا ، ولكننا استنتجنا احتمال وجود برنامج بديل ، داخل عقل ضحاياك ، يمكنه العمل ، فى حالة فشل أو إلغاء البرنامج الأوّل .. ولما كنا نجهل طبيعة ذلك البرنامج البديل ، فقد غرست الدكتورة (فائقة) فى عقلى برنامجًا دفاعيًا احتياطيًا ، باستخدام وسيلة إليكترونية للتنويم المغناطيسى ، ولقد بدأ ذلك البرنامج الدفاعى الاحتياطى عمله ، فور وقوعى تحت سيطرة برنامجك البديل .. ولقد استغرق الأمر وقتًا طويلا بلا شك ، لهزيمة برنامجك البديل ، وتحريرى من سيطرته .

ثم رفع مسدسه ، وصوّبه نحو (مارك) ، مستطردًا :

- والآن من يمنعنى من قتلك ؟

قال (مارك) فى حدة :

- أتتصوّر أننى لم أضع هذا الاحتمال فى حسبانى ؟

قال (نور) ساخرًا :

- وما الذى أعددته له هذه المرة ؟ .. برنامجًا ثالثًا ؟

أجابه (مارك) فى حدة :

- بل برنامجًا تدميريًا أيها الرائد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، مستطردًا فى غضب :

- وابنتك .

التقى حاجبا (نور) فى غضب متوتر ، وأطلقت (سلوى) شهقة ذعر ، وهى تهتف :

- لا .. ليس (نشوى) .

برقت عينا (مارك) فى صرامة وشراسة ، وهو يقول فى لهجة غاضبة ، وأسلوب يؤكد ذلك الجنون ، الكامن فى أعماقه :

- حاول أن تقتلنى .. أطلق النار على رأسى ، وستشعل آخر برامج الأمن هنا .. إنه البرنامج الذى سيبدأ عمله ، فور إصابتى بإصابة قاتلة .. يمكنك أن تسأل الدكتور (حجازى) ، وسيخبرك أن الإنسان لا يلقى مصرعه مباشرة ، حتى لو نسفت مخه كله .. إنه يحتاج إلى بضع ثوان على الأقل ، ليموت جسده إكلينيكيًا ، وبرنامجى لا يحتاج إلا لثانية واحدة ، يتلقّى فيها الإشارة بوجود إصابة قاتلة ، ليرسل على الفور إشارته إلى ثلاث جهات فى آن واحد ، وفى جزء من الثانية .. الجهة الأولى هى برنامج خاص هنا ، يشعل أجهزة التدمير الذاتى ، بحيث ينفجر الجبل كله ، بكل ما يحتويه ، خلال دقيقتين فحسب ، أما الجهة الثانية فهى قنبلة بلاستيكية شديدة الفتك والتدمير ، حقنتها تحت جلد زميلتكم الصحفية ، عندما فقدت وعيها ، فى مختبر الدكتور (حجازى) ، وهذه القنبلة تحتاج إلى ثلاث دقائق ، بعد تلقّى الإنذار ، لتنفجر ، وتطيح بمبنى المخابرات العلمية ، الذى دفعتكم دفعًا لنقل الصحفية إليه ، وأنتم تتصوّرون أنكم تنقذونها من محاولتى قتلها .. أما الجهة الثالثة ، فهى ابنتك يا (نور) .

قال (نور) فى حدة :

- ما الذى ستفعله بها ؟

أجابه (مارك) :

- سيتلقّى الكمبيوتر المتصل بها الإشارة ، فيرسل بدوره إشارة إلى المراكز الحيوية فى مخها ، فتدمّر نفسها ذاتيًا ، بحيث تفقد ابنتك عقلها تمامًا ، حتى لو أمكنكم إنقاذها .

قال (رمزى) فى غضب :

- يا للحقارة !

أما (نور) ، فقد ظلَّ صامتًا لحظات ، ثم لم يلبث أن انتزع من جيبه جهازًا صغيرًا ، له زر واحد ، وهتف :

ـ أنا أيضًا يمكننى تدمير مصنعك الآلى كله ، وحرمانك من صنع جيشك الصغير ، بضغطة واحدة على هذا الزر .. إنه سينسف المصنع كله ، بوساطة عدد من القنابل البلّورية ، أمكننى وضعها داخل المصنع .

أطلق (مارك) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أرجوك أن تفعل .. اضغط الزر أيها الرائد (نور) .. هيا .. لا تتردّد .

عقد (نور) حاجبيه فى قلق ، وساوره الشك فى نجاح هذا الأمر ، فى حين تابع (مارك) بكل السخرية :

ـ لقد شاهدت ما فعلته بالمصنع أيها الرائد ، فأنا أتابعك على شاشة راصدى الخاص ، منذ وطِئت قدماك أرضَ الوكر ، وما أن غادرت أنت مصنعى الصغير ، حتى دلف إليه رجالى الآليون ، وجمعوا كل القنابل التى وضعتها ، داخل صندوق كبير من الرصاص (*) ، ألقوه خارج الجبل .

شعر (نور) بمزيج من اليأس والحنق والمرارة ، وهو يقول :

ـ ولكننا أصبحنا نعرف مخبأك الآن ، ويمكن لجيشنا مهاجمته .

أجابه (مارك) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ على الرحب والسعة .. المخبأ محصّن ضد كل أنواع الصواريخ والقنابل ، بما فيها مدافع الليزر ، والصواريخ شديدة التدمير ، وحتى القنابل الذرية والنووية والأيونية ، كما أننى أستطيع إطلاق الطائرتين اللتين أمتلكهما الآن ، من طراز (م ـ ١) ، لسحق أى هجوم ، مهما بلغت قوته ، وأنتم تدركون هذا جيدًا .

لم يشعر (نور) فى حياته كلها باليأس ، مثلما شعر به ، وهو يستمع إلى (مارك) ، فى تلك اللحظات العصبية ..

(*) كل الإشعاعات والترددات والموجات المعروفة ، لا يمكنها اختراق معدن الرصاص ، ولهذا يتم استخدامه لصنع دروع واقية ، من كل الأشياء السالف ذكرها .

كانت كل السبل مغلقة أمامه بالفعل ..

لن يمكنه قتل (مارك) ..

ولا يمكنه ـ فى الوقت ذاته ـ تركه على قيد الحياة ..

والجيش لا يستطيع مهاجمة المكان ..

ولا يمكنه الوقوف ساكنًا ..

بل لقد فشلت مهمته تمامًا ..

صحيح أنه نجح فى دخول المخبأ ، ولكنه يجد نفسه داخله عاجزًا عن كل شىء ..

فريقه أسير ..

ابنته تفقد آدميتها ..

وطنه على شفا الهاوية ..

وفجأة تفجّر كل الغضب فى أعماقه ..

تفجّر على هيئة صرخة أطلقها ، وهو يهتف :

ـ وماذا عن القتال البدنى المباشر ؟

قالها وهو ينقضّ على (مارك) بكل مشاعره ، ولكن (مارك) تراجع فى سرعة ، ورفع يده نحو (نور) ، قائلًا فى صرامة :

ـ سيكون هذا أكبر أعمال حياتك حماقة .

خُيّل لـ (نور) أنه قد ارتطم بحاجز من الصلب ، دفعه إلى الخلف فى عنف ، وأسقطه أرضًا ، والدكتور (حجازى) يهتف :

ـ لا تحاول .. لا تحاول يا (نور) .

ولكن (نور) هبّ واقفًا على قدميه مرة أخرى ، وعاود هجومه على (مارك) ..

وفى هذه المرة حملته قوة هائلة غير منظورة إلى أعلى ، ودفعته نحو الحائط ، وضربته به فى عنف ، ثم تركته يسقط أرضًا ، بين تلك الأجهزة ،

التى أوصلها أفراد الفريق بعضها ببعض ، لصعق الآليين ، فنهض مرة ثالثة ، وصاح :

ـ لن توقفنى أبدًا .

وانقضّ على (مارك) ..

ومرة أخرى حملته تلك القوة غير المنظورة ، فصرخت (سلوى) :

ـ اتركه .. اترك (نور) .

اندفعت نحوه بدورها ، وشاركها (رمزى) و (محمود) هجومها هذه المرة ، فى حين راح الدكتور (حجازى) يصرخ :

ـ لا .. لا تفعلوا هذا .

وأطلق (مارك) صرخته المخيفة هذه المرة ، وبرقت عيناه بألف وميض دفعة واحدة ، وانطلقت من عقله قوة خفية رهيبة ، انتزعت الجميع من أماكنهم ، وراحت تضربهم بالحوائط والجدران ، والدكتور (حجازى) يهتف :

ـ اتركهم .. اتركهم أرجوك .

ولكن (مارك) واصل ضرب أجساد أفراد الفريق بالحوائط والجدران ، حتى راحت صرخات الألم تنبعث منهم قوية عنيفة ، فى حين ظلّ جسد (نور) معلقًا فى الهواء ، وهو يهتف فى غضب :

ـ اتركهم أيها الوغد .. اتركهم .

وأخيرًا أوقف (مارك) سيطرته العقلية على أجساد أفراد الفريق ، فسقطوا أرضًا ، وهم يلهثون من فرط التعب والإرهاق والانفعال ، فى حين التفت هو إلى (نور) ، الذى ما يزال جسده معلقًا ، وقال فى غضب :

ـ كم يدهشنى أننى فكرت فى ضمك إلىّ أيها الرائد .

هتف (نور) :

ـ إذهب إلى الجحيم .

برقت عينا (مارك) فى غضب شديد ، وهو يقول :

ـ لست أومن أيضًا بوجود الجحيم أيها الرائد ، ولكن لو كان هناك جحيم ، فأنت الذى سيذهب إليه .. لا أنا .

ومع بريق عينيه ، شعر (نور) بآلام شديدة فى رأسه ، وخيّل إليه أن مشهد الحجرة يتلاشى من أمام عينيه ، ليحل محله مشهد آخر ، أشبه بأنبوب هائل ، يدور حول نفسه فى بطء ، وهو يندفع داخله ، نحو نهايته البادية من بعيد ، والتى تلوح فيها نيران مستعرة ، وسمع (مارك) يقول بصوته العميق :

ـ سأجعل عقلك يقتلك أيها الرائد .. يقتلك بلا رحمة .

شعر (نور) بلفح النيران بالفعل ، وهو يندفع داخل الأنبوب الوهمى ، نحو النيران المستعرة ..

الآن فقط أدرك أن خصمه يمتلك قوة عقلية بلا حدود ..

ولكنه أدرك هذا متأخرًا ..

بعد فوات الأوان .

* * *

١٩ ـ الخـــوف ..

تطلّع القائد الأعلى إلى ساعته فى قلق ، ثم عاد يتابع شاشة راصده الخاص ، الذى ينقل إليه صورة الجبل ، الذى يقف شامخًا ساكنًا ، فى قلب الصحراء ، وقال للدكتور (ناظم) :

ـ لا يمكننى التوقّف عن التفكير ، فيما يمكن أن يفعله (نور) ، داخل وكر خصمنا الرهيب .

ثم التفت إليه ، يسأله :

ـ أتظنه سينجح فى مهمته ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ الكمبيوتر يقول إن احتمالات نجاحه لا تتجاوز اثنين وستة من عشرة فى المائة ، لو لم تحدث معجزة .

تنهّد القائد الأعلى ، وقال :

ـ لم تعد فى زمن المعجزات يا رجل .

وصمت فى مرارة ، وهو يعاود التطلّع إلى الشاشة ، قبل أن يستطرد :

ـ لست أعلم حتى ما الذى يمكننا فعله ، لو فشل (نور) فى مهمته .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ ألا يمكننا حشد كل قوانا ، ومهاجمة الوكر من كل الجبهات ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ لقد درس القادة هذا الاحتمال ، واستبعدوه تمامًا ، فحسابات الكمبيوتر تقول إن احتمالات النصر ، فى قتال كهذا ، لن تبلغ حتى الصفر فى المائة ، فوجود طائرتين من طراز (م ـ ١) ، يحرمنا كل فرصة للفوز .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ من العجيب أننى أشعر بالأسف والمرارة ؛ لأننا صنعنا طائرة رهيبة كهذه .

قال القائد الأعلى :

ـ كان من الضرورى أن نصنع مثلها ، فهى تمنحنا تفوقًا جويًا أكيدًا ، على كل دول العالم .

وعاد يتابع شاشة الراصد ، التى تنقل صورة الجبل الصامت ، التى لا تشف أبدًا عن ذلك البركان المستعر فى أعماقه ..

ولا عن تلك الآلام ، التى يعانيها (نور) فى قلبه ..

آلام الجسد ..

والعقل ..

* * *

شعرت (مشيرة) بتوترها يتضاعف ، وهى تجلس داخل حجرة الفحص الإليكترونى ، أمام الدكتورة (فائقة) ، التى راجعت كل الصور المكبّرة ، لذلك الجسم المغروس تحت جلد (مشيرة) ، ثم هزّت رأسها مغمغمة :

ـ جسم مجهول .

سألتها (مشيرة) فى عصبية :

ـ ما الذى تعنينه بأنه جسم مجهول ؟ .. إنه لم يأت من فراغ .. أليس كذلك ؟

أجابتها (فائقة) فى هدوء :

ـ بالتأكيد ، ولكنه مجهول الهوية ، ولم ننجح فى كشف طبيعة عمله قط .

أشارت (مشيرة) إلى الضابط ، وهى تقول :

ـ هذا الرجل هناك يقول إنه جهاز تصنت .

قال الضابط فى حدة :

- اسمى الرائد (حسن) ، ومازلت أصرّ على أن هذا الجهاز هو جهاز تصنت ، تحملينه عن عمد ؛ للتجسّس على الإدارة .

صاحت فى غضب :

- أما زلت تصرّ على هذا القول الأحمق ؟

هتف فى حدة :

- التحقيق سيثبت هذا ، وخاصة بعد انتزاع الجهاز من ذراعك .

قالت الدكتورة (فائقة) فى ضيق :

- مهلا .. لن أحتمل شجاركم هذا .

صاح بها الضابط :

- فليكن .. انتزعى ذلك الجهاز من ذراعها إذن ، وستجدين أننى على حق .

قالت (فائقة) فى صرامة :

- لا يمكننا انتزاعه بهذه البساطة .

سألتها (مشيرة) فى دهشة :

- لماذا ؟

أجابتها (فائقة) :

- لأنه من الممكن أن تكون إشارات هذا الجهاز متصلة بمخك مثلًا ، أو بنبضات قلبك ، وانتزاعه قبل التأكد من هذا ، قد يتسبب فى قتلك .

تراجعت (مشيرة) ، هاتفة فى ذعر :

- قتلى ؟!

عادت تتحسّس ذراعها مرة أخرى فى قلق ، ثم قالت فى حزم :

- أراهن أن صاحب الرأس الكبير ، هو الذى وضع ذلك الشىء هنا .

سألتها (فائقة) فى حذر :

- صاحب الرأس الكبير ؟! .. ماذا تعنين ؟

أجابتها (مشيرة) فى توتر :

- ذلك المخلوق ، الذى رأيته فى معمل الدكتور (حجازى) . من المؤكد أنه هو الذى وضع ذلك الشىء هنا .

بدا القلق على وجه (فائقة) ، وتطلّعت لحظات إلى (مشيرة) فى صمت ، ثم قالت :

- (مشيرة) .. هل يمكنك الخضوع لاختبار بسيط ؟

سألتها (مشيرة) فى حذر :

- أى نوع من الاختبارات ؟

أجابتها وهى تنتقى كلماتها بمنتهى الدقة :

- إنه اختبار بسيط ، يعتمد على دراسة العقل ، وسبر أغواره ، و ..

قاطعتها (مشيرة) فى عصبية :

- أتقصدين نوعًا من التنويم المغناطيسى ؟

كان هذا يختصر الطريق كثيرًا ، فأجابتها (فائقة) :

- نعم .. هذا ما أقصده .

صمتت (مشيرة) لحظات ، وهى تفكّر فى الأمر ، ثم قالت فى عناد :

- لا .. لن أخضع لهذا .

قالت (فائقة) فى صرامة :

- لماذا ؟ .. أترفضين خدمة وطنك ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

- لست أرفض خدمة وطنى ، ولكننى أكره أن أفعل أى شىء ، وأنا أجهل سبب ما أفعله .. أى إنسان يحترم كرامته يرفض ما أرفضه .

قالت (فائقة) :

- ولكن الأمر بالغ السرية .

قالت (مشيرة) فى عناد :

ـ يمكننى أن أحتفظ بالأسرار .

تبادلت (فائقة) معها نظرة تحد واضحة ، قبل أن تعقد حاجبيها ، مع انعقادة ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ عرض مرفوض يا عزيزتى (مشيرة) .

لم تكن (مشيرة) تتوقع هذا أبدا ، لذا فقد ارتبكت مع رفض (فائقة) للعرض ، وغمغمت فى توتر بالغ :

ـ ما الذى تعنينه بالرفض ؟

أجابتها (فائقة) فى حدة :

ـ أعنى أن أسرار الوطن ليست قابلة للمساومات يا (مشيرة) ، حتى ولو كان الثمن هو معرفة المزيد منها .. لست أملك إجبارك على الخضوع للتنويم المغناطيسى ، ولن أتهمك حتى بمحاولة التجسس على الإدارة ، بل كل ما سأفعله هو إخراجك من هنا ، وإعادتك إلى منزلك ، وعليك بعدها مواجهة محاولات الاغتيال بعنادك هذا .

ازداد ارتباك (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ لست أساوم على أسرار الوطن ، أو ..

تضاعف ارتباكها ، وهى تبحث عن عبارات مناسبة ، ثم لم تلبث أن قالت فى خضوع :

ـ حسنا يا دكتورة (فائقة) .. إننى أوافق على الخضوع لجلسة التنويم المغناطيسى .

ثم أردفت فى عصبية ، وقد أحنقتها هزيمتها :

ـ من أجل الوطن فحسب .

ابتسمت (فائقة) ، وقالت :

ـ نعم .. من أجل الوطن .

وبدأت الإعداد للجلسة ..

★ ★ ★

نبض قلب (سلوى) فى قوة ، وهي ترقد على الأرض متهالكة ، وهتفت وهى تتطلع إلى وجه زوجها ، المعلق فى الهواء ، وقد تصبب عليه عرق غزير :

ـ (نور) .. لا .. لا تفعل هذا بـ (نور) .

برقت عينا (مارك) فى ظفر ، وهو يقول :

ـ لست أفعل به شيئا .. عقله هو الذى سيقتله .. المشهد الوهمى الذى أوحى به إلى عقله الآن سيقوم بما ينبغى .

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ ما الذى فعلته به ؟

أجابه (مارك) :

ـ مشهد وهمى مباشر يا صديقى .. عقله الآن يتصور أنه يسقط داخل أنبوب عميق ، ينتهى بنيران مستعرة .. أتعلم ما الذى سيفعله عقله ، فى هذه الحالة ؟ ..

إنه سيستجيب للمؤثرات الخارجية ، داخل هذا المشهد الوهمى ، كما لو كانت مؤثرات حقيقية ، وسيرسل إشارة إلى المخ ، تشير إلى أن الجسد يحترق ، وهنا سيعانى (نور) آلام الاحتراق الرهيبة ، على الرغم من أنه لا يتعرض إليها بالفعل ، حتى يلقى مصرعه بصدمة عصبية قاتلة .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ ولكن هذا مستحيل ! .. لن يفعل (نور) هذا بنفسه أبدا .

أجابها الدكتور (حجازى) فى مرارة :

ـ بل هذا ممكن للأسف يا بنيتى .. إنه نفس ما يحدث لنا ، ونحن نغوص فى عالم الأحلام .. فعندما يحلم شخص ما أنه يسقط من عل ، فإن

رحمة الله (سبحانه وتعالى) وحدها ، هى التى توقظه ، قبل أن يرتطم بالأرض ، فلو لم يستيقظ ، لعانى جسده نفس الآلام ، التى سيعانيها لو سقط بالفعل ، وسيقتله هذا فى أثناء نومه(*) .

نهض (رمزى) ، وهو يقول :

ـ لن نسمح له بقتل (نور) أمامنا هكذا .

تبعه (محمود) ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالتأكيد .. سندافع عن (نور) بأرواحنا .

أطلق (مارك) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ تدافعون عنه ؟!

ثم لوّح بيده اليسرى ، فسقط الجميع ملتصقين بالأرض ، كما لو أن مغناطيسًا قويًا يجذب أجسادهم إليها ، حتى (سلوى) والدكتور (حجازى) ، فى حين قال (مارك) بنفس اللهجة الساخرة :

ـ من الواضح أنكم ما زلتم تجهلون طبيعة من تواجهون .. إنكم بالنسبة لى أشبه بحشرات صغيرة ، تواجه قنبلة ذرية .. إننى قادر على سحقكم جميعًا فى لحظة واحدة ، دون أن أبذل أدنى مجهود .

صرخ (رمزى) :

ـ أنت مجنون .. مجنون .

أجابه (مارك) فى غضب :

ـ سيحين دورك ، بعد أن أنتهى من تدمير هذا الرائد .. هيا فكر فى الوسيلة التى تناسبك للموت .

ثم أدار عينيه إلى (نور) ، الذى بدأ وجهه يشفّ عن ذلك الصراع الهائل ، الذى يعانيه عقله ، واستطرد فى شراسة مخيفة :

(*) حقيقة علمية .

ـ أما هذا الرائد ، فقد اخترت له أنا الميتة المناسبة .. إنه يسقط الآن فى قلب ذلك الجحيم ، الذى يؤمن بوجوده ..جحيم العقول .

وجلجلت ضحكته الساخرة فى المكان ..

* * *

راقب أحد الطيّارين الممرات ، عبر نافذة القاعة ، ثم أسرع إلى رفاقه ، الذين يجلسون فى الطرف الآخر للقاعة ، وهمس :

ـ كل شىء على ما يرام .. لقد عاد كل الآليين إلى مواقعهم .

قال الضابط الأوّل :

ـ عظيم .

ثم التفت إلى الطيّارين الآخرين ، مستطردًا :

ـ استعدوا يا رفاق ، فسنبدأ تنفيذ الخطة على الفور .

ردّدوا جميعًا فى صوت واحد :

ـ على بركة الله .

وضع أحدهم كرة الطاقة عند الجدار الشمالى ، ثم تراجع الجميع إلى الجدران الأخرى ، وأخرج كل منهم قطعة من القماش ، مغموسة فى الشمع السائل ، ووضعها فى أذنيه ، ليصنع منها سدّادة محكمة ، وقال الضابط الأوّل لأحد الرجال :

ـ حاول أن تصيبها بضربة واحدة ، فقد لا تكون هناك فرصة لضربة ثانية .

أجابه الطيّار فى ثقة :

ـ اطمئن .

احتموا جميعًا بالجدارن ، ورفع الطيّار كرة معدنية ، انتزعها من حزامه ، وصوّبها إلى كرة الطاقة ، و ..

وألقاها بكل قوته ..

* * *

قاوم (نور) تلك الصورة الوهمية ، التى يرسمها عقله ، بكل ما يملك من قوة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد ظلّ يرى نفسه ساقطًا داخل الأنبوب الضخم ، ومتجهًا نحو النيران المستعـرة ، وشعر بلفح النيران ، وبالعرق يتصبّب على وجهه ..

ولكنه قاوم ..

وكانت مقاومته عنيفة بالفعل ..

فالشىء الذى لم يدخله (مارك) فى حساباته ، هو أن عقل (نور) من طراز نادر بالفعل ، يمكنه التصدّى لكل الأمور غير المنطقية ، التى يصعب تحليلها ، أو وضع تفسير علمى لها ..

ومع مقاومة عقل كهذا ، تختلف النتائج حتمًا ..

لقد توقّف سقوط (نور) ، داخل ذلك الأنبوب الوهمى ..

تجمّد المشهد ، كما لو كان صورة ثابتة ..

وشعر (نور) أنه يبذل جهدًا خرافيًا ، ليبقى على هذا الوضع ..

وأنه لن يحتمل المقاومة طويلًا ..

وكذلك شعر (مارك) أن (نور) قد استغرق وقتًا أكثر مما ينبغى ، فبدأ يدرس هذه الحالة الجديدة فى اهتمام ، دون أن يتصوّر أن عقل (نور) ، الواقع تحت تأثير عقله مؤقتًا ، كان يدرس بدوره كل وسائل النجاة والفرار ..

وفى أعماقه ، أدرك (نور) أن قتل (مارك) صار حتميًا ..

صحيح أن (نور) يبغض القتل والدمار ، بكل صورهما ، ولكن هذه الحالة لم يكن من الممكن حسمها ، سوى بقتل (مارك) ..

حتى لو أدى هذا إلى موت ابنته (نشوى) ..

وإلى مصرع (مشيرة) ..

ونسف مبنى المخابرات العلمية ..

بل لو أدى حتى إلى مصرعه هو وفريقه ، تحت أنقاض الجبل المنهار ..

كان من الضرورى أن يسعى لقتل (مارك) ، مهما كان الثمن ، وإلا سقط العالم كله ضحية لجنونه ، ولأفكاره الديكتاتورية الرهيبة ..

ولكن كيف ؟ ..

إنه لايكاد يقاتل للإبقاء على نفسه حيًا ..

ويعلم أنه سيخسر هذا القتال ..

وتمنى (نور) لو أفلت من سيطرة (مارك) لحظة واحدة ..

لحظة يهبط فيها على قدميه ، ليطلق النار على رأس (مارك) ، مهما كان الثمن ..

وبكى قلبه فى مرارة ، وهو يسترجع ما يمكن أن يصيب ابنته وزوجته ورفاقه ، عندما يطلق النار على (مارك) ..

ولكن لم يكن لديه الخيار ..

كانت مقاومته تضعف أكثر ، وأكثر ، وتحوّل جمود المشهد فى ذهنه إلى حركة بطيئة ، تؤكّد استعادة (مارك) لسيطرته على عقله ..

(مارك) نفسه شعر باستعادته لهذه السيطرة ، فابتسم فى ثقة ، وتألّقت عيناه فى ظفر ، وهو يزيد من ضغط عقله على عقل (نور) ..

وبدأت سرعة (نور) تتزايد ، وهو يهوى داخل الأنبوب الوهمى ..

وراح الأمل يتضاءل ويتضاءل ..

وفجأة ، ووسط كل هذه الظروف ، ومض حل فى رأس (نور) ..

حل لقتل (مارك) ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

ولكن ما فائدة هذا الحل ، وهو يسقط فى الأنبوب ؟ ..

إنه يحتاج إلى لحظة واحدة ..

لحظة يتحرّر خلالها من سيطرة عقل (مارك) ..



وتمنى (نور) لو أفلت من سيطرة (مارك) لحظة واحدة ..
لحظة يهبط فيها على قدميه ، ليطلق النار على رأس (مارك) ..

وبكل قواها ، هتفت (سلوى) ، وهى ملتصقة بالأرض :

ـ قاوم يا (نور) .. قاوم .

صاح الباقون أيضًا :

ـ لا تسمح له بهزيمتك يا (نور) .. قاوم .

ابتسم (مارك) فى سخرية ، فى حين شعر (نور) بالأسف ..

إنه يقاوم بالفعل ..

يبذل أقصى طاقته للمقاومة ..

ولكن دون فائدة ..

لن يمكنه أن يفعل أكثر من هذا ..

إنه يخسر معركته ..

معركته الأخيرة ..

وتهاوى (نور) داخل الأنبوب ، وشعر جسده بحرارة النيران الوهمية ، وبات قاب قوسين أو أدنى من الغوص فى قلب الجحيم ، و ..

وفجأة دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، ارتجّت له جدران المخبأ كله ..

ومع دوى الانفجار ، فقد (مارك) تركيزه لحظة واحدة ..

وفى تلك اللحظة تلاشت النيران الوهمية من رأس (نور) ..

وعاد يرى القاعة ..

وهبط على قدميه ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع ..

أو التردّد ..

كانت فرصة يتحتم على (نور) استغلالها لأقصى حدّ ..

ولم تكد قدما (نور) تلمسان الأرض ، حتى انطلق بكل قوته نحو تلك الأجهزة الصغيرة ، التى أوصلها رفاقه ببعضها البعض ، وضغط زر

تشغيلها ، ثم دار على عقبيه فى مرونة ، و (مارك) يهتف غاضبًا :

- لن ينجح هذا السلاح .

انتزع (نور) مسدسه الليزرى ، وهو يهتف :

- ومن ذا الذى يحتاج إليه ؟

صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا تقتله .. ستقتل ابنتنا معه .

ولكن (نور) صاح :

- ستؤمن حتمًا بالجحيم أيها الوغد ، عندما تصل إليه .

صاح (مارك) :

- لن يمكنك .

ولكن (نور) أطلق خيوط الأشعة بلا تردد ..

وصرخت (سلوى) ، ولكن ..

سبق السيف العزل .

* * *

٢٠ - انفجار ..

انطلقت خيوط الأشعة تشقَ فراغ القاعة ، قبل أن تعبر رأس (مارك) فى مواضع عديدة ..

وجحظت عينا صاحب الرأس الكبير ، وارتسمت فيهما نظرة ذهول ، وكأنه لم يكن يصدِّق أبدًا أنه قد يموت ذات يوم ..

ومن رأسه ، وذلك الجزء الشبيه بالبيضة الضخمة المقلوبة فوق رأسه ، اندفعت نافورات من الدماء ..

وسقط الإمبراطور المجنون ..

تساوى أمام الموت مع أى جزء صغير حقير ..

سقط جثة هامدة ، دون أن تفقد عيناه ذهولهما ..

وصرخت (سلوى) فى ارتياع :

- ابنتنا يا (نور) .. لقد قتلت ابنتنا .

صاح (نور) ، وهويندفع نحوها ، ويعاونها على النهوض ، بعد أن تحررَت من السيطرة العقلية لـ (مارك) ، بمصرع هذا الأخير :

- لا .. لم تصب ابنتنا بسوء .

هتفت منهارة :

- ولكنه قال ..

قاطعها فى سرعة :

- لقد أفسدت هذه الخطوة من برنامجه .

هتف به الدكتور (حجازى) :

- كيف ؟

أجابه (نور) فى انفعال :

ـ برنامجه الأمنى هو الذى هزمه ، فلقد أشعلت أجهزتكم الصغيرة ، التى أعددتموها لصعق الآليين ، وطبقًا لبرنامجه الأمنى ، انفصل التيار الكهربى عن كل الأجهزة بالحجرة ، ومن ضمنها جهاز الكمبيوتر ، المتصل بعقل (نشوى) ، فتوقّف عن العمل ، ولم يتلق إشارة التدمير .

صاحت (سلوى) :

ـ حقًا .. هل أنقذت ابنتنا حقًا يا (نور) ؟

أسرع نحو ابنته ، وأخرج مديته وهو يقول :

ـ سنعرف هذا فيما بعد .. المهم أن نغادر هذا المكان بأقصى سرعة ، فأمامنا دقيقتان فحسب ، قبل أن ينفجر كل هذا

صاح به الدكتور (حجازى) :

ـ لا تمزّق الأسلاك ، المتصلة بالكمبيوتر .

ولكن (نور) مزّق الأسلاك بضربة واحدة ، وهو يقول :

ـ لا يوجد مجال للتردّد يا دكتور (حجازى) .

وحمل ابنته ، مستطردًا :

ـ هيا .. ينبغى أن نعثر على مخرج ، من هذا المكان اللعين .

انطلقوا يعدون عبر الممرات ، وسط الآليين ، الذين أصابهم ارتباك عنيف ، فراحوا يتخبطون ببعضهم البعض ، وكأنهم كانوا يستمدّون قوتهم كلها من عقل (مارك) ، وهتف الدكتور (حجازى) :

ـ ولكن من أين جاء الانفجار ؟ ..

أجابه (نور) :

ـ إنها رعاية الله (سبحانه وتعالى) .

وانتزع من جيبه جهاز اتصال صغير ، وهو يعدو حاملا ابنته ، وهتف :

ـ صلنى بالإدارة فى (القاهرة) .. بسرعة .

صاح (محمود) ، فى هذه اللحظة :

ـ انظروا هناك .. إلى تلك القاعة ، التى تحطم بابها .. يبدو أن بها ثقبا فى جدارها .

توقفوا يتطلّعون إلى ذلك الثقب ، الذى صنعه انفجار قنبلة الطاقة ، فى جدار المخبأ ، وقال (نور) ،

ـ من هنا يا رفاق .

انطلقوا يعدون نحو الثقب ، الذى بدت من خلفه السماء ، بنجومها اللامعة ، وعبروه إلى الخارج ، وواصلوا عدوهم بكل قوتهم ، فوق رمال الصحراء ، ثم ..

ثم انفجر الجبل ..

كان الانفجار قويا عنيفا ، حتى أنه دفع أجساد الجميع عدة أمتار ، وألقاها على رمال الصحراء ، ثم تهاوت فوقها الرمال والأتربة لحظات ، قبل أن تهدأ الأمور نسبيًا ، فحمل (نور) جهاز الاتصال مرة أخرى ، وصاح :

ـ صلنى بالإدارة فى (القاهرة) .. هيا .. لا يوجد وقت لهذا .

فوجئ بمدفع إشعاعى ، من مدافع الآليين يلتصق برأسه ، ومن خلفه أحد الطيّارين ، يقول فى صرامة :

ـ أبرز أنت هويتك أوّلا ، فأنا أشك فى كل من غادر ذلك المكان اللعين .

قال (نور) فى حدة :

ـ ليس الآن يا رجل ..

ثم هتف عبر جهاز الاتصال :

ـ هناك قنبلة فى ذراع (مشيرة) ، ستنفجر بعد دقيقة واحدة .. حاولوا منع هذا .. حاولوا بقدر استطاعتكم .

صاح الطيّار فى غضب ، وهو يجذب زر الإطلاق فى المدفع :

- تذكر .. أنت الذى رفضت الإفصاح عن هويتك .

هتف به (نور) فى غضب :

- أنا الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية أيها الأحمق ، وأنت تعوق الآن محاولة إنقاذ عاجلة وسريعة ، أحاول القيام بها ، لمنع نسف مبنى المخابرات العلمية فى القاهرة .. هل تفهم ؟

أزاح الطيار مدفعه ، وهو يقول :

- يا إلهى !! لم أكن أتصور هذا .

اندفعت (سلوى) نحو (نور) ، فى هذه اللحظة ، وانحنت تفحص ابنتها فى هلع ، وهى تقول :

- أهى بخير يا (نور) ؟ .. أبنتنا بخير ؟

غمغم فى انفعال :

- أتعشم أن تكون كذلك .

رأى من بعيد قوات الجيش تقترب من الجبل ، بعد أن رصدت أجهزتها انفجاره الداخلى ، فأضاف :

- لقد انتهى الأمر بالنسبة إلينا ، فها هى ذى القوات تقترب ، وسننقل (نشوى) إلى أقرب مستشفى على الفور .. لقد انتهى الأمر .. انتهى تقريبا .

قال الدكتور (حجازى) فى توتر :

- هذا لو أمكنهم إنقاذ (مشيرة) ، ومبنى المخابرات .

ألقى (نور) نظرة سريعة على ساعته ، وهو يقول :

- تقصد لو كان قد أمكنهم هذا ، فلقد مضى موعد الانفجار منذ عدة ثوان ، وفى هذه اللحظة بالذات ، إما أن يكونوا قد نجحوا فى إنقاذ (مشيرة) والمبنى ، أو ..

تنهد فى حرارة ، قبل أن يضيف :

- أو يكون ذلك المجنون قد حقق ثلث خطته .

* * *

لم يكد الانفجار يدوى ، حتى هتف القائد الأعلى فى حماس شديد ، وهو يراقب المشهد على شاشة راصده الخاص :

- لقد نجح .. فعلها (نور) مرة ثانية .. رائع هذا الفتى .. لقد نجح .. نجح .

شاركه الدكتور (ناظم) حماسه وانفعاله ، وهو يقول :

- بل هو أكثر من رائع .. لم أتصور قدرته على النجاح قط .

ارتفع رنين الهاتف الخاص ، المجاور لمكتب القائد الأعلى ، فى هذه اللحظة ، فالتقط الدكتور (ناظم) سماعته بحركة غريزية ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول :

- هنا مكتب القائد الأعلى .. من المتحدث .

استمع إلى المتحدث فى اهتمام ، والقائد الأعلى يقول فى حماس :

- سأمنح (نور) وفريقه مكافأة ضخمة .. سأعلق على صدورهم الأوسمة والنياشين .. لقد حققوا معجزة .. معجزة حتى بالنسبة لحسابات كل أجهزة الكمبيوتر ، والـ ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى توتر بالغ :

- لقد أرسل (نور) رسالة عاجلة ، يقول فيها إن المبنى هنا معرض كله للنسف ، بقنبلة مغروسة فى ذراع (مشيرة محفوظ) .

هب القائد من مقعده ، هاتفا :

- قنبلة .. ومتى تنفجر هذه القنبلة ؟

تطلع الدكتور (ناظم) إلى ساعته ، وهتف :

- بعد خمسين ثانية فقط من الآن .

شحب وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

- خمسون ثانية فحسب .. يا إلهى ! .. لن يمكننا حتى اتخاذ الإجراءات اللازمة .

ثم سأل (ناظم) فى توتر بالغ :

- أين (مشيرة) الآن ؟

أجابه (ناظم) :

- فى حجرة الاختبارات .. (فائقة) تحاول إخضاعها للتنويم المغناطيسى .

صاح القائد :

- اتصل بـ (فائقة) إذن ، وأبلغها الأمر .

اختطف (ناظم) سماعة الهاتف الداخلى ، والقائد يستطرد :

- ولندع الله أن تجد وسيلة لمنع هذا ، وإلا فلننقل على الدنيا السلام .. دنيانا .

★ ★ ★

زفرت الدكتورة (فائقة) فى حنق ، ولوّحت بكفها هاتفة :

- مستحيل ! .. بهذا الأسلوب لن تنتهى الجلسة قط .

عقدت (مشيرة) حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

- إننى أحاول التعاون .

صاحت الدكتورة (فائقة) فى غضب :

- بل أنت غير متعاونة على الإطلاق .. أتعلمين ما الذى أتمنى أن أفعله بك ؟ .. إننى أرغب فى سجنك داخل صندوق صغير .

قالت (مشيرة) فى سخرية :

- ليس هذا من حقك .

رمقتها (فائقة) بنظرة غاضبة ، وهى تقول :

- أنت تتعمدين عدم التعاون .

- هزّت (مشيرة) كتفيها ، وقالت فى خبث :

- وماذا عن مهارتك أنت ؟ .. لماذا لا تنجحين فى إخضاعى ؟

قالت (فائقة) فى حدة :

- التنويم المغناطيسى يحتاج إلى التعاون .. من المستحيل إخضاع شخص عادى للتنويم المغناطيسى ، على الرغم منه(*) .

قالت (مشيرة) فى تحد :

- كيف أمكن السيطرة على عقل حارسى إذن ، الذى حاول قتلى فى المستشفى ، إلى الحد الذى دفعه لقتل نفسه ، عندما فشل فى مهمته ؟

قالت (فائقة) فى ضيق :

- إنها حالة خاصة .

ابتسمت (مشيرة) ، وهى تقول :

- أنا أيضا حالة خاصة .

هتفت (فائقة) فى غضب :

- اسمعى يا (مشيرة) .. ستتعاونين ، أو ..

ارتفع فى تلك اللحظة أزيز جهاز الاتصال ، المعلّق بمعطفها الطبى ، فأمسكت به ، قائلة :

- أنا الدكتورة (فائقة) .. ماذا هناك ؟

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تستمع إلى الدكتور (ناظم) ، وهتفت :

- يا إلهى ! .. أربعون ثانية فحسب .

أنهت الاتصال فى سرعة ، وأدارت عينيها فى المكان فى جزع ، و (مشيرة) تسألها فى فضول :

(*) حقيقة علمية .

- ماذا هناك ؟ .. ماذا حدث ؟

لم تجب (فائقة) ، وإنما توقف بصرها عند صندوق من الرصاص ، معدّ لحفظ عينات المواد المشعة ، ذات الأحجام الكبيرة ، فتألّقت عيناها ، وهى تقول :

- نعم .. هذا هو الحل الوحيد .

سألتها (مشيرة) فى فضول شديد :

- حل ماذا ؟

نهضت (فائقة) فجأة ، وأمسكت يد (مشيرة) لتجذبها فى عنف ، وهى تقول :

- لقد سئمت منك .

هتفت (مشيرة) :

- ماذا تفعلين ؟

التقطت (فائقة) اسطوانة صغيرة ، وضعتها فى يد (مشيرة) ، قائلة :

- خذى .. هذه اسطوانة أكسجين مضغوط .. فقد تطول الفترة .

هتفت (مشيرة) :

- فترة ماذا ؟

فتحت (فائقة) الصندوق الكبير ، ودفعت (مشيرة) داخله ، وهى تقول :

- فترة السجن .

سقطت (مشيرة) داخل الصندوق الرصاصى ، من فرط المفاجأة ، وقبل أن تحاول النهوض ، كانت (فائقة) قد أغلقت الغطاء فوقها ، وأحكمت الرتاج ، فصرخت (مشيرة) :

- ماذا تفعلين أيتها اللعينة ؟ .. ليس هذا من حقك .

كانت تدقّ الغطاء بقبضتها فى عنف ، ولكن (فائقة) لم تبال ، وإنما تطلّعت إلى ساعة يدها فى هدوء ، وقالت :

- عشر ثوان .. تسع .. ثمان .. سبع .. ست .. خمس .. أربع .. ثلاث .. اثنتان .. ثانية واحدة .

ثم رفعت سبّابتها ، هاتفة :

- الآن .

سرت قشعريرة سريعة فى جسدها ، وهى تتطلّع إلى الصندوق المغلق ، ثم لم تلبث أن تنفّست الصعداء ، وقالت :

- لقد نجونا .

وكانت على حق ..

لقد نجا الجميع .

* * *

٢١ ـ الختـــام ..

، كانت تجربة بشعة .. ،

هتفت (مشيرة محفوظ) بالعبارة فى حنق ، وهى تجلس فى صالة منزل (نور) ، قبل أن تستطرد فى سخط واضح :

ـ ساعة كاملة قضيتها داخل ذلك الصندوق اللعين ، حتى كدت أصاب بانهيار عصبى حاد .

قال (نور) فى دهشة :

ـ ساعة كاملة ؟! .. ولماذا قضيت ساعة كاملة داخل الصندوق ؟ .. المفروض أن الخطر ينتهى بعد زوال تأثير إشارة التفجير ، وهذا يستغرق ثوان معدودة ، بعد الموعد المحدّد لها .

هتفت (مشيرة) فى غضب ، وهى ترمق الدكتورة (فائقة) بنظرة نارية .

حقًّا !

ابتسمت (فائقة) فى خبث ، وهى تقول :

ـ كانت هناك ضرورات أمنية .

فهمت (سلوى) الموقف على الفور ، فأطلقت ضحكة قصيرة ، وهى تقول :

ـ يبدو أن الضرورات الأمنية أصبحت عجيبة هذه الأيام .

عقدت (مشيرة) حاجبيها فى غضب ، وقد أدركت ما فعلته بها (فائقة) ، وقالت فى اعتداد عصبى :

ـ لقد ذكرت هذا فى تحقيقى عن الحادث ، وقلت : إنها متاعب المهنة .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ ولكننى منحتك السبق الصحفى المنشود .. أليس كذلك ؟

أجابته :

ـ بلى ، ولكن ما زالت هناك نقاط مجهولة ، لم تخبرنى بها .

قال فى هدوء :

ـ هذا يعنى أنها نقاط سرية ، لا يصحّ نشرها .

قالت فى فضول :

ـ ولكننى أريد معرفتها .

ثم لوّحت بكفها ، مستطردة :

ـ ولن أنشرها بالطبع .

سألها فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟

قالت فى سرعة :

ـ مثل إجراءات الأمن الواجبة مثلًا ، بعد انتهاء الأمر ، وهل سيتمكّن علماؤنا من صنع مقاتلة أخرى ، مثل (م ـ ١) ؟ .. وما مصير الدكتور (مارك) ؟ .. أعنى مصير جثته ووكره ، و ..

قاطعها (نور) ..

ـ مهلًا يا (مشيرة) .. دعينى أستوعب هذا القدر أوّلًا .

اعتدلت قائلة فى فضول :

ـ لا بأس ، ولكن هل لديك جواب عن أسئلتى ؟

قال فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل مجيبًا :

ـ بالنسبة لإجراءات الأمن ، فقد خضع كل العاملين فى الإدارة لفحص عقلى خاص ، باستخدام ذلك المزيج من مصل الحقيقة ، والتنويم المغناطيسى ، وثبت أن أحدًا لم يعد ينتمى إلى خصمنا الراحل ، أما عن صنع مقاتلة أخرى ، فقد توصّل (رمزى) إلى حل هذه المشكلة .

هتفت :

ـ (رمزى) ؟ .. وكيف فعل هذا ؟

أجابها (نور) :

ـ لقد استخدم قاعدة علمية ، خاصة بالتنويم المغناطيسى ، تقول : إن أى شخص يمكنه تذكر أدق تفاصيل ما رأى ، أو سمع ، عندما يكون تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، وكنا نعلم أن الدكتور (ناظم) قد شاهد تصميمات الـ (م ـ ١) ، لذا فقد أخضعه (رمزى) للتنويم المغناطيسى ، وجعله يعيد رسم كل التصميمات ، على شاشة الكمبيوتر ، كما رآها تمامًا .

قالت فى دهشة :

ـ وهل رسمها بكل تفاصيلها ؟

أجاب (نور) :

ـ ليس بأدق التفاصيل ، ولكن ما رسمه كان يكفى خبراء الطيران ،

ليضعوا تصميمات جديدة لمقاتلتنا ، التى ستمنحنا ـ بإذن الله ـ تفوقًا جويًا عالميًا .

هتفت فى سعادة :

ـ رائع .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ وماذا عن (مارك) ووكره ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ لقد انهار الجبل فوقه تمامًا ، ولن يكون من السهل بلوغ ما تبقّى من الوكر ، بعد هذا الانفجار ، ولست أظنهم يعثرون على بقايا (مارك) هذا ، بعد كل ما حدث .

تمتمت (سلوى) :

ـ أتعشم هذا ؟

وقال (محمود) :

ـ إننى أشعر بقشعريرة تسرى فى جسدى ، كلما تصوّرت أنه من الممكن أن ينجو هذا الرجل .

هتفت (سلوى) :

ـ مستحيل !

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لا يوجد مستحيل .. لم أعد أومن به ، بعد كل ما شاهدناه ، خلال عملنا بالمخابرات العلمية .

قال (محمود) فى إخلاص :

ـ صدقت .

وافقتهما (مشيرة) بإيماءة من رأسها ، ثم التفتت إلى (نور) ، تسأله :

- قل لى يا (نور) : ألم تشعر بالخوف على (نشوى) ، وأنت تقطع الأسلاك ، التى كانت تصل مخها بالكمبيوتر ؟

أجابها ببصر شارد ، وكأنه يسترجع هذه اللحظة البشعة :

- لم يكن لدى خيار .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

- ومن حسن الحظ أن هذا لم يؤذ عقلها . ولقد تمكّن الأطباء من إزالة تلك الأقطاب من مراكز المخ ، باستخدام الجراحة الميكروسكوبية ، وهى الآن فى خير حال ، ويؤكد الأطباء أن ما حدث يعدّ معجزة علمية بحق .

تلفّتت (مشيرة) حولها ، وهى تقول :

- أين هى ؟ .. إننى لم أهنئها بنجاتها بعد .

أجابها (محمود) :

- أظنها ذهبت إلى الحديقة .

نهضت (مشيرة) ، قائلة :

- سأذهب إليها .

غادرت ، المنزل إلى الحديقة فى حماس ، ولكنها لم تكد تخرج إليها ، حتى فتر حماسها دفعة واحدة ، وامتلأت نفسها بالضيق والمرارة ..

كانت (نشوى) فى الحديقة بالفعل ..

ولكنها لم تكن وحدها ..

كانت بصحبة (رمزى) ، الذى جلس إلى جوارها ، يتبادل معها حديثًا هامسًا حنونًا ..

وشعرت (مشيرة) بغيرة حقيقية ..

إنها لم تنس أبدًا حبها لـ (رمزى) ، ولا زواجها السابق منه ..

وكانت تحمل دائمًا فى قلبها بعض الأمل ، فى أن يعود إليها ..

ولكنها الآن أدركت أنها كانت واهمة ..

لقد ربحت أعظم جائزة فى عالم الصحافة ، على تحقيقها المنفرد .. ولكنها خسرت قلبها ..

الآن فقط أدركت أن (رمزى) لم يعد لها ، وهو يجلس إلى جوار (نشوى) ، وعيونهما تنطق بحب جارف عظيم ..

حب بلا آلام أو قيود ..

وبلا حدود .

* * *

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

بلا حدود

سلسلة الأعداد الخاصة

المؤلف



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سري جدا !!

كل شيء كان يسير على ما يرام ، لتجربة المقاتلة الجديدة (م ـ ١) ، ثم انقلبت الأمور فجأة ، وراحت المقاتلة تقاتل من أطلقوها ، وأصيبت العقول كلها بجنون غامض عجيب ، وكان على (نور) وفريقه أن يواجهوا هذه المرة قوة هائلة ، لا تقف أمامها أية حواجز أو سدود ..
قوة بلا حدود ..



الثمن في مصر
٢٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع